كتاب الدر الثمين

في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم

تأليف

محمد غالي محمد الأمين الشنقيطي

عني بطبعه وراجعه

خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

إدارة إحياء التراث الإسلامي

بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

نحمدك اللهم ونستعينك ونسترشدك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اختار لنا كتابه المنزل على سيد الخلق أجمعين ، وجعله هداية ورشداً للعالمين . . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صفوة الخلق والمخصوص بالخلق العظيم . اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا نهجه ، واقتفوا أثره وسلم تسليماً كثيراً .

وبعـــد :

فلا غرابة أن ندقق البحث عن معالم دار الهجرة النبوية ، ونبذل الجهود المستطاعة ، لنقف على حقيقة تلك البقاع التي اختارها الله تعالى داراً لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام ؛ بعد أن وجد ما وجد من أهله وعشيرته ، وخرج من مكة وهو يشير بمقاله وضميره إلى عمق المحبة لمولده الذي لا شك أنه أشرف بقاع الأرض ، وقد اختار الله سبحانه وتعالى له أن يهاجر إلى دار جديدة ، ما كان لها من العزة والكرامة قبل الهجرة إليها ، بل كانت هي (يثرب) وقد شرفها الله تعالى بهجرته إليها وجعلها محط نور ورحمة ،

أنزل الله بها كتابه ، وحمى فيها دينه الذي هو الدين المختار من الله تعالى كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ فأصبحت هي المدينة المنورة وليس بكثير عليها هذا الاسم إذ أن النور قد تحول إليها وخصها الله تعالى بإنزال الرحمة على رسوله الأكرم في بقاعها المقدسة .

لذلك كم كنا نبحث عمن يحقق لنا معالم هذه الدار ، وكم رأينا وقرأنا أبحاثاً وأخباراً عن دار الهجرة ، ولكننا ما زلنا في حالة التعطش لإدراك أكبر وعلم أوفر ومعلومات أقوى عن هذه البلدة المقدسة ، ومن المعلوم أن الإنسان إذا جد في أمر جدير به بعد استعانته بالله أن يحصل على مقصده وينال مطلبه ، فبينما كنت أبحث وأفكر عن معلومات جديدة لدار الهجرة إذ اطلعت على سفر ليس بكبير ولكنه كبير في مقصده ألا وهو الكتاب المشهود (**الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين** ﷺ) وجدته مخطوطاً بيد أحد الإخوة الأفاضل ، والذي ما كنت أعرفه قبل ذلك ، بل كنت أسمع بذكره وانشغاله بهذا الكتاب الثمين ، وبعد التعريف به علمت أنه هو الشيخ (**محمد غالي محمد الأمين الشنقيطي**) فاستعرت بعض الكراسات منه للمطالعة والمراجعة ، فألفيت معلوماته جديدة ودقيقة ، قد تحمَّل مؤلفها التعب والنصب حتى وقف على كثير من الحقائق التي لم يسبق إليها ، فطلبت منه أن يراجع ما جمع ، ويحقق ما ألّف ، وأن يسلم الكتاب إلينا ، لنستعين بالله تعالى على طبعه ، وعلى أثر ذلك استخرت الله تعالى أن

يوفقنا ، لما فيه الخير والسداد ولما فيه إبراز الحقائق الواقعة عن مدينة رسول الله ﷺ ، فرأيت نفسي منشرحة إلى بذل الجهود في هذا الميدان ، مع إقراري بقصر الباع وضعف المقدرة ، ولكن لن يخيب الله تعالى من استعان به ، فاستعنت بالله تعالى واستلمت منه المخطوط بعد المراجعة ، وقمنا ببذل الجهود وحسب المقدرة ، وكلفنا أحد الإخوة الأفاضل لمراجعته حال الطبع ، وهو الشيخ إسماعيل الكيلاني ، ونسأل الله العلي القدير أن يحقق لنا المقاصد الصالحة ، ويهيىء لنا من أمرنا رشداً ، وأن يعظم الأجر للمؤلف ولكل من قام في نقله وتحقيقه وتصحيحه ومراجعته ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الله تعالى إنه سميع مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

غرة جمادى الأول ١٤٠٨هـ
١٩٨٧/١٢/٢١م

خـــادم العلم

عبدالله بن ابراهيم الأنصاري

مدير إدارة إحياء التراث الإسلامي
الدوحـــة ــ قطـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين .

أما بعد : فلقد ظل التعرف على معالم مدينة الرسول ﷺ يشغل بالي ردحاً من الزمن وكلما قرأت في السيرة النبوية أو كتب تاريخ طيبة الطيبة وجدت أن كل مكان منها كان حيًّا عامراً بنزول الوحي أو ورود حديث نبوي أو صدور حكم نبي أو مَقِيل للنبي ﷺ أو مبيت له ، أو لأحد أصحابه الذين حملوا دينه من بعده إلى البشرية ، فالتجول في ربوعهم يعيد ذكرهم إلى الأذهان ويشدنا إليهم بسيرتهم العطرة ويرسخ صورهم الحسنة والمحببة في العقول ، وذلك كله يجعلنا نقتدي بهم فهم خير قدوة وهم الهداة المهديون ، وقد أثنى عليهم القرآن الكريم وهم في المدينة ، وهم في الحديبية ، وهم في بدر وحنين ، وهم في تبوك ، وكم أعلنت آيات قرآنية رضا الله تعالى عنهم ، وكم أعلن رسول الله ﷺ رضاه عنهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

محمد غالي محمد الأمين الشنقيطي

كيفيــة ترتيــب هـذا الكتاب

لقد رتبت هذا الكتاب على جهات المدينة المنورة وبدأت بالجنوبية اقتداءً بالرسول ﷺ حين قدومه مهاجراً حيث تيامن ونزل بقباء ، ثم ثنيت بالجهة الشرقية ، وقد تيامنت في ذلك كما تيامن المصطفى ﷺ وكما كان يعجبه التيامن في شأنه كله ثم تيامنت مثلثاً بالجهة الشمالية ثم أنهيت الكتاب بالكلام على الجهة الغربية .

وقد حرصت على إيضاح ما تمكن التعرف عليه الآن أو التعرف على مكانه . أما ما لم تبق له عين ولا أثر فلم أتكلم عليه لعدم الفائدة من ذكره ، كما حرصت على أن أذكر من الأماكن فقط ما وردت فيه قصة أو ورد فيه حديث أو نزلت فيه آية أو وقعت فيه غزوة نبوية وما شابه ذلك من المناسبات في العهد النبوي الشريف ، وربما أستعرض بعض الأحداث التي وقعت في القرون اللاحقة إذا كانت مهمة كما حصل في كلامي عن المسجد النبوي الشريف مثلاً .

وقد أخذت من كتب ومراجع عديدة معظمها من أمهات الكتب في هذا الميدان إلا أني أنبه على أن الكتابة في تاريخ ومعالم المدينة المنورة هي من باب التاريخ الذي يكثر فيه سرد الأحداث التي لا تتوفر في صحتها الشروط المتوفرة لصحة الحديث النبوي ، إلا أني حرصت على أن لا أنقل حادثة أو مناسبة يترتب عليها حكم شرعي إلا إذا كانت تحظى بشيء من القبول .

أسمـــاء المدينـــة المنـورة

وردت للمدينة المنورة أسماء كثيرة وذلك يدل على شرفها وفضلها لأن كثرة الأسماء للشيء الواحد تدل على عظمة المسمى ، وقد اقتصرت على ذكر بعض من تلك الأسماء الشريفة وذلك لارتباطها بحادثة أو مناسبة معينة أو لوضوح الدلالة على التعظيم ، فمن هذه الأسماء :

(١) يثـرب : بوزن مسجد وهي لغة في يثرب وسميت بها المدينة قديماً لأن أول من سكنها رجل من العمالقة يسمى (يثرب) وذلك بعد أن تفرقت ذرية نوح عليه السلام في البلاد بعد زلزال بابل . وهل يثرب اسم للمدينة قديماً ؟ أو هو اسم لجهة منها تقع من الحرّة الشرقية قرب وادي قناه إلى الغربية مما يلي القبلتين وإلى الشمال حتى مجتمع السيول الكبير غربي أُحد ؟ ويكاد المؤرخون يتفقون على أنَّ هذه الجهة إلى الجرف هي أول ما سُكِن من المدينة وفي عهد النبي ﷺ كان سكانها من الناحية الشرقية بنو حارثة ومن الناحية الغربية بنو سلمة .

أما بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام فإنه سماها بطابة ونهى عن تسميتها يثرب لأنها مأخوذة من التثريب وهو الشتم والسب ؛ فترك المسلمون تسميتها يثرب إلا أن المنافقين ظلوا يدعونها أحياناً يثرب كما ذكر القرآن الكريم عنهم ﴿ **يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا** . . . ﴾ .

(٢) الإيمـــان : قال تعالى : ﴿ **والَّذين تبوَّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم** ﴾ .

وقد ورد في الأثر أن الله سماها (الدار والإيمان) فهي بلد الإيمان والحياء .

(٣) بيت الرسول ﷺ : ذكر ذلك بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾ سورة الأنفال .

(٤) الجابـرة : لأنها تجبر الكسير وتغني الفقير ، وأجبرت البلاد على الإسلام .

(٥) الجنة الحصينة ؛ والدرع الحصينة : وقد ورد ذلك في رؤ يا النبي ﷺ يوم خروجه لغزوة أُحد (**رأيت كأني في درع حصينة ، وكأن في سيفي ثُلمة ، وكأن بقراً يذبح**) ففسر الدرع الحصينة بالمدينة ، وثلمة سيفه بموت عمه حمزة ، والبقر الذي يذبح بما استشهد من أصحابه ﷺ .

(٦) الحبيبـــة : لقوله ﷺ : (**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**) .

(٧) الحـــرم : وقد ورد في حديث مسلم : (**المدينة حرم**) وفي رواية (**إنها حرم آمن**) إلى غير ذلك من أحاديث تحريم المدينة .

(٨) دار الأبـــرار : لأنها دار المصطفى ﷺ والمهاجرين والأنصار وهم والله الأبرار ، ولأنها تنفي شرارها ، وهي في الحقيقة ليست داراً لمن أقام بها من الأشرار .

(٩) الشافيـــة : لأن ترابها شفاء من كل داء حتى الجذام والبرص وهو شيء تواترت به الأخبار ومجرب بالمشاهدة وإن تُكُلِّم في الحديث الوارد في ذلك .

(١٠) الفاضحـــة : لأنها تفضح من أخفى فيها عقيدة فاسدة وكذلك من أضمر فيها نفاقاً أو أمراً أظهره الله وفضح صاحبه .

(١١) مضجع الرسول ﷺ : وقد ورد في الحديث (**المدينة مهاجري ومضجعي في الأرض**) .

وكما ذكرت فإن للمدينة أسماء كثيرة أوصلها بعضهم إلى الثلاثين واقتصرنا منها على ما ذكرنا .

تفضـــيلها على غيرها من البـــلاد

انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم أعضاء النبي ﷺ الشريفة على جميع بلاد الله حتى الكعبة الشريفة ، وكذلك انعقد الإجماع أيضاً على أن مكة والمدينة أفضل من سائر البلاد على الإطلاق وإنما وقع الخلاف في أيتهما أفضل من الأخرى : مكة أم المدينة ، فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما والإمام مالك رحمه الله إلى تفضيل المدينة المنورة على مكة المكرمة ، وذهب الجمهور غيرهم إلى تفضيل مكة على المدينة ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة ، ولكل دليله وتأويله وخوفاً من التطويل نورد بعضاً فقط

مما استدلت به كل طائفة بقصد إظهار حسن استنباط السلف الصالح للأحكام الشرعية من النصوص .

أولاً : استدل الجمهور لتفضيل مكة على المدينة بأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه وأن الصلاة في مسجد المدينة بألف صلاة فيما سواه ، وقالوا : إن التفضيل للعمل يدل على أفضلية البقعة التي وقع فيها . واستدلوا أيضاً بأحاديث أخرى صحيحة منها حديث (**إن مكة خير بلاد الله**) (**أحب بلاد الله إلى الله**) . وغير ذلك كحديث الحَزَوَّرَة المشهور .

ثانياً : استدل القائلون بتفضيل المدينة على مكة بأدلة منها ما رواه الإمام مالك في الموطأ (**أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لعبد الله بن عياش المخزومي : أنت القائل لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هي حرم الله وأمنه وفيها بيته ، فقال عمر : لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً ، أأنت القائل : لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هي حرم الله وأمنه وفيها بيته . فقال عمر : لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً إلى ثلاث مرات**) .

وقيل : إن عمر اشتد عليه ورفع الدرة .

ومنهـــا : **ما ورد من الوعيد الشـديد لمن أراد بأهلها سوءًا** .

ورد في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ : (**. . . ولا يريد أحد أهل المدينة بسوءٍ إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماءِ**) .

وفي رواية للإمام أحمد (**من أرادها بسوءٍ أذابه الله كما يذوب الملح في الماءِ**) .

وإذا كان هذا الوعيد الشديد لمن أرادها بسوء فما بالك بمن فعل بها سوءًا فالوعيد أشد ، وهذا الوعيد يشمل الدنيا والآخرة معاً .

فضـــل المدينـــة المنـــورة

أما ما ورد في فضل المدينة المنورة فهو كثير وكثير . . فهي مهاجره ﷺ وفيها مضجعه وأهلها جيرانه والموت بها يستوجب شفاعته ، فقد روى الترمذي وابن حبان في صحيحه وابن ماجه في سننه والبيهقي مرفوعاً إلى النبي ﷺ (**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها**) . ولهذا الحديث روايات مختلفة ، ويكفي في فضلها حب النبي ﷺ لها ودعاؤه ربه أن يحببها إليه كما ورد في الصحيحين (**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**) .

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أسرع براحلته حبًّا في المدينة ، وقد دعا لها بالبركة كما ورد في الصحيحين أنه ﷺ قال : (**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**) .

وفي صحيح مسلم (**اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدّنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين**) . وكان دعاء النبي ﷺ للمدينة وهو بحرة السقيا في أرض لسعد بن أبي وقاص تقع بداخل سور السكة الحديدية الآن بباب العنبرية حيث يوجد مسجد السقيا ، والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة وطرقها متعددة ورواياتها مختلفة وكلها واردة في الصحاح والسنن المعتمدة .

وخلاصة القول : إن المدينة من أحبّ البقاع إلى الله ، وإنها دار الإيمان وإليها يأرِز الإيمان في آخر الزمان ، وعلى مداخلها حراس من الملائكة لا يدخلها الدجال ولا الطاعون وهي آخر مدن الدنيا خراباً وهي مضجع أفضل خلق الله ﷺ ومهبط الوحي فلا يكاد يوجد فيها مكان إلَّا نزلت فيه آية أو آيات قرآنية أو ورد فيه حديث نبوي ، وهي حرم الله ورسوله ﷺ ، وقد ورد الوحي بالوعد لمن صبر على لأوائها ومن صلى في مسجدها ومن أكل من ثمرها وشرب من مائها ، وجعل تربتها شفاء . فطوبى لمن زارها ومشى في ربوعها غير منتعل ونزه خاطره في محاسنها فطالما اشتاق إليها المحبون وضحوا في سبيل زيارتها بأنس الأهل والبنين ونفيس المال .

دار الحبيب أحق أن تهـواهـا وتحن من طـرب إلى ذكـراهـا
طابت فإن تبغ التطيب يـا فتى فأدم على السـاعات لثم ثـراها

فالمدينة خير لهم وخير لنا فهي خير ومعصومة من الطاعون وقد طرد الله عنها الوباء إلى مهيعة (أي الجحفة قرية قرب رابغ على بعد ثماني عشرة كيلو

متراً منه) وكان يسكنها اليهود ولقد اجتاحها وادي رابغ .

ومن ناحية أخرى فالويل كل الويل لمن أحدث فيها حدثاً أو آوى فيها محدثاً أو حلف فيها على يمين فاجرة . . وخصوصاً على منبرها ، فهي محل الأجور وليست محل الفجور .

تحريم المدينـــة وحدود حرمهـا

إن حرمة المدينة أزلية وأظهرها الله عزّ وجل على يد نبيه محمد ﷺ كما أظهر حرمة مكة على يد نبيه إبراهيم عليه الصلاة السلام .

وقد حرّم النبي ﷺ المدينة ما بين لابتيها (واللابتان : الحرّتان الشرقية والغربية) وتعرف الشرقية قديماً بحرّة واقم كما كانت تعرف الغربية بحرّة الوبرة ، ومقتضى هذا التحريم عدم قطع شجرها وتنفير صيدها كما هو الحال في حرم مكة المكرمة شرّفها الله .

وقد ورد في حديث أبي هريرة (**لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها**) .

وقال ﷺ : (**ما بين لابتيها حرام**) ومن انتهك حرمة شيء من ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلاّ أنه ليس عليه جزاء مثل الذي قتل وهذا يدل على عظم ذنبه لأن الذنب إذا وجدت له كفارة في الدنيا كان أمره أهون .

أما حدود حرم المدينة المنورة . فقد وردت فيه عدة أحاديث نبوية منها ما يقتضي :

١ ـ تحريم ما بين لابتيها أي حرّتيها وهما واضحتان حتى الآن ولكن يخشى عليهما من الاختفاء بسبب اجتياح العمران لهما وشق الطرق المرصوفة والحدائق والمشاريع الضخمة إذا لم تنتبه أمانة المدينة المنورة لهما وأبقت بعضاً من معالمهما ولو في داخل الحدائق .

٢ ـ تحريم ما بين حرّتيها وجمامها وقد عرفنا الحرتين فيما مضى أما الجمام فهي ثلاث أجماءٍ : (جماء تضارع ، جماء أم خالد ، جماء العاقل أو العاقر) وكلها جبال مطلة على العقيق من الجهة الغربية لبئر عروة إلى قرب الجامعة الإسلامية .

٣ ـ تحريم ما بين ثور وعير : فثور جبيل صغير خلف جبل أُحد لونه أحمر منتصب كالرجل القائم يمر خلفه الآن طريق المطار المتجه إلى جدة وقد روعي فيه مجانبة حدود الحرم ليمر معه غير المسلمين ، ولهذا يطلق عليه العامة (شارع الخواجات) والصحيح أن ثوراً هذا غير ثيب المعروف قديماً بتأب وهو جبيل صغير شرقي أُحد على يمين طريق المدينة المطار عليه خزان ماءٍ تابع لمصلحة مياه المدينة وقد ورد ذكره أيضاً في حدود حرم المدينة إلاّ أن الصحيح أنه وراءه بمسافة في سفح جبل وعيرة عند مثلث شارع المطار جدة المدينة ، وإذا أضيف جبل إلى ثور (جبل ثور) فهو الذي في المدينة أما عير فهو جبل أسود كبير يقع إلى الشرق الجنوبي من ذي الحليفة (آبار علي) ويمر بعقبته الغربية شارع الهجرة السريع : إذاً فحرم المدينة من الشمال يحد بجبل ثور ومن الجنوب بجبل عير

فحدودها من هاتين الجهتين أوسع منها في جهة الشرق والغرب .

٤ ـ تحريم المدينة بريداً[1] من كل ناحية كما ورد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : **من وجد من يعضد أو يخبط شيئاً من عِضَاهِ المدينة بريداً في بريد فله سلبه . . .**) وقد ورد مثل ذلك في موطأ الإمام مالك وهو موافق للتحديد الوارد بذات الجيش وأشراف المخيض .

فذات الجيش الوادي الواقع على طريق المدينة جدة في وسط البيداء بعد ذي الحليفة ويقع قبله جسر تقاطع الشارع الموصل إلى خط الهجرة مع شارع جدة وعلى هذا الوادي جسر قوي وحديث .

أما أشراف المخيض فهي شمال المدينة على طريق الشام القديمة شمالي جبل ثور الذي تقدم ذكره بنحو ثلاث كيلو مترات وتتجه أشراف المخيض بسيولها نحو البركة المعروفة بعيون حمزة ، فتحريم صيد المدينة فيما بين الحرار ، وأما تحريم شجرها فبريدٌ في بريد ، ويستثنى من ذلك الإذخر والسنا قياساً على مكة . انظر جواهر الإكليل على مختصر خليل ج ١ ص ١٩٩ ـ ولأجل حرمة حرم المدينة جزم النووي بحرمة نقل ترابه وأحجاره إلى خارج الحرم وكذا الشأن في حرم مكة وهذا رأي الجمهور .

---

(١) والبريد : ثلاثة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال .

المسجـــد النبـــوي الشـــريف

إن المسجد النبوي الشريف مسجد رسول الله ﷺ الذي بناه بنفسه عند قدومه المدينة مهاجراً ولفضله وشرفه حاز الأولوية على مسجد قباء وإن كان هذا أسبق وجوداً فمن أجل هذا بدأت بالمسجد النبوي الشريف .

إن موضع المسجد النبوي الشريف كان محل تجفيف تمر ليتيمين من بني النجار في حجر أسعد بن زرارة ، وقيل : لأبي أيوب الأنصاري واسم اليتيمين سهل وسهيل ابنا عمرو ؛ فلما طلب النبي ﷺ المكان من أبي أيوب الأنصاري بالشراء وأصر أبو أيوب رضي الله عنه على إرضاء الغلامين وإعطاء المكان للرسول ﷺ بدون مقابل وأعطى الغلامين نخلاً في بني بياضة في الحرّة الغربية من جهة قباء (وذكر حرة بني بياضة يرجح أنه أسعد بن زرارة) إلا أن الغلامين قالا : بل نحن نعطيه للنبي ﷺ ولا نريد عوضاً ، والصحيح أنه ﷺ اشتراه بعشرة دنانير ذهباً دفعها إليهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ونبش ما كان في هذا المكان من قبور المشركين وسويت الخرب وقطع النخل الذي كان فيه ، ثم بناه ﷺ أول ما بناه بالجريد وجعل أساسه أربعة أذرع من الحجارة وكانوا ينشدون أثناء بنائه :

اللهم لا خير إلاّ خير الآخـرة فـارحم الأنصار والمهـاجـــره

وإنما بنى النبي ﷺ مسجده الشريف باللبن بعد أربع سنين وظل المسجد عريشاً كعريش موسى عليه السلام ، وكان عريش موسى إذا أقام فيه أصاب

رأسه السقفُ ، وعمل النبي ﷺ بنفسه في بناء المسجد ونقل مع أصحابه اللبن في ثيابه .

وضرب له اللبن في بقيع الخبخبه أي في مكان عمارات الأوقاف التي تقع شرقي شارع أبي ذر شرقي الرومية ، وبرز في بناء المسجد طلق بن علي من أبناء اليمامة حتى قال فيه النبي ﷺ : (**دعوا اليمامي والطين فإنه أصنعكم للطين**) وفي رواية (**دعوا اليماني بدلاً من اليمامي**) .

وكانت سواري المسجد في عهده ﷺ من جذوع النخل وسقفه من جريد وخوص ليس على السقف كثير طين فإذا نزل المطر امتلأ المسجد طيناً .

وكانت مساحته مائة ذراع في مائة ذراع وجعل دوره الشريفة من جنوبه الشرقي والشرق والشمال وليس منها شيء غربي المسجد النبوي الشريف وكانت أبواب حجراته الشريفة شارعة في المسجد ، هكذا بدأ المسجد النبوي الشريف .

أما أول مكان نزل فيه المصطفى ﷺ عند قدومه من قباء فهو بيت أبي أيوب الأنصاري الذي كان موازياً للركن الجنوبي الشرقي للحرم النبوي الشريف على بعد خمسة عشر متراً تقريباً مقابل مكتبة عارف حكمت شرقاً بينهما الطريق وظل بيت أبي أيوب الأنصاري معروفاً ومكتوباً فوق أبواب الدكاكين التي في أسفله (هذا بيت أبي أيوب الأنصاري) نقشاً بالحجارة .

ولكن في عام ١٤٠٥هـ شملت توسعة المملكة العربية السعودية جميع الحي الواقع بين الحرم والبقيع فأزيلت دار أبي أيوب في هذه التوسعة ضمن

هذا الحي ، وإلى الجنوب منها تقع دار جعفر الصادق على بعد أمتار منها وهي باقية حتى الآن ولكنها داخلة في المرحلة القادمة من التوسعة لعام ١٤٠٦هـ .

وعندما وصل النبي ﷺ موضع مسجده بركت الناقة ووضعت جرانها على الأرض في مكان منبره الشريف فجاء زعماء الخزرج يتسابقون إلى الرسول ﷺ وكل واحد منهم يقول يا رسول الله أنا أحق بأن تنزل عندي فيذكر قرابته وخؤولته فانسل أبو أيوب رضي الله عنه وأخذ الرحل من فوق الناقة وأسرع به إلى منزله فلما رآه النبي ﷺ ابتسم وقال (**المرء مع رحله**) .

ولما بنى النبي ﷺ مسجده الشريف جعل رجالاً على زواياه ليعدّل القبلة فجاءه جبريل عليه السلام وقال بيده هكذا فأماط كل جبل بينه وبين الكعبة ثم قال للنبي ﷺ ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة وبعد وضع القبلة قال جبريل بيده هكذا مرة أخرى فعاد كل جبل إلى مكانه . ويقع المسجد النبوي في وسط وادي مهزور وكان سيله يمر به قبل أن يحوّل إلى بطحان ، وقد يكون هذا التعديل بعد خيبر .

قبلتــه ﷺ إلى الشـــام

من خلال ما ذكرنا من وضع النبي ﷺ لقبلة مسجده الشريف وهو ينظر إلى الكعبة قد نحس بأن قبلته كانت إلى الكعبة الشريفة عند قدومه المدينة وأنها حوّلت إلى بيت المقدس وعندئذ صار النبي ﷺ يدعو ربه ويقلب وجهه

في السماء ليجعل قبلته إلى بيت الله الحرام وقال اليهود بعد تحويلها ﴿ **ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** . . . ﴾ .

ولقد مكث النبي ﷺ يستقبل بيت المقدس في الصلاة نحو ستة عشر شهراً بعد قدومه المدينة وكان محرابه إلى بيت المقدس في نهاية المسجد آنذاك من الشمال مقابل باب عثمان عند الأسطوانة الخامسة شمالي أسطوانة عائشة رضي الله عنها بحيث تجعلها خلف ظهرك وتسير إلى الشمال وتعد خمس أسطوانات غربي دكة الأغوات (خدام الحرم) .

تحـــديد مســجد النبي ﷺ

نحاول في هذا الموضوع أن نبين حدود مسجد الرسول ﷺ من جهاته الأربع في بنائه الأول ثم بنائه الثاني بعد فتح خيبر حيث وسعه الرسول ﷺ وزاد فيه .

أولاً : من جهة القبلة : لقد كان محرابه ﷺ في نهاية المسجد من الجهة الجنوبية وكذا منبره الشريف الذي كان بينه وبين جدار المسجد ممر الشاة ويقع مكان جداره القبلي الآن دربزينات الصفر الممتدة من الحجرة الشريفة إلى نهاية مسجده ﷺ غرباً بعرض ستين ذراعاً وبعد فتح خيبر امتد هذا العرض إلى مائة ذراع ويرجح أن المسجد النبوي الشريف كان أوسع في هذه الجهة منه في جهة الشام .

ثانياً : **من الجهة الشمالية** : فإن حده عند نهاية الأساطين المطلة على البراحة الأولى التي هي آخر العمارة المجيدية من جهة الشام الآن والمتميزة بالأعمدة الحمراء وكانت مساحة المسجد النبوي من الجنوب إلى الشمال سبعون ذراعاً طولاً هذا قبل فتح خيبر ثم صارت بعد فتح خيبر مائة ذراع ويوجد على آخر عمود من هذه الجهة نتوءان خارجان من العمود مكان الحجرين اللذين كانا علامة على حدّ المسجد النبوي من الشمال .

ثالثاً : **من جهة الشرق** : ينتهي حد المسجد النبوي الشريف من هذه الجهة بعد أربعة أذرع بعد الأسطوانة الخامسة شرقي المنبر الشريف ويقع هذا الحد الآن داخل الشباك الذي تقع فيه الحجرة الشريفة لأن الشباك حجر مساحة كبيرة من الروضة الشريفة من هذه الجهة وليت ذلك لم يقع .

رابعاً : **من جهة الغرب** : تقع نهاية المسجد النبوي الشريف من هذه الجهة عند الأساطين المكتوب في أعلاها اليوم (هذا حد مسجد النبي ﷺ) أي عند الأسطوانة السابعة غرباً عدًّا من الأسطوانة التي تلي الحجرة الشريفة ، إلا أن عمودين من هذه الأسطوانات هما زيادة الرسول ﷺ بعد فتح خيبر من هذه الجهة .

وكذلك من الجهة الشمالية فإن العمودين الأخيرين منها هما زيادته أيضاً بعد فتح خيبر ، وقال بعضهم إن هذه الزيادة أربعة أعمدة . أما قول الزين المراغي إن طوله من القبلة إلى الشام مائتان وأربعون ذراعاً ونصف ذراع ،

وإن عرضه مائة وتسعة وعشرون ذراعاً فلعله يريد بعد زيادة العمرين (الصديق والفاروق رضي الله عنهما) .

وكان ارتفاع سقفه خمسة أذرع في بنائه الأول ، وصار سبعة أذرع بعد فتح خيبر عند بنائه الثاني ، وقد جعل العثمانيون علامات تدل على الارتفاع يعرفها المتأمل في أساطين المسجد النبوي الشريف ، وكان مسجد النبي ﷺ جله مسقوفاً وبعضه غير مسقوف من الناحية الشمالية والغربية والإشارة إلى ذلك في العمارة المجيدية خطوط ذهبية في منتصف الأعمدة وتشير هذه الخطوط إلى ارتفاع مسجد النبي ﷺ .

الروضـــة الشريفـــة

تقدم أن ذكرنا فضل المكان الذي ضم أعضاء النبي ﷺ الشريفة وهو أفضل البقاع على الإطلاق فلا غرابة إذاً في أن يكون ما جاورها روضة من رياض الجنة وهل معنى كون هذه البقعة روضة من رياض الجنة أنها تقطع من الأرض يوم القيامة وتوضع في الجنة ؟ أم أن معنى ذلك أن من لازم العبادة فيها حصلت له روضة من رياض الجنة يوم القيامة ؟ أم أن معنى ذلك أنها روضة في الدنيا للعلم والمعرفة حيث كان يقتبس ذلك من الرسول ﷺ وهو فيها ثم تجعل يوم القيامة إحدى رياض الجنة فرياض الجنة حلق الذكر ؟

ومساحة الروضة الشريفة من المنبر الشريف غرباً إلى الحجرة الشريفة شرقاً سبعة وستون ذراعاً بالذراع الهاشمي وتحديد الروضة العمدة فيه على حديثين نبويين صحيحين .

أحدهمـــا : قوله ﷺ (**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**) كما في الصحيحين ، وزاد البخاري (**ومنبري على حوضي**) ومن المعلوم أن الحوض هو كوثره ﷺ الذي أكرمه الله به وهو في مداخل الجنة ؛ من شرب منه لا يظمأ أبداً .

والحديث الثاني : (**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**[1]) . وقال الزين المراغي : إن رواية ما بين بيتي تفيد العموم لأن بيت نكرة أضيفت إلى معرفة وهي ياء المتكلم وهي تفيد العموم . ورواية قبري تفيد الخصوص والأصل حمل الخصوص على العموم ، وهذا رأي الإمام مالك رحمه الله أيضاً وملخصـه أن المراد ببيت في الحديث جميع بيوته ﷺ التي كانت من الجنوب الشرقي للمسجد النبوي الشريف (أي من محل وقوف الزائرين الآن) وإلى شرقي المسجد وشماليه ولا يوجد منها شيء غربيه ، وعلى هذا تكون الروضة ما بين منبره وجميع بيوته من الجنوب الشرقي إلى مكان باب الرحمة القديم في نهاية مسجده ﷺ ، وقد وضعت لها رسمًا يبين حدودها على هذا الرأي فانظره أمامك .

---

(١) أخرجه البزار ورجاله ثقات . انظر فتح الباري جـ ٤ ص ١٠٠ .

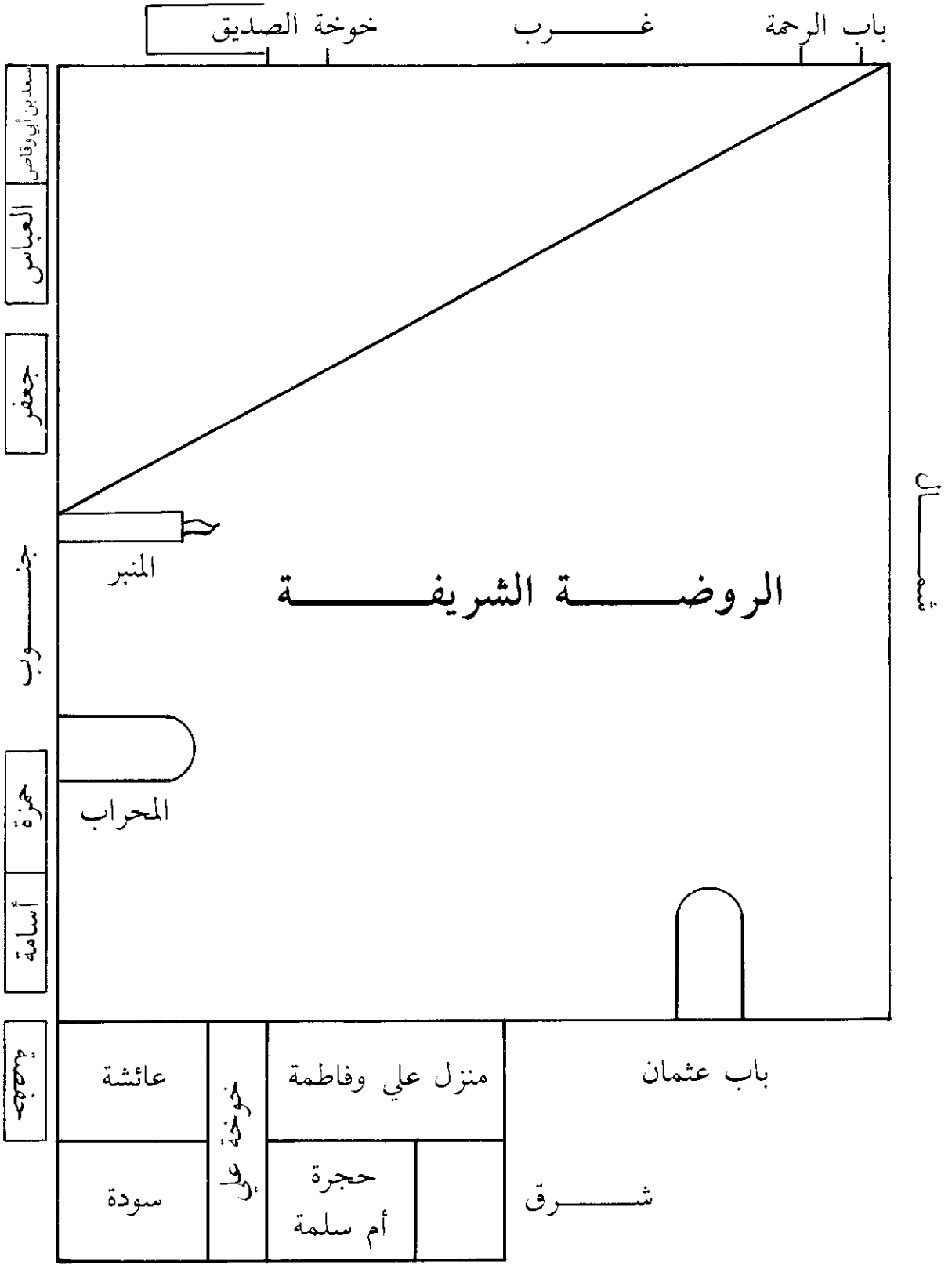

الحـرم النبوي قبل زيادته ﷺ فيـه بعد فتـح خيبـر

وأما المتمسكون بأن الروضة من المنبر الشريف إلى الحجرة الشريفة التي فيها قبره ﷺ . فإن الروضة على رأيهم هي البقعة الواقعة بين المنبر والحجرة الشريفة والتي تقدمت مساحتها (سبعة وستون ذراعاً من الشرق إلى الغرب) وقد وضع العثمانيون علامتها بجعل أساطينها بيضاء كما هو مشاهد الآن وفي عام ألف وأربعمائة وأربعة حصل تقشر في رخام بعض أساطين الروضة الشريفة فقامت المملكة العربية السعودية بترميمها برخام أبيض أيضاً ، وقد أظهر ذلك أناقتها .

وأنا أميل إلى رأي الإمام مالك والزين المراغي في تحديد الروضة الشريفة بما بين جميع بيوت النبي ﷺ وبين منبره الشريف لأدلة منها :

١ ـ ما ذكروه من حمل الخصوص في قوله (**قبري**) على العموم في قوله (**بيتي**) .

٢ ـ ما رواه أحمد رحمه الله (**ما بين هذه البيوت إلى منبري روضة من رياض الجنة**) .

٣ ـ حديث (**وقوائم منبري على ترعة من ترع الجنة**) الذي يُفهم أن ما كان شمال المنبر الشريف من الأرض هو ترعة من ترع الجنة وإلى الشمال الغربي من ذلك في نهاية المسجد حيث باب الرحمة كان يقع آخر بيت من بيوت الرسول ﷺ .

موقع حجـرات الرسول ﷺ من المسجد

كانت حجرات الرسول ﷺ محيطة بالمسجد من الركن الجنوبي الشرقي ومن الشرق تماماً ومن الشمال حتى الركن الشمالي الغربي عند باب الرحمة ، حيث كانت حجرة حفصة في مكان الشباك الذي عند المواجهة الشريفة الذي يقف عنده الزائرون الآن وإلى الشمال منه خوخة (زقاق) تفصل بين حجرتها وحجرة عائشة ولكل واحدة منهما عاليها كوّة صغيرة تتبادلان منها الحديث والأسرار وعبر هاتين الكوتين أخبرت حفصةُ عائشةَ بما أسـرّ لها رسول الله ﷺ من تحريم جاريته مارية القبطية أو تحريم العسل على نفسه وأظهره الله على ما أفشت حفصة من سره قال تعالى : ﴿ **وإذ أسَرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثًا فلمَّا نبأت بِهِ وَأَظهَرَهُ الله عليه عرف بعضه وأَعْرَض عن بعض فلمَّا نبّأها بِهِ قالت من أَنبَأَكَ هذا قال نبّأني العليم الخبير** ﴾[1] الآية .

كما ورد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ استأذنته حفصة في يومها أن تزور أبويها فأذن لها فجاءت جاريته مارية القبطية (سريته) فدخل بها في بيت حفصة رضي الله عنها وفي يومها فجاءت حفصة رضي الله عنها فوجدت مارية مع الرسول ﷺ في بيتها فبكت بكاء شديداً وقالت (أفي بيتي وفي يومي يا رسول الله ولم تفعل هذا بأحد من نسائك) فأسكتها الرسول ﷺ وقال لها لقد حرّمت مارية ولا تخبري بذلك أحداً فما إن خرج رسول الله ﷺ حتى

(١) سورة التحريم الآية : ٣ .

فتحت الكوة على عائشة وقالت لها أبشري فقد حرّم رسول الله ﷺ مارية فأظهره الله على ذلك .

وقيل إن سبب نزول الآية تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه . فقد ورد أنه ﷺ كان يطوف ببيوته كلها في كل يوم وأن أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت تحرص على ما يسره ، فكانت تصنع له شربة عسل لأنه كان يحب العسل فإذا مرّ بها سقته عسلاً فغارت منها حفصة وعائشة فاتفقتا على ما يجعل النبي ﷺ يترك شرب العسل عند زينب وقالت كل واحدة للأخرى : إذا جاءك رسول الله ﷺ فقولي له إني أجد فيك ريح مغافير (والمغافير شيء كريه الرائحة) وكان النبي ﷺ يكره الرائحة الكريهة فلما جاء إلى عائشة بعد أن شرب العسل عند زينب قالت : إني أشم فيك رائحة مغافير يا رسول الله فقال : (**إنما شربت عسلاً عند زينب**) فلما ذهب إلى حفصة قالت أيضاً : يا رسول الله أشم فيك رائحة مغافير فقال ﷺ : (**إنما شربت عسلاً عند زينب**) ثم قال : إني حرّمت العسل على نفسي واستكتم حفصة ذلك فما إن خرج من عندها حتى أخبرت عائشة بسر رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ **يأَيُّها النَّبيّ لِمَ تُحَرِّم ما أَحَلَّ الله لَكَ تَبتَغي مرضات أَزوَاجِكَ والله غَفورٌ رحيم قد فَرَضَ الله لَكُم تحلّة أَيمَانِكُم** ﴾[1] الآيات ـ وقد أوردت الحديث بالمعنى ـ فجعل الله كفارة من حرم على نفسه شيئاً أحلّه الله أن يكفر كفّارة يمين .

---

(١) سورة التحريم .

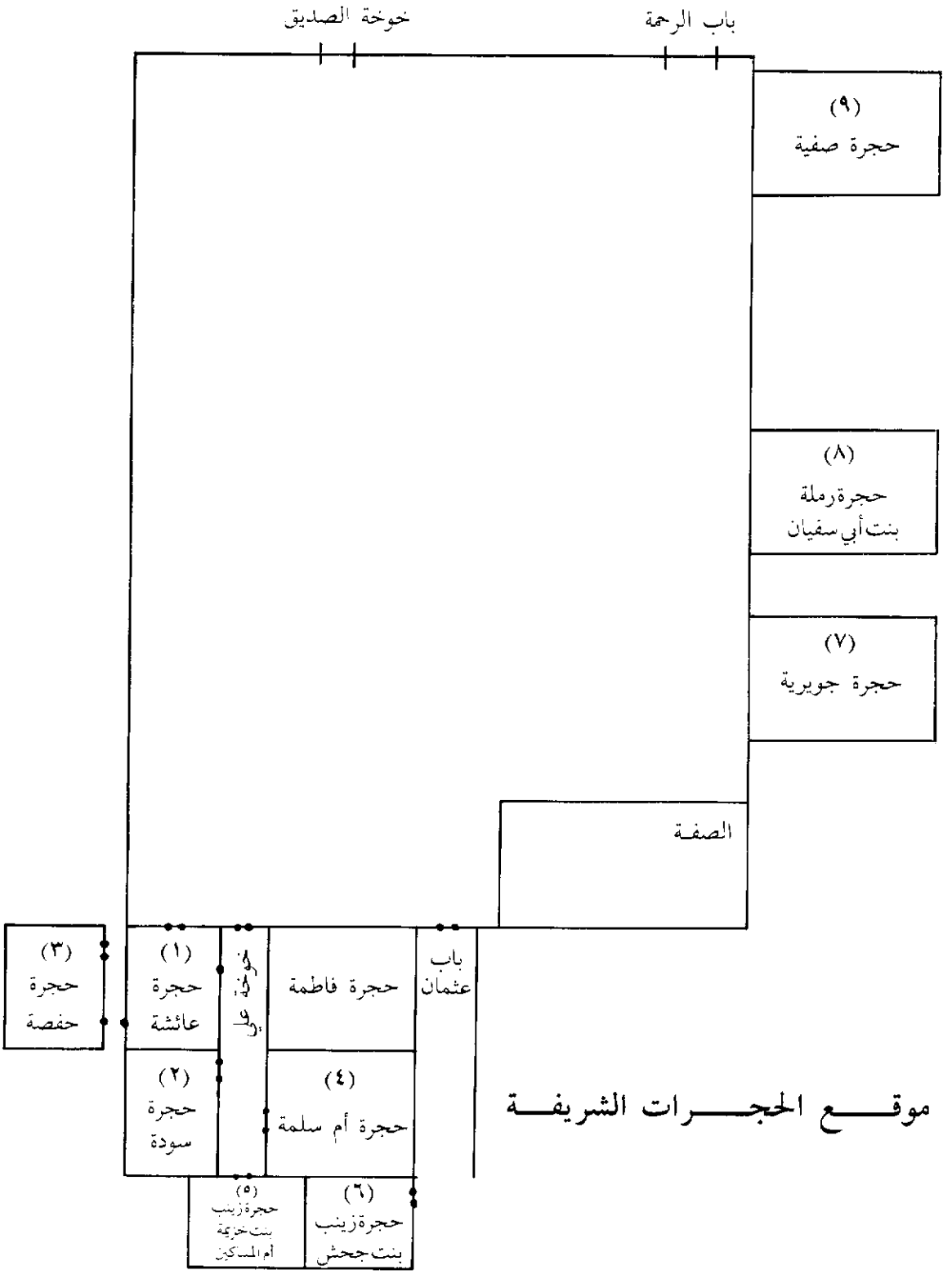
خوخة الصديق
باب الرحمة
(٩)
حجرة صفية
(٨)
حجرة رملة
بنت أبي سفيان
(٧)
حجرة جويرية
الصفة
(٣)
حجرة
حفصة
(١)
حجرة
عائشة
خوخة
حجرة فاطمة
باب
عثمان
(٢)
حجرة
سودة
(٤)
حجرة أم سلمة
(٥)
حجرة زينب
بنت خزيمة
أم المساكين
(٦)
حجرة زينب
بنت جحش
موقع الحجرات الشريفة

١ ـ أم المؤمنين عائشة بنت الصديق تزوجها قبل الهجرة بسنتين وبنى بها بعد الهجرة ، رضي الله عنها .

٢ ـ سـودة بنت زمعة تزوجها بعد وفاة خديجة رضي الله عنها .

٣ ـ حفصـة بنت عمـر رضي الله عنهما تزوجها في السنة الثانية .

٤ ـ أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها تزوجها في السنة الثانية .

٥ ـ زينب أم المساكين بنت خزيمة رضي الله عنها تزوجها في السنة الثالثة .

٦ ـ زينب بنت جحش رضي الله عنها تزوجها في السنة الثالثة أو الخامسة من الهجرة .

٧ ـ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها تزوجها في السنة الخامسة .

٨ ـ صفية بنت حيي رضي الله عنها تزوجها في السنة السادسة .

٩ ـ رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها تزوجها في السنة السادسة .

ونحن لا نشك أن الدافع لحفصة وعائشة رضي الله عنهما هو فرط محبتهما لرسول الله ﷺ ولكن القرآن هذَّب هذه المحبة بالتحذير من الخروج عما يحبه الله ورسوله ﷺ .

وكانت حجرات الرسول ﷺ محيطة بالمسجد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي كما تقدم وأبوابها شارعة فيه وأول من أدخلها في المسجد الوليد بن عبد الملك حين كتب بذلك إلى واليه على المدينة (عمر بن عبد العزيز) فبنى المسجد النبوي الشريف ووسعه وأدخل فيه الحجرات كما سيأتي في زيادة الوليد في المسجد النبوي الشريف . وهذا يعني أنه ﷺ دُفن في بيته ولم يكن قبره في المسجد حتى بعد إدخال الحجرات في المسجد النبوي حيث أصبحت الحجرات الشريفة محجوزة بشباك من الحديد ولم تتخذ للصلاة ، وقد بنيت الحجرة بشكل هندسي عجيب يحول بين المصلين وبين استقبالها ، وعلاوة على ذلك فقد جعل الله الحراس حول الحجرة الشريفة يحولون بين الزائرين وبين ارتكاب المخالفات من العوام تحقيقاً لدعائه ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد** » .

بأي شيء بنى النبي ﷺ مسجـــده

ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يمر عليه الشهر والشهران لم يوقد في بيت من بيوته نار للطبخ وإنما الطعام التمر والماء فقط ، كما كان فراشه من أُدم حشوها ليف وربما نام على الحصير فيؤثر في جنبه الشريف ، وكان يخرج في

غزواته على قل من الزاد ونقص في الراحلة إلى حدّ أن يتعاقب ثلاثة من أصحابه على راحلة واحدة كما وقع في غزوة بدر ، وربما جاءه الضيف فيمر على بيوته فلا يجد له طعاماً فيقول : مَنْ لهذا الضيف ؟ فيبادر أحد أصحابه إلى أخذ الضيف إلى منزله فيقدم له القرى الكافي مؤثراً إياه على حاجته وحاجة أولاده للطعام ، وكان يأتيه بعض أصحابه الراغبين في الخروج معه للجهاد في سبيل الله فيقول لهم : (**لا أجد ما أحملكم عليه**) فيرجعون وأعينهم تفيض بالدموع حزناً لعدم وجودهم لما يقدرون به على الجهاد في سبيل الله :

فهل معنى هذا أنه ﷺ كان فقيراً عاجزاً حتى عن الحصول على ضروريات العيش ومتطلبات الجهاد ؟

والجـــواب بالطبع (لا) بل هو اختيار من النبي ﷺ وإيثار للآخرة على الأولى ؛ ولهذا قال النبي ﷺ لعمـر رضي الله عنه لما بكى حين رأى الحصير أثر في جنبه الشريف وقال : يا رسول الله ألا نصنع لك فراشاً وذكر له ما عند كسرى وقيصر من الأسـرّة والأرائك . قال النبي ﷺ وهو كالمغضب : (**يا عمـر أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**) وهذا يعني أن النبي ﷺ ترفع عن زخرف الحياة الدنيا ومتاعها القليل والزائل رغبة فيما عند الله من النعيم المقيم ؛ وظهر هذا الترفع السامي في تواضع عيشه وبيوته ومسجده ، وحين خير بين البقاء في الدنيا إلى نهايتها وبين لقاء ربه اختار لقاء ربه .

وخُيِّـر المختـار فـي البـقـاء في هـذه الـدار وفي اللقـاءِ
لـربـه فـاختـار أن يـلقـاه صـلى عـليـه الله مـا أرقـاهُ

ولم يرض ﷺ وضع أقل زينة في بيوته ، ولهذا لما عاد النبي ﷺ من غزوة دومة الجندل وجد أم المؤمنين (أم سلمة) رضي الله عنها بنت حجرتها ـ ولا أقول قصرها ـ باللبن وطينت سقفها بالطين لأنه كان يخر بالماء إذا نزل المطر ، فلما رأى النبي ﷺ ذلك قال لأم سلمة لِمَ فعلت هذا ؟ فقالت : يا رسول الله أردت أن أكف أبصار الناس فقال لها : (**يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنيان**) . وهذا لا يعني أنه يحرم على الإنسان أن يتخذ لنفسه داراً لسكناه أو داراً يكتسب بكرائها فالكسب بالتجارة والإجارة حلال لأمته ﷺ وإنما المراد تقبيح التطاول في البنيان والتفاخر بزخرفتها وتجميد الأموال في الحجر والطين حتى لا يستفيد منها قريب أو بعيد ، وحتى تقام بهذه الأموال المشاريع الحية التي تفيد الأمة وتساعد في الرخاء .

وقد بنى النبي ﷺ مسجده الشريف بالجريد والطين كما بنى حجراته الشريفة بنفس الشيء وترك الكثير مساحة من المسجد رحبة غير مسقوفة ، وكان ارتفاع مسجده الشريف في بنائه الأول خمسة أذرع وبعد فتح خيبر بناه ووسعه وجعل ارتفاعه سبعة أذرع كما تقدم .

فهل عرف هذا أهل زماننا الذين تطاولوا في البنيان وتفاخروا في ناطحات السحاب . وهل عرفوا أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان إذا مدّ يده مس سقف حجرة النبي ﷺ وكان من أقصر الصحابة رضي الله عنهم ، ومتاع الدنيا زائل .

منبـرُ النبي ﷺ وما ورد فيـه

كان النبي عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة في المسجد وكان هذا الجذع بين مكان المنبر والمحراب أقرب إلى الأسطوانة المخلقة ولما شق على النبي ﷺ القيام اتخذ منبراً يجلس عليه ويخطب وفي الصحيح أنه ﷺ أرسل إلى امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار يقول لها : (**انظري غلامك النجار يعمل لي أعواداً أكلم الناس عليها**) فعمل هذه الدرجات الثلاث ثم أمر بها فوضعت في هذا المكان فأصبحت منبره الشريف في مكانه الدائم وكانت هذه الأعواد من طرفاء الغابة ، والغابة موضع كثير الشجر على بعد خمسة وعشرين كيلاً شمالي المدينة وتعرف الآن (بالخُليل بالتصغير) .

فلما تحوّل النبي ﷺ بخطبته إلى المنبر عن الجذع قام الجذع بحنين إلى النبي ﷺ مثل حنين الناقة التي فقدت ابنها وارتفع حنينه حتى أحزن الصحابة رضي الله عنهم فنزل إليه النبي ﷺ واحتضنه وسارَّه بحديث (**إن شئت عادت إليك خضرتك ونضرتك وإن شئت دعوت الله أن يجعلك من غراس الجنة**) فاختار الجذع أن يكون من غراس الجنة وسكت عن الحنين . ودفن هذا الجذع فيما بعد تحت المنبر من جهة القبلة .

وقد ورد في منبره الشريف أحاديث تدل على فضله فقد روت أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : (**قوائم منبري رواتب في الجنة**) وهذا يعني أن هذا المنبر بذاته يعيده الله يوم القيامة على حاله فينصبه عند حوضه ﷺ كما يعيد الله تعالى الخلائق يوم البعث .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**منبري على ترعة من ترع الجنة**) والترعة الروضة أو الباب أو الدرجة . وفي سنن أبي داود من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار أو وجبت له النار**) وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم لهذا المنبر فضله وأنه حظي بوقوف النبي ﷺ وجلوسه عليه .

ولما ولي الصديق رضي الله عنه الخلافة قام في خطبته على درجة المنبر الثانية تأدباً مع رسول الله ﷺ حيث كان يجلس على المنبر ويضع قدميه على الدرجة الثانية . ولما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة قام في خطبته على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الأرض تأدباً مع رسول الله ﷺ وتأدباً مع الصديق رضي الله عنه . وهكذا يكون الأدب والتعظيم لرسول الله ﷺ وهكذا يكون التأدب أيضاً مع أصحابه رضوان الله عليهم ، وفي عهد معاوية رضي الله عنه قام بكسوة المنبر الشريف بقبطية وزاد فيه ست درجات فأصبح تسع درجات ولم يزد فيه أحد قبل معاوية ولا بعده غير أنه جدد عدة مرات وغير بمنابر جميلة مزخرفة وضعت في مكانه . وقد نظمتُ ما مر به المنبر الشريف من أدوار في قولي :

ودرجـاتُ المنبـر الشَّمَّـاءُ ثـلاثـةٌ[1] خشبهـا الـطرفـاءُ
وظـل هكذا في عهـد الخلفـا ونـزلـوا مكـرّمين المصـطفى
صيـره تسعـاً كـذا كسـاه نجـل أبي سفيـان إذ عـلاهُ
وبعد أن شب الحريق في الحرمْ اتحفـه بيبـرسُ منبـراً أتـمْ
في سابـع القـرون والحـريق نـاء عن الحجـرة يـا صـديقُ
وبـعـد ذا جـدده بـرقـوق ثـم المـؤيَّـد كـمـا يـليـق
بمسجـد النبي خيـر الخلق شفـيـع كـل أمـة بـالـحقِّ
ثم بنـاه سـاكنـو المـدينـة بعـون مصـر القلعـة الحصينـة
أهـداه قـايتبـايُ منبـراً زهى بـزخـرف ولـقبـاءٍ آنـتـهـى
وهـو الذي يـوجد هـذا اليـوم ومنبـر إلـى المـرادي نـمـى
وهـو الـذي حـظي بـالبقـاءِ بـه حـدود الـروضـة الغـرّاءِ

ولما قدم المهدي العباسي المدينة قال لمالك بن أنس إمام المدينة : إني أريد أن أعيد منبر رسول الله ﷺ على حاله ، قال له مالك إنما هو من طرفاء وقد سُمّر إلى هذه العيدان وشُدّ وأخْشى إن نزعته أن يتهافت فيهلك فلهذا لا أرى أن تغيره .

أما طول المنبر الشريف في عهده ﷺ فقد كان ذراعين وثلاثة أصابع ، وأما عرضه فذراع راجح وطول صدره الـذي كان النبي ﷺ يستنـد إليه ذراع واحد .

(١) ذكرت العدد بالتاء لتقدم المعدود وذلك يبيح الوجهين كما في الصبان .

محـــــــراب ﷺ

عرفنا فيما سبق أن النبي ﷺ صلى إلى قبلة بيت المقدس ستة عشر شهراً وأن مكان صلاته عند العمود الخامس شمالي أسطوانة عائشة وغربي ما يسمى اليوم (دكة الأغوات) وبعد تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام حوله النبي ﷺ من شمالي المسجد إلى جنوبيه وصلى عند أسطوانة عائشة مدة شهرين أو أربعة شهور ، ثم تقدم إلى الأسطوانة المخلقة وصلى عندها أياماً وكان ذلك موقفه في الصلاة وفيه بني محرابه الشريف ، وفي زيادة عمر رضي الله عنه قدم محراب الإمام إلى نهاية زيادته جنوباً ، وفي زيادة عثمان رضي الله عنه وقف في محرابه العثماني الذي يقف فيه الإمام حتى الآن .

أما المحراب الذي يوجد الآن عن يمين المنبر الشريف فقد بناه السلطان سليمان ويعرف بالمحراب السليماني وذكر في سبب بنائه أن إمام المسجد في تلك الأيام كان بدعياً وترك الناس الصلاة خلفه فأمر السلطان سليمان ببناء هذا المحراب سنة تسعمائة وثمانية فصار الناس يصلون عنده بعد انصراف الإمام البدعي .

بعض دور المهاجـــرين التي كانت ملاصقة للمســـجد النبـــوي الشـــريف

من المعلوم أن أرض المسجد النبوي الشريف التي اشتراها رسول ﷺ كانت بستاناً كبيراً وبنى مسجده الشريف في جزءٍ من هذا البستان وخط لبعض المهاجرين منه دوراً كما بنى حجراته الشريفة محيطة بالمسجد .

وأول ما بنى من حجراته حجرة عائشة ثم حجرة سودة ، وقد تقدم أن حجراته كانت من الركن الجنوبي الشرقي ومن الجهة الشرقية والشمالية حتى باب الرحمة في الركن الشمالي الغربي وقد تقدم في موضوع تحديد الروضة الشريفة رسم يبين مواقع الحجرات الشريفة .

أما دور المهاجرين التي كانت ملاصقة للمسجد النبوي الشريف فمنها :

١ ـ دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي حجرة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وكانت شرقي المسجد يفصلها عن حجرة عائشة رضي الله عنها زقاق ضيق (خوخة علي رضي الله عنه) وكانت لحجرتها نافذة على حجرة عائشة تطل منها على والدها عليه الصلاة والسلام ثم سدت هذه النافذة فيما بعد لأمر اقتضى ذلك .

ولما أمر النبي ﷺ بسد الخوخ المفتوحة على المسجد استثنى خوخة علي وخوخة الصديق رضي الله عنهما كما سيأتي في موضوع أبواب المسجد إن شاء

الله وظلت هذه الحجرة الشريفة يتوارثها أبناء علي وفاطمة حتى أدخلها الوليد بن عبد الملك مع الحجرات في المسجد .

٢ ـ دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت في الناحية الغربية للمسجد النبوي الشريف وكانت لها خوخة تنتهي إلى باب المسجد النبوي الشريف وأصبح مكان هذه الدار اليوم في داخل المسجد من الناحية الغربية بعد آخر عمود من المسجد النبوي الشريف القديم والمكتوب عليه (حد مسجد النبي ﷺ) .

٣ ـ دار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكانت غربي دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودخل جزء منها في توسعة عمر بن الخطاب كما وقع لدار الصديق ثم أدخل عثمان رضي الله عنه ما بقي من هاتين الدارين في توسعته .

٤ ـ دار سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكانت تقع إلى الغرب الجنوبي لدار الصديق رضي الله عنه إلى باب السلام الذي يقع في نهايتها الغربية وقد دخل معظمها في توسعة عثمان رضي الله عنه .

٥ ـ دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث المعروفة بالجنابذ ، والجنابذ ، جمع جنبذة وهي القباب . قال أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط في القرائن وهي دور عبد الرحمن بن عوف :

---

(١) وكانت تعرف بدار القـراء .

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا بقيع المصلى أم كعهدي القرائن

ودخلت دور عبد الرحمن هذه في توسعة المسجد في أيام الوليد بن عبد الملك رغمًا عن آله كما سيأتي ، وضاع لهم فيها متاع كثير هدمت عليه .

ملاحظـــة : من المعلوم أنه ﷺ قطع الدور للمهاجرين مما كان تابعاً لأرض المسجد ومما ليس مملوكاً ومما أهداه له أحد الأنصار ليجعله فيما يشاء . انظر وفاء الوفا ج ٢ ص ٧١٨ .

٦ ـ دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ التي خطها له وشارك في بنائها بيده الشريفة ورفع العباس ليضع مرزابها في مكانه وكان يصب هذا المرزاب ماء المطر داخل المسجد النبوي الشريف في مكان منه غير مسقوف وستأتي قصة إدخال عمر رضي الله عنه لهذه الدار في توسعته للمسجد النبوي إن شاء الله . وموقع هذه الدار قبلة المسجد النبوي مما يلي مكان المحراب الذي أحدثه العثمانيون أي عند الأسطوانة الخامسة بعد المحراب النبوي الشريف غرباً ودخلت هذه الدار في المسجد النبوي في زيادة عمر رضي الله عنه بعد أن تصدق بها العباس على المسلمين .

٧ ـ دار سبرة بن أبي رهم رضي الله عنه وكانت عند الأسطوانة المربعة اليمانية الغربية وتحدها من الشرق دار عمار بن ياسر التي كانت خلف المحراب النبوي الشريف إلى الغرب قليلاً ودخلت في توسعة عمر رضي الله عنه .

٨ ـ دار جعفر بن أبي طالب وكانت بين دار العباس ودار عمار من الناحية القبلية ولقد خطها له رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر حين رجع جعفر رضي الله عنه من هجرة الحبشة وقد أدخلها عمر رضي الله عنه في المسجد عند توسعته .

٩ ـ دار عبد الله بن زمعة وهو أخو أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها وكانت هذه الدار تحد دار أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما من الجنوب يعني أنها في إطار مكان موقف الزوار اليوم أمام مواجهة المصطفى ﷺ .

١٠ ـ أطم حساب بن ثابت رضي الله عنه وداره : وكان يسمى هذا الأطم الفارع وموقعه في محل باب الرحمة اليوم وكان النبي ﷺ يدخل أهله في هذا الحصن إذا وقع قتال حول المدينة المنورة كما حصل في غزوة أُحد والخندق وهذا الحصن هو الذي قتلت فيه صفية عمة الرسول ﷺ اليهودي الذي جاء يتطلع عورات أهل بيت النبي ﷺ كما سيأتي في غزوة الأحزاب إن شاء الله .

ومن خلال ما أوردناه عرفنا أن دور أكابر المهاجرين كانت حول المسجد النبوي الشريف وهذا ما ينبغي لأهل العلم والجاه أن يقتدوا به ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً حتى لا تفوتهم الصلاة فيه وحتى لا يتخلفوا عن أمر يهم المسلمين ينعقد فيه .

ولقد تركت ذكر كثير من دور الصحابة حول المسجد النبوي كما تركت الكلام على البلاط وعلى سوق الحدرة وعلى دار مالك بن النجار لزوال معالم

كل ذلك وعدم وجود أي شيء يمكن للقارىء أن يعرف به شيئاً . كما تركت الكلام على أسوار المدينة وإن كنت أدركت بعضاً منه وشاهدت أبوابه وهي :

١ ـ باب المصلى الذي عرف بباب المصري ويبعد عن عتبة باب السلام بستمائة وخمسة وأربعين ذراعاً وقد أزيل هو والسوق المحيط به والذي كان يعتبر السوق المركزي للمدينة المنورة منذ بضع سنوات .

٢ ـ باب من الناحية الغربية للمدينة والذي كان يعرف بباب الكرمه ولا يزال الحي يحمل اسمه حتى الآن .

٣ ـ باب من الناحية الغربية الشمالية : وكان يعرف بـ (الباب الشامي) .

٤ ـ باب من الناحية الشرقية جهة البقيع على بعد أربعمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً عن باب جبريل وقد اختفت هذه الأبواب كما اختفت الأسوار ولهذا لا داعي لبسط الكلام عليها .

أساطين المسجد النبوي الشريف

كانت أعمدة المسجد النبوي الشريف من الخشب في عهد النبي ﷺ وورد أن أبا بكر الصديق رأى بعضها أكلته الأرضة فأبدله بأعمدة أخرى من الخشب ، ولكن عمر رضي الله عنه غير أعمدة المسجد النبوي وبناها باللبن لأول مرة ولم يغير مكانها ، وكذلك الخلفاء الذين جددوا ووسعوا المسجد النبوي الشريف بعده فلم يغيروا مكان أعمدته على مر الزمان مما ترك

للمسلمين فرصة التعرف على مكان هذه الأعمدة وتوخي ما ورد في أمكنتها من فضل وبركة .

والصلاة في المسجد النبوي كله مضاعفة بألف صلاة فيما سواه ولكن في الروضة الشريفة معنىً وفضلاً زائداً على ذلك ، وحيث إن كثيراً من أساطين الروضة الشريفة ارتبط بمناسبات في عهد النبي ﷺ وأطلق عليه اسم خاص يشير إلى تلك المناسبات ، وحيث إن الكثير من الصحابة ومن بعدهم من السلف كان يتحرى الصلاة عند تلك الأساطين التي لا يخلو ما أحاط بها من فراغ وهواء جوٍّ من أن يكون لامس بدن النبي ﷺ في مروره بينها وجلوسه عندها ، وبما أن أمكنة جلوسه ﷺ عند هذه الأسطوانات وغيرها من أماكن المسجد النبوي كانت محلاً لنزول الكثير من الآيات القرآنية وورود الأحاديث النبوية وارتياد جبريل عليه السلام على النبي ﷺ :

لهذه المعاني كلها خصصت باباً مستقلاً لهذه الأساطين وتركت ما سواها ، وطالما ظل خلفاء الإسلام وسلاطين المسلمين وملوكهم يحرصون على إبقائها في أمكنتها ويكتبون عليها أسماءها كلما جدد بناء المسجد النبوي الشريف مما جعل هذه الأساطين معروفة في أماكنها وبأسمائها المكتوبة عليها إلى وقتنا هذا وإليك أسماءها مع ذكر ما حدث عندها من مناسبات :

١ ـ **أسطوانة عائشة رضي الله عنها** : وهي التي تلي أسطوانة التوبة من جهة الغرب وتقع هذه الأسطوانة في وسط الروضة الشريفة وقد اتخذ النبي ﷺ مكانها مصلى بعد تحويل القبلة مدة شهرين أو ثلاثة ثم تحول إلى

مكان مصلاه الذي في نهاية جدار المسجد القبلي حيث هو الآن عند الأسطوانة المخلقة (أي المطيبة) فأصبحت هذه الأسطوانة خلفه ، وكان عمر والصديق وأفاضل الصحابة رضي الله عنهم يفضلون الصلاة عندها وكان أفاضل أبناء المهاجرين من التابعين يعتادون الجلوس عندها ، حتى قيل لمجلسهم : مجلس القلادة . وسبب تسميتها بأسطوانة عائشة رضي الله عنها أن بعضاً من الصحابة رضي الله عنهم كانوا جلوساً عند عائشة رضي الله عنها ومعهم ابن أختها التابعي الفقيه (عروة بن الزبير) فقالت عائشة رضي الله عنها : إن في المسجد أسطوانة لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالأسهم . فسألوها عنها فأبت أن تعينها لهم ثم بعد قيامهم سارَّتْ ابن الزبير بشيء ثم قام واتجه إلى هذه الأسطوانة وصلى عندها . وكان بعض أولئك الصحابة يرقب ماذا سيفعل فلما صلى عندها جاؤوا وصلوا في مكانه فسميت هذه الأسطوانة بعد ذلك (أسطوانة عائشة) كما هو مكتوب الآن في أعلاها ، كما سميت أيضاً بأسطوانة القرعة لرواية (**لاقترعوا عليها بالسهام**) وروى بعض التابعين عن زيد بن أسلم أنه رأى موضع جبهة رسول الله ﷺ عند هذه الأسطوانة وأنه رأى بعد ذلك موضع جبهة أبي بكر الصديق دونها ثم رأى موضع جبهة عمر دون موضع جبهة أبي بكر رضي الله عن الجميع مما يؤكد أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يعرفان فضل الصلاة عند هذه الأسطوانة ، وقد ورد أيضاً أن الدعاء عندها مستجاب .

ومن المعلوم أن موضع جبهة النبي ﷺ ثم جبهة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كان على التراب قبل أن يفرش المسجد بالبلاط فليتنا حظينا ببقاء ذلك

التراب لنمرغ وجوهنا في مكان وضع فيه النبي ﷺ جبهته الشريفة كما فعل ابن مايابا العالم المجتهد حين دخل في غار حراء وقال :

أُمــرغ في حـراءَ أديم خــدي دواماً بـالـغـداة وبـالعـشيِّ
لـعلِّي أن أمسَّ بـحُـرِّ وجهـي تـرابـاً مسَّـه قـدمُ الـنـبـيِّ

٢ ـ **أسطوانة الوفود** : وهي الأسطوانة التي كان النبي ﷺ يجلس عندها لوفود العرب القادمة عليه لكي تبايعه على الإسلام وهي التي وقع عندها نداء بني تميم من وراء الحجرات حيث نادوا رسول الله ﷺ وقالوا : (يا محمد اخرج لنا نفاخرك) فأنزل الله تعالى في شأنهم قوله : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** . . ﴾ فخرج إليهم الرسول ﷺ وجلس لهم عند هذه الأسطوانة فجاء وفد بني تميم وقدموا خطيبهم عطارد[1] بن حاجب ، وقال : (الحمد لله الذي له علينا الفضل ـ وهو أهله ـ الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل منها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً وأشده عدة فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس وأولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثلما عددناه وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنا تنحينا عن الإكثار وأقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأمرٍ أفضل من أمرنا .) فأمر النبي ﷺ ثابت بن قيس أن يجيبه فقال ثابت بن قيس رضي الله عنه (الحمد لله الذي السمـٰوات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط إلا

(١) انظر شرح ديوان حسان للبرقوقي ص ٢٩٦ .

من فعله ثم أن كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خلقه رسولاً أكرمه نسباً وأصدقه حديثاً وأفضله حسباً فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً وخير الناس فعالاً ثم كنا أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله ﷺ نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله متع بماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم) .

فقام الزبرقان[1] بن بدر شاعر بني تميم وقال :

نحن الكرام فلا حيٌّ يُعادلُنا ... منَّا الملوكُ وفينا يقسم الرُّبُعُ
وكم قسرنا من الأحياءِ كلهمُ ... عند النهاب وفضل العزِّ يتبعُ
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزعُ
ثم ترى الناس تأتينا سراتُهمُ ... من كل أرض هويًّا ثم نصطنعُ
فننحر الكرم عبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهمْ ... إلا استقادوا وكانوا الرأس يقتطعُ
إنا أبينا ولم يأب لنا أحدٌ ... إنّا كذلك عند الفخر نرتفعُ
فمن يقادرُنا في ذاكَ يعرفُنَا ... فيرجع القوم والأخبار تستمعُ

(١) بكسر الزاي مأخوذ من الجمال .

فدعا رسول الله ﷺ شاعره حسان بن ثابت فجاء من السوق وهو يدخل لسانه في منخريه لطوله وأمره بأن يجيب شاعر بني تميم فارتجل حسان فوراً في نفس الوزن والقافية :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بيّنوا سنة للناس تتبعُ
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجيّةٌ تلك فيهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدعُ
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبعُ
ولا يضنّون عن مولًى بفضلهم ... ولا يصيبهم في مطمع طبعُ
لا يجهلون وإن حاولت جهلهمُ ... في فضل أخلاقهم عن ذاك متّسعُ
أعفّةٌ ذُكرت في الوحي عفتهمْ ... لا يقبعون ولا يرديهم طمعُ
كم من صديق لهم نالوا كرامته ... ومن عدو عليهم جاهل جدعوا
أعطوا بي الهدى والبر طاعتهم ... فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا
إن قال سيروا أجروا السَّير جهدهمُ ... أو قال عوجوا علينا ساعة ربعوا
ما زال سيرهم حتى استقاد لهم ... أهل الصليب ومن كانت له البيعُ
خذ منهمُ ما أتى عفواً إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاترك عداوتهم ... شرًّا يخاض عليه الصَّاب والصّلعُ[1]

(١) الشيء المر المذاق .

نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جُزُعُ
كأنهم في الوغى والموت مكتنعٌ أسدٌ ببيشة في أرساغها فدعُ
إذا مضينا لقوم لا ندبٌ لهم كما يدبُّ إلى الوحشية الذُّرُعُ
أكرم بقوم رسول الله شيعته إذا تفرقت الأهواءُ والشِّيعُ
أهدي لهم مِدَحي قلبٌ يؤازره فيما يحبُّ لسان حائكٌ صَنَعُ
فإنهم أفضل الأحياءِ كلهم إن جدَّ بالناس قول الجدِّ أو شمعوا[1]

فعند ذلك قال الأقرع بن حابس التميمي : وأبي إن هذا الرجل لمؤ تى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا ثم أسلم وفد بني تميم وجوّزهم الرسول ﷺ فأحسن جوائزهم ، قال ناظم عمود النسب .

قومٌ ونادوا من وراء الحجراتْ وفاخرت وأسلمت تلك الحماتْ

وعند هذه الأسطوانة أيضاً قدم على النبي ﷺ ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر فلما أقبل ووقف على الرسول ﷺ وأصحابه ولم يكن يعرف الرسول ﷺ فقال أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال الرسول ﷺ أنا ابن عبد المطلب فقال له ضمام : أمحمد يا بن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدنَّ في نفسك فقال ﷺ لا أجد في نفسي قل عما بدا

(١) شمعوا : طربوا وفرحوا . وقد وردت في شعر القطامي :
سأبدئهم بمشمعة وأثني بجهدي من طعامٍ أو بساطِ

لك . فقال ضمام : أنشُدك الله إلهك وإلـه من كان قبلك وإلـه من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال ﷺ : اللهم نعم ، قال ضمام : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آ لله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ فقال ﷺ : اللهم نعم ، ثم جعل ضمام يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة وبنفس الأسلوب ثم قال في النهاية : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص ثم انصرف إلى بعيره راجعاً فقال رسول الله ﷺ : (**إن صدق ذو العقيصتين**[1] **دخل الجنة**) وكم عند هذه الأسطوانة من مناسبات من حوار بين النبي ﷺ وبين وفود العرب كالذي وقع بينه وبين وفد نجران وغيره .

٣ ـ **أسطوانة التوبة** : وهي الأسطوانة التي ربط فيها الصحابي الجليل (أبو لبابة) الأنصاري رضي الله عنه نفسه وظل فيها أسيراً وقال والله لا أفك هذا الأسر عن نفسي حتى يتوب الله عليَّ ويحلني الرسول ﷺ بيده وقصة أبي لبابة هذه سببها أن النبي ﷺ عندنا حاصر يهود بني قريظة بعد غدرهم بعهده وانضمامهم إلى معسكر الأحزاب فلما طال عليهم الحصار وامتلأت قلوبهم من الرعب وضاقت الأرض بهم وجهلوا النكاية التي سوف تحل بهم فطلبوا من النبي ﷺ أن يبعث إليهم أبا لبابة رضي الله عنه لأنه كان

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٥٧٣ .

حليفاً لهم قبل الإسلام لكي يتفاوض معهم فلما جاء إليهم أرسلوا الصبيان في وجهه يجأرون وصاحت نساؤ هم مستعطفة لرحمته ثم حاولوا استغلال عاطفته فقالوا له : ماذا ترى ؟ أننزل على حكم محمد ؟ فقال لهم : إن نزلتم على حكم محمد (وأشار بيده إلى حلقه) يعني سوف يذبحكم . فقال أبو لبابة فوالله ما تحركت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فلم يعد إلى الرسول ﷺ بل ذهب مسرعاً للمسجد النبوي وربط نفسه في هذه الأسطوانة . فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرت له . وبعد انتهاءِ حصار بني قريظة عاد النبي ﷺ إلى المدينة ولا يزال أبو لبابة مستأسراً في ساريته فتأتيه بنته وتطلقه للصلاة وقضاء الحاجة ثم تعيده إلى أسره . وقد كان رسول الله ﷺ قال : (**أما إذ فعل بنفسه ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**) فلما أنزل الله توبته على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها ، فتقول أم سلمة : لقد سمعت رسول الله ﷺ السحر يضحك ، فقلت : مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك ؟

قال : (**تيب على أبي لبابة**) .

فقالت أم سلمة : ألا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها (والحجاب لم يضرب بعد) وقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك . وهذا يعني أن دارها كان بابها مفتوحاً على المسجد فلما سمع الناس التوبة على أبي لبابة ثاروا إليه ليطلقوه من أسره ، فقال : لا والله حتى

يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه الرسول ﷺ بعد صلاة الفجر أطلقه من الأسر وقد أشار ناظم المغازي إلى هذا بقوله :

واستنبأوا أبا لبابة الخبرْ فرقّ للعهد الذي بهم عبْر
أن جأرت في وجهه الصبيانُ واستعطفت رحمته النسوانُ
ففتنوه وانتحى عن بلد عصى به وشاط نحو المسجد
فقام فيه برهةً مرتبطا وحَلَّه خير الأنام بيديهْ
فتاب من هفوته الله عليه وحله خير الأنام بيديهْ

وهذه الأسطوانة مكتوب عليها حتى الآن (أسطوانة أبي لبابة) وتعرف بالتوبة وتقع إلى الشرق من أسطوانة عائشة . وهذه الأسطوانة أيضاً هي التي أسر النبي ﷺ فيها ثمامة بن أثال سيد اليمامة حين جاء به الصحابة في سرية أسيراً فأكرم النبي ﷺ أسره وكان يبعث إليه كل يوم بلبن عدة شياه فيشربه كله وكان ثمامة في أسره يراقب تصرفات المسلمين وأفعالهم فرأى من التقوى والمحبة والتعاطف والتواضع وكثرة العبادة ما لم ير في حياته فدخل في قلبه حب الإسلام وأعجب بأهله وأضمر في نفسه الدخول في الإسلام ولكن أنفة الزعامة والعزة جعلته يؤخر إسلامه إلى نهاية أسره ، وكان إذا قال له الرسول ﷺ أسْلم يا ثمامة يرد عليه بقوله يا محمد إن تنعم عليَّ تنعمْ على شاكر وإن تقتلني تقتل ذا دم . وفي اليوم الثالث من أسره أمر النبي ﷺ بإطلاق ثمامة من أسره وقال له اذهب حيث شئت . فذهب ثمامة واغتسل وفاجأ المسلمين بإعلان إسلامه .

إن حكمة الأسر في المسجد لحكمة عظيمة حيث تمكن الأسير من معرفة الإسلام والوقوف على حقيقة أهله مما يدفع الأسير للدخول في الإسلام ، وهذا ما وقع لثمامة ، وبعد أن أسلم أتي باللبن الذي كان يشربه كل يوم فلم يشرب منه إلا لبن الشاة الواحدة فقال النبي ﷺ : (**سبحان الله إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل في معيٍّ واحد**) .

وورد أن النبي ﷺ كان يصلي أكثر نوافله عند أسطوانة التوبة وتقع عن يمين حجرة النبي ﷺ ضمن أسطوانات الروضة الشريفة .

٤ ـ **الأسطوانة المخلقة (أي المطيبة بطيب الخلوق)** : وهي الأسطوانة الملاصقة لمصلى النبي ﷺ من جهة القبلة ، وكان النبي ﷺ يصلي إليها بعد تحوله عن أسطوانة عائشة رضي الله عنها ولكن هذه الأسطوانة اليوم متقدمة عن محلها الأصلي إذ محلها الأصلي عن يمين الإمام إذا وقف في المصلى الشريف .

وروى يزيد بن عبيد أنه كان يجيء مع سلمة[1] بن الأكوع إلى سبحة الضحى (أي صلاة الضحى) فيعمد سلمة إلى مكان الأسطوانة المخلقة ويصلي عندها سبحة الضحى ، فقال له يزيد : ألا تصلي في مكان آخر من المسجد ؟ فقال له سلمةإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى هذا المقام ، وهذا الحديث مروي في الصحيحين وفي صحيح البخاري عن يزيد بن عبيد (كنت

(١) صحابي جليل وأحد سباق العرب ، وقد سبق الخيل يوم غزوة الغابة على قدميه ورمى العدو وقتل منهم ، ففرض له الهادي ﷺ سهمين لأنه سبق الخيل على قدميه .

آتي مع سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف ـ أي المخلقة ـ فقلت يا أبا سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها) .

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع أنه كان يتحرى موضع المصحف يسبح فيه وذكر أن النبي ﷺ كان يتحرى ذلك . فرضي الله عن سلمة وجميع الصحب الكرام فإن استطعت أيها المسلم أن تتحرى بصلاتك ونوافلك المكان الذي كان النبي ﷺ يتحرى الصلاة فيه فافعل ، ولكن احذر من أن تضر أحداً من الجالسين والقاصدين من الفضل مثلما تقصد حتى لا يتسبب ذلك في إحباط عملك .

وهذه الأسطوانة اليوم يرتكز عليها المحراب النبوي الشريف ومكتوب في أعلاها (الأسطوانة المخلقة) وسبب تسميتها بذلك أن النبي ﷺ رأى عليها نخامة فساءه ذلك فقام أحد الصحابة وحك النخامة وطيب مكانها بطيب يسمى الخلوق فسر النبي ﷺ لذلك واعتبر هذا أول تطييب للمسجد النبوي .

٥ ـ **أسطوانة السرير** : وهي الأسطوانة التي تقع في مكان اعتكاف النبي ﷺ وكان يوضع له عندها سرير وكان هذا السرير من جريد النخل وفيه السعف ولا تظن أنه أريكة وثيرة فإن ذلك من نعيم الدنيا الزائل الذي ترفع عنه النبي ﷺ وفضل عليه نعيم الآخرة :

وراودته الجبال الشمُّ من ذهبٍ عن نفسه فأراها أيّما شمم

وتقع هذه الأسطوانة شرقي أسطوانة التوبة وليس بينهما أسطوانة أخرى وهي اليوم ملاصقة لشباك الحجرة الشريفة ، وأول من عمل حظيراً على الحجرة الشريفة السلطان قايتباي ، وعندها كان ﷺ يُقْرِعُ بين نسائه . ومن مكان اعتكافه عليه الصلاة والسلام هذا كان يعطي رأسه لعائشة رضي الله عنها وهي في داخل باب حجرتها لتسرحه وترجله كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح .

٦ ـ **أسطوانة المحرس ، أو الحرس** : وكانت تسمى أيضاً أسطوانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه كان يجلس عندها حارساً للنبي ﷺ قبل أن يترك الحراس فلما نزل عليه قوله تعالى ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ ترك الحراس حينئذ . قال ناظم السيرة النبوية عبد العزيز اللمطي :

وتـــرك الحـــراس لمـــا أخبـــرا بعصمـة الله لـه خـير الـورى

ومن أشهر حراسه ﷺ : سعد بن معاذ يوم بدر ، ومحمد بن مسلمة يوم أحد ، وبلال بن رباح في وادي القرى . وتقع هذه الأسطوانة خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصلي عندها فيجعلها خلف ظهره ، واعتاد الأمراء بعده الجلوس عندها والصلاة وكان يطلق أيضاً على الجالسين عندها (مجلس القلادة) وإن كان الأصح أن ذلك لمن يجلس عند أسطوانة الوفود كما تقدم .

وترتيب هذه الأسطوانات : المخلقة عند المحراب ، وأسطوانة عائشة خلفه إلى اليسار قليلاً ، والتوبة على يسارها ، ثم السرير عن يسار هذه ، ثم

الوفود خلف ذلك شمالاً ، ثم الحرس خلف الوفود ، ومكتوب في أعلى كل واحدة اسمها .

وبداخل الشباك أسطوانات أخرى لا تمكن الصلاة عندها منها أسطوانة مربعة القبر ، وأسطوانة التهجد وهي التي كانت في مكان تهجده ﷺ من الليل .

وكانت أعمدة المسجد النبوي الشريف من خشب فلما بني المسجد بغير الخشب وضعت الأسطوانات البنائية في مكان تلك الأعمدة الخشبية وأول من جعل أساطين المسجد طيناً عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى الأرضة[1] أكلت أسفلها كما تقدم .

أبواب المسجد النبوي الشريف في حياته ﷺ

عندما بنى النبي ﷺ مسجده الشريف جعل له ثلاثة أبواب :

١ ـ **باب في مؤخرته من جهة الجنوب** : وكانت القبلة إلى الشام .

٢ ـ **باب في الركن الشمالي الغربي** : وهو باب عاتكة وهو الذي أصبح يعرف بـ (باب الرحمة) .

وعاتكة هذه هي بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ التي ذكر إسلامها

---

(١) الأرضة : الدويبة في حجم النملة لونها أبيض تأكل الأخشاب .

في بعض الروايات وأنها دفنت في البقيع (بقيع العمات) شمالي باب البقيع الشمالي بعد الدخول .

٣ ـ **باب عثمان رضي الله عنه** : وهو الذي كان يدخل منه النبي ﷺ وكان يعرف قبل هذه التسمية بباب النبي ﷺ وأصبح يعرف بباب جبريل : فهذه أبواب المسجد قبل تحويل القبلة أما بعد تحويلها فقد سَد الباب الجنوبي وفَتح مقابله باباً من جهة الشمال وجَعل باباً عن يمين المصلى وآخر عن يساره وفي مكانهما اليوم بابان في الدربزين عن يمين وشمال المحراب النبوي الشريف .

وهكذا أصبح للمسجد النبوي الشريف بعد تحويل القبلة خمسة أبواب غير الخوخ التي سوف يأتي ذكرها إن شاء الله والأبواب هي :

١ ـ باب عثمان الذي تقدم ذكره .

٢ ـ باب في الشمال جهة القبلة إلى بيت المقدس .

٣ ـ باب عاتكة (باب الرحمة) .

٤ ـ باب عن يمين المحراب الشريف .

٥ ـ باب عن يسار المحراب الشريف .

ومن الباب الذي عن يمين المحراب دخل الأعرابي والنبي ﷺ على منبره في خطبة الجمعة وقال يا رسول الله هلكت الأموال والأنفس من القحط وقلة المطر فادع ربك ليسقينا . فدعا النبي ﷺ ربه فخرجت سحابة من وراء سلع

وليس بين المسجد وبين سلع بيت فغطت السماء فأمطروا سبتاً (أي أسبوعاً) ثم دخل هذا الرجل نفسه ومن نفس الباب في الجمعة الثانية وقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل من كثرة المطر فادع ربك يرفع عنا المطر فتبسم النبي ﷺ وقال (لو كان الشيخ هنا لقرت عينه) فقال أبو بكر رضي الله عنه كأنك تعني يا رسول الله قول أبي طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمة وفواضل

ثم قال ﷺ : (**اللهم حوالينا ولا علينا**) فيقول راوي الحديث إن السحاب كان ينقشع ويميل مع يده ﷺ حيثما أشار حتى أصبحت السماء صحواً .

أبواب المسجد في عهد عمر رضي الله عنه

وفي عهد عمر رضي الله عنه لما وسع المسجد النبوي جعل له ستة أبواب : بابين عن يمين القبلة ، وبابين عن يسارها ، وبابين خلفها ، وترك باب جبريل وباب الرحمة على ما كانا عليه فأصبح للمسجد في عهده ثمانية أبواب ، وتوجد أربع فتحات في دربزين القبلة في مكان الأبواب يمين وشمال المنبر حتى اليوم .

أبـواب المسـجد في عهــد عثمـان رضي الله عنه

أما عثمان رضي الله عنه فإنه لما جدد المسجد النبوي الشريف ووسعه لم يحدث فيه باباً جديداً وترك أبوابه على ماكانت عليه في توسعة عمر رضي الله عنه .

أبـواب المسـجد في عهــد الوليـد بن عبد الملك

أما الوليد بن عبد الملك فإنه لما بنى المسجد ووسعه على يد واليه في المدينة عمر بن عبد العزيز رحمه الله فإنه جعل للمسجد عشرين باباً : ثمانية من جهة المشرق وأبواب في الشمال وأبواب في الغرب منها باب السلام وكان يعرف قديماً بباب الخشية وباب مروان لوجود داره هناك .

الخُـوَخْ التي كانت مفتوحة على المسجد النبوي

الخـوخ : جمع خوخة وهي الباب المفتوح على الزقاق المسقوف المغلق فهي من أجل هذا معدودة في الأبواب وكان للمسجد النبوي ثلاث خوخ أساسية :

١ ـ **خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه** : وقد أطلق عليها بعض العلماء باب الصديق وكانت في غربي المسجد بعد العمود الأخير من حد مسجد النبي ﷺ وبما أن خوخة الصديق وداره أصبحتا من المسجد النبوي فقد فتح إلى الغرب من مكانها فتحة وكتب عليها اسم (خوخة أبي بكر

الصديق) وهي الفتحة الجنوبية من فتحات باب الصديق . وقد ورد في صحيح البخاري بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**) فكان النبي ﷺ هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا ، فعندما سمع أبو بكر رضي الله عنه قول النبي ﷺ بكى لأنه عرف دنو أجله ﷺ فقال رجل كان يراه : ما يبكي هذا الشيخ أن يكون الله عز وجل خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فلم يفهم هذا الرجل ما فهمه أبو بكر من الحديث النبوي فلهذا قال بعد أن فهمه : وكان أبو بكر أعلمنا . ولما بكى أبو بكر رضي الله عنه قال له الرسول ﷺ : (**يا أبا بكر لا تبك إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقينَّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر**) فعند ذلك سدت الأبواب والخوخ وكانت قبل ذلك لا تسد بالليل . والأمر بسدها كان في أخريات حياته ﷺ كما يدل لذلك تخييره ﷺ بين الدنيا وبين ما عند الله . ومن هذا أخذ الفقهاء جواز إغلاق المساجد بالليل إذا اقتضى الأمر ذلك .

٢ ـ **خوخة علي بن أبي طالب رضي الله عنه** : وربما سماها بعضهم بباب علي بن أبي طالب وتمر هذه الخوخة بين حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها وحجرة فاطمة عليها السلام ، وفي يمين مدخلها إلى المسجد تقع أسطوانة الحرس التي كانت تسمى أيضاً بأسطوانة علي بن أبي طالب .

ولما ورد أمر النبي ﷺ بسد الأبواب والخوخ استثنى أيضاً باب علي رضي الله عنه فقال المنافقون ألأنه ابن عمك فلم تأمر بسد بابه ؟ فأخبر النبي ﷺ أنه أمر بسد الأبواب والخوخ واستثنى ما استثنى بوحي من الله تعالى لا لغرض خاص في نفسه .

ولكن المنافقين لا يفقهون وطالما فهموا لقصد معين مثل هذا الفهم فبين الرسول ﷺ أن أمره ونهيه إنما يكون بوحي من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾ .

٣ ـ **خوخة كانت بين حجرة أم المؤمنين عائشة وبين حجرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما** : وتقع هذه الخوخة في مكان الشباك أمام الزائرين اليوم وتصل إلى المسجد من ركن حجرة عائشة رضي الله عنها وكانت الفتحة المؤدية للمسجد من هذه الخوخة مدخل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في مسجده ، وكان بابها يسمى باب جبريل قبل أن يُسدَّ ويحول اسمه إلى باب عثمان الذي لا يزال يحمل اسم باب جبريل حتى الآن . وقد دخلت خوخة الصديق في المسجد النبوي الشريف في توسعة عمر رضي الله عنه ، وأما خوخة علي وخوخة آل الخطاب وهي الواقعة بين حجرتي عائشة وحفصة رضي الله عنهما فقد أدخلتا في المسجد النبوي الشريف رغمًا عن آل علي وآل الخطاب حين أدخل الوليد بن عبد الملك حجرات أمهات المؤمنين في المسجد كما سيأتي .

الصُّـــفَّة وموقعُهَـــا

الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء المفتوحة ظلة كانت في مؤخرة المسجد النبوي الشريف بعد تحويل القبلة وهذا يعني أنها في الركن الشرقي الشمالي من المسجد يمين مكان قبلته ﷺ إلى بيت المقدس حيث كان مدخل باب عثمان أي غربي دكة الأغوات اليوم وإلى الجنوب قليلاً مما جعل بعض الكاتبين في آثار المدينة المنورة في عصرنا يظن أن دكة الأغوات هي الصفة والحقيقة أنها صفة أقيمت شرقي مكان الصفة عندما وسع الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي إلى ذلك المكان . وكانت الصفة مأوى الغرباء من المهاجرين الذين لا مأوى لهم في المدينة فيقل عددهم حيناً ، ويكثر أحياناً حتى يبلغ ستمائة صحابي وكان النبي ﷺ يجالسهم ويأنس بهم وينادیهم إلى طعامه ويشركهم في شرابه فكانوا معدودين في عياله . وكان الصحابة رضي الله عنهم يأخذ الواحد منهم الاثنين والثلاثة من أهل الصفة فيطعمهم في بيته كما كانوا يأتون بأقناء الرطب ويعلقونها في سقف الصفة ليأكلوا منها فذهب المنافقون ليفعلوا مثل فعلهم رياء فصاروا يأتون بأقناء الحشف والرطب الرديء فأنزل الله تعالى فيهم قوله : (**ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه**[1] . .) . ومن أشهر أهل الصفة المنقطعين فيها أبو هريرة رضي الله عنه وهذا الانقطاع مكنه من تلقي الكثير من أحاديث الرسول ﷺ كما قال عن نفسه عندما سمع الناس يقولون أكثر أبو هريرة عن

رسول الله ﷺ فقال أما أنتم يا معشر المهاجرين فقد شغلتكم التجارة وأما أنتم يا معشر الأنصار فقد شغلتكم الحقول والمزارع وأما أنا فقد لازمت رسول الله ﷺ على ملء بطني فكنت أتعلم منه العلم فكيف تقولون أكثر أبو هريرة أكثر أبو هريرة ؟

وقد صور لنا أبو هريرة رضي الله عنه ما كان أهل الصفة يصبرون عليه من الجوع وشدة الحال في قصة وقعت له في يوم من الأيام : قال أبو هريرة رضي الله عنه إنه كان يمضي عليه اليوم واليومان لم يذق طعاماً وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع وجلس يوماً في طريق الذين يخرجون من المسجد لعل أحداً منهم يكتشف ما به من جوع فمر عليه الصديق فسأله أبو هريرة عن معنى آية من كتاب الله وقال ما سألته إلا لكي ينتبه لحالي فمر ولم ينتبه بعد أن أجابه عن معنى الآية ثم مر عمر بن الخطاب كذلك ، فلما مر رسول الله ﷺ نظر إلى أبي هريرة وابتسم حين رآه وعرف مافي وجهه من الجوع ثم قال يا أبا هريرة . فقال أبو هريرة لبيك يا رسول الله . فقال : الحق. فتبعه ودخل معه في بيته فوجد النبي ﷺ في بيته لبناً في قدح فقال من أين هذا اللبن ؟ فقالوا أهداه لك فلان فقال رسول الله ﷺ يا أبا هريرة فقال لبيك يا رسول الله فقال اذهب فادع أهل الصفة فقال أبو هريرة في نفسه وما يغني هذا اللبن عن أهل الصفة وضعف أمله في إصابة ما يتقوى به من ذلك اللبن . فلما دعاهم أمره النبي ﷺ أن يباشر سقيهم فضعف أمله أكثر لأن ساقي القوم آخرهم شرباً فسقى الجميع وكان النبي ﷺ يعزم على كل واحد شرب بأن يزيد حتى يشبع

فيقول أبو هريرة في نفسه ليته لم يعزم حتى يصل إلي ولو الشيء اليسير حتى شبع أهل الصفة جميعاً وكان عددهم في هذه الحادثة يبلغ ثلاثمائة رجل حتى وصل اللبن إلى أبي هريرة رضي الله عنه ولم ينقص شيئاً فتبسم النبي ﷺ وقال يا أبا هريرة بقيت أنا وأنت فاقعد واشرب فقعد أبو هريرة وشرب حتى روي فمازال النبي ﷺ يعزم عليه بأن يشرب حتى قال أبو هريرة والذي بعثك بالحق ما أجد مسلكاً للبن في بطني ثم أخذه النبي ﷺ وسمى الله وشرب الفضلة .

إن هذا التكثير للطعام لرسول الله ﷺ والذي تكرر معجزة له مرات ومرات في غزوة الخندق وغزوة تبوك وغزوة الحديبية وفي السمن الذي أهدته له أم سليم وفي قربة الماء التي زود بها نفراً من أصحابه في سرية فكانوا إذا جاعوا صبوا من القربة فوجدوا اللبن والزبد وإذا عطشوا صبوا منها فوجدوا الماء العذب فماذا ترى فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من تواضع في العيش ؟ إنه اختيار للآخرة على الأولى لا غير .

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه : لقد رأيت معي في الصفة ما يزيد على ثلاثمائة ثم رأيت بعد ذلك كل واحد منهم والياً أو أميراً ، وأن النبي ﷺ قال لهم ذلك حين مر بهم يوماً ورأى ماهم عليه .

توسعة النبي ﷺ لمسجده

لما مضى ست سنين على بناء المسجد النبوي الشريف كثر المسلمون في المدينة المنورة وهاجروا إليها من كل صوب ومكان وكانت مساحة المسجد أقل من مائة في مائة فضاق بالمسلمين ولما فتح الله خيبر على نبيه ﷺ وغنم منها الغنائم الكثيرة وأفاء الله عليه من أموال أهلها قرر أن يوسع مسجده الشريف حسب ماتقتضيه حاجة المسلمين . واقتدى المسلمون من بعده بفعله الشريف فصاروا يوسعون المسجد النبوي كلما دعت حاجة المسلمين إلى ذلك .

وكان لا بد أن تعترض دور لتوسعة النبي ﷺ مسجده ولا بد من انتزاع ملكيتها ويكون فيما اتخذه الرسول ﷺ في انتزاع الملكية تشريعًا لأمته من بعده ومن ذلك أنه اعترضته دار لرجل من الأنصار قيل إنه (منافق) قال له النبي ﷺ : (**تتصدقُ بها على المسجد ولك بيت في الجنة**) فأبى الرجل فجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه وجعل يساومه في داره حتى اشتراها بعشرة آلاف درهم ثم جاء عثمان إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله اشتر مني البقعة فإني اشتريتها من الأنصاري بمثل ما كنت تريد شراءها به منه فاشتراها منه النبي ﷺ ببيت في الجنة[1] . وهكذا تعودنا أن نقرأ عن عثمان رضي الله عنه الإنفاق في سبيل الله إلى حد اكتسب به الجنة كما في هذه القصة وكما في تمويله لجيش غزوة العسرة (تبوك) وكما فعل في عيره التجارية عام الرمادة وكما فعل

---

(١) حديث دار الأنصاري هذا رواه الطبراني بسند فيه ضعف ، ورواه الترمذي بسند حسن .

في شراء بئر رومة وتصدق بها على المسلمين وجعل دلوه فيها كدلو أحد المسلمين .

فيا أثرياءنا وأغنياءنا لكم في أصحاب رسول الله ﷺ أسوة حسنة ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[1] .

وهكذا نرى الصديق رضي الله عنه دفع ثمن مكان المسجد الأول وعثمان رضي الله عنه دفع ثمن الزيادة في مسجد الرسول ﷺ فرضي الله عنهما وعن عامة أصحاب المصطفى ﷺ وكان النبي ﷺ أول من وضع لبنة في بناءِ مسجده الشريف ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ثم دعا عمر فوضع لبنة ثم جاء عثمان فوضع لبنة ثم قال للناس ضعوا فوضعوا .

وكان النبي ﷺ يفضل بقاء مسجده مبنيًّا بالجريد وقال (عريش كعريش موسى) ولما جمع الأنصار رضي الله عنهم أموالاً وجاءوا بها إلى النبي ﷺ ليبني بها المسجد ويزينه بدلاً من بناء الجريد والسعف قال لهم (مابي رغبة عن أخي موسى) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ثم ترك النبي ﷺ جزءًا من مسجده الشريف غير مسقوف من جهة الشمال ومن جهة الغرب وكانت زيادته ﷺ في هاتين الجهتين بمقدار أربعة أعمدة من كل جهة .

وقد جعل العثمانيون في العمارة المجيدية اليوم في القسم القبلي من المسجد علامات تدل على الروضة الشريفة وهي تلبيس الأساطين بالرخام الأبيض كما

جعلوا علامة ما كان مسقوفاً منه من غير الروضة خطوطاً مذهبة صغيرة ممتدة إلى الأعلى فوق الأساطين ونهاية هذه العلامات إلى الأعلى هي نهاية السقف للمسجد النبوي الشريف في عهده ﷺ وتركوا الأعمدة الواقعة في زيادته ﷺ التي لم تكن مسقوفة وجعلوها بدون علامة ولكنهم كتبوا على آخر صف منها في أعلى الأعمدة (حد مسجد النبي ﷺ) وفي هذه السنة (ألف وأربعمائة وأربعة الهجرية) حصل تقشر لرخام أعمدة الروضة الشريفة فقامت المملكة العربية السعودية بترميمها برخام أبيض جعلها في غاية الأناقة وفي هذه السنة أيضاً قام الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لتوسعة المسجد النبوي الضخمة التي صدر الأمر بها في عهد سلفه أخيه فيصل بن عبد العزيز رحمه الله ، فنرجو الله أن يتم له ما أراد في الحرمين الشريفين بل وفي بلاد المسلمين عامة .

وحيث إن النبي ﷺ لم يزد في مسجده الشريف من جهة القبلة فإن قبلته ظلت كما هي في مكانها إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الحجـــرة الشَـــريفة

بعد أن قدمنا نبذة عن بناء النبي ﷺ لمسجده الشريف وبعد أن بَيَّنَّا موقع حجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من المسجد النبوي نود أن نقدم عرضاً نسلسل فيه ما مر على حجرة عائشة رضي الله عنها التي أكرمها الله بأن جعل فيها قبر النبي ﷺوصاحبيه (الصديق ، والفاروق) رضي الله عنهما .

إن حجرة عائشة رضي الله عنها هي أول مابنى النبي ﷺ من بيوته الشريفة بعد بناء مسجده ثم بنى بعدها حجرة سودة رضي الله عنها وتقع هذه الحجرة شرقي المسجد النبوي ويفتح بابها على الروضة الشريفة لأن النبي ﷺ كان يعطي رأسه لعائشة رضي الله عنها تسرحه وترجله وهو معتكف في المسجد ، ولما رفع النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان في حجرة عائشة لأنه استأذن من أمهات المؤمنين أن يُمرّضَ في حجرة عائشة رضي الله عنها ، وتقول عائشة إنه ﷺ قبض ورأسه في حجرها ، ولما توفي النبي ﷺ دهش أصحابه لوفاته إلى حد أن عمر رضي الله عنه استل سيفه ووقف عند باب هذه الحجرة وقال : لا يقول أحد إن رسول الله ﷺ تُوفي إلا ضربته بهذا السيف حتى جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودخل على الرسول ﷺ وهو مسجى في ثيابه فكشف عن وجهه الشريف وقبَّل بين عينيه وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنها لموتة كتبها الله عليك . ثم خرج الصديق رضي الله عنه ، ووقف عند الباب إلى جانب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ دائم لا يموت) ثم تلا قوله تعالى ﴿ **وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين**[1] ﴾ فارْتختْ يد عمر بالسيف وأغمده وقال : والله لكأني ما سمعت هذه الآية من قبل وإني لمن أول من حفظها بعد نزولها . وبعد ذلك

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

تبادل الصحابة الرأي في المكان الذي يدفن فيه رسول الله ﷺ فقال الصديق رضي الله عنه إنه سمع حديثاً من رسول الله ﷺ أن كل نبي يُدفن حيث قُبض فعند ذلك جِيء بحافرين للقبور أحدهما يحفر الشق والآخر يلحد اللحد فألحد قبر النبي ﷺ واللحد هو حفرة في جانب القبر من جهة القبلة يوضع فيها الميت ثم يهال التراب في القبر . ثم فرشت للنبي ﷺ قطيفة حمراء في قبره وبعد أن وُضع فيه أطبقت عليه تسعُ لَبنات ثم سُوِّي التراب فوق ذلك بارتفاع يسير عن سطح الأرض .

فأصبح النبي عليه الصلاة والسلام في قبره في جنوبي الحجرة الشريفة وظلت عائشة رضي الله عنها تسكن في القسم الشمالي منها ليس بينها وبين القبر ساتر فلما توفي الصديق رضي الله عنه أذنت له أن يدفن مع النبي ﷺ فحفر له القبر خلف النبي ﷺ بذراع ورأسه مقابل كتفيه الشريفين ولم تضع عائشة بينها وبين القبرين الشريفين ساتراً وقالت إنما هو زوجي وأبي . وبعد أن توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أذنت له بأن يدفن مع صاحبيه فحفر له قبره خلف الصديق بذراع ورأسه يقابل كتفيه ولطول عمر رضي الله عنه وصلت قدماه إلى الأساس الشرقي للحجرة حتى حفر لهما تحت الأساس فعند ذلك جعلت عائشة رضي الله عنها ساتراً بينها وبين القبور الشريفة لأن عمر رضي الله عنه ليس بمحرم فاحترمته حتى بعد وفاته فرضي الله عن الجميع ، وإليك رسمًا لوضع القبور الشريفة في الحجرة وقد اخترته من سبع صفات ذكرت لوضع القبور الشريفة وهذا الذي اخترته هو رواية نافع في وضع القبور الشريفة .

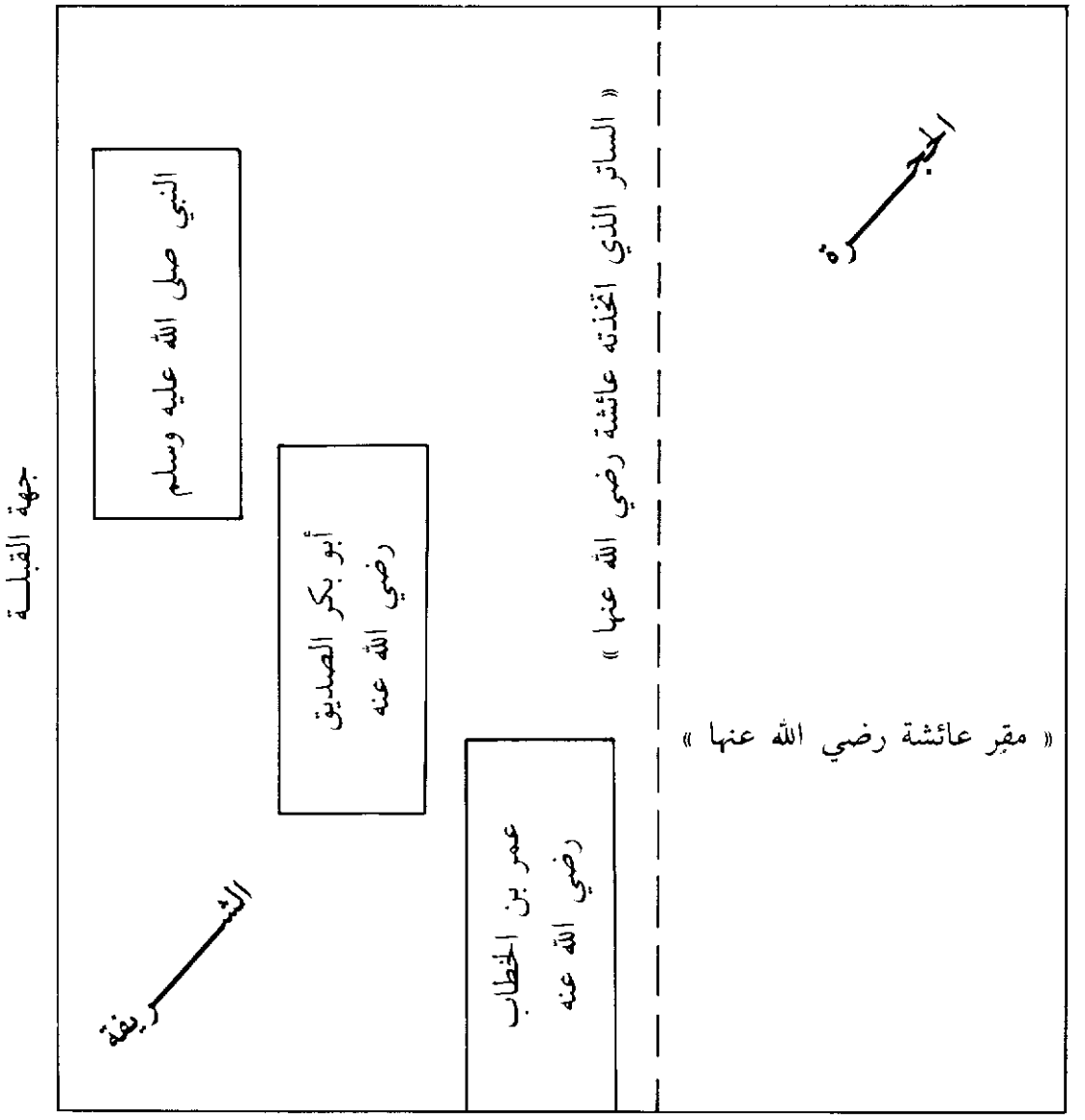

وقد رجح هذه الصفة جمهور العلماء ، وكذا الزين المراغي في تحقيق النصرة وكذا رزين ويحيى ، وقال المراغي إن رزيناً روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه شاهد سقوط جدار الحجرة الشريفة ورأى القبور على النحو الذي أثبتنا وكان ذلك شاهد عيان .

وفي طبقات ابن سعد ما يؤيد ذلك ، وفي الترمذي بسننه إلى عبد الله بن سلام (أنه مكتوب في التوراة صفة دفن عيسى عليه السلام مع النبي ﷺ) ولهذا قال بعض العلماء إن المكان الخالي الموجود في الحجرة سوف يكون مدفن عيسى عليه السلام . أما فاطمة رضي الله عنها فليس قبرها ثَمَّ بل دفنت بالبقيع الطاهر كما سيأتي ووردت آثار وأحاديث تفيد بأن آلاف الملائكة يحفون بالقبر الشريف ليلاً ونهاراً ويصلون على النبي ﷺ كما في الدارمي والبيهقي[1] .

آداب الزيارة للرسول ﷺ والجلوس في الروضة

لقد أدب الله المسلمين في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم**[2] ﴾ . فقد نهت الآية القرآنية عن رفع الصوت عند رسول الله ﷺ وأوعدت من يرفع صوته عند رسول الله ﷺ بأن الله يحبط عمله ويذهبه ولا يثيبه . وورد في تفسير الآية أن ثابت بن قيس رضي الله عنه كان جهوري الصوت ولشدة خوفه من الله جلس في بيته وهو يبكي وقال أنا أرفع الصحابة صوتاً عند رسول الله ﷺ فما أظن هذه الآية إلا نزلت في . فلما افتقده

(١) انظر وفاء الوفا للسمهوري جـ ٢ ص ٥٥٠ .

(٢) سورة الحجـرات الآية ٣ .

النبي ﷺ أرسل يطلبه فلما جاء الطلب إلى أهله قالوا هاهو في داخل بيته لم يرقأ له دمع منذ أيام فلما دخلوا عليه قال لهم إنه ما يَظن هذه الآية إلا نزلت فيه لأنه كان جهوري الصوت يرتفع صوته عند رسول الله ﷺ فجيء به إلى رسول الله ﷺ فطمأنه وبشره بالجنة كما صرحت الآية بأن من يغض صوته عند رسول الله ﷺ فقد هيأ الله قلبه واختاره للتقوى ، وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول : (لا ينبغي رفع صوت على نبي حيًّا ولا ميتاً) وكانت عائشة رضي الله عنها إذا سمعت صوت وتد أو مسمار يدق في البيوت المجاورة ترسل إلى أهلها (لا تؤذوا رسول الله ﷺ) ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا أراد أن يصنع مصراعي باب بيته خرج إلى المناصع (أي الرومية) حتى لا يؤذي رسول الله ﷺ بما يحدث من صوت أو ضجيج . إذاً يجب على الزائر والجالس في الروضة الشريفة التأدب بآداب القرآن والتخلق بما ندب إليه حتى يسلم من إحباط العمل فإن سوء الأدب ورفع الصوت والمجادلة والمشاحنات والمناقشات في هذا المكان منافية لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فاحذر أيها الزائر واحذر أيها الجالس من مخالفة كتاب الله فإن ذلك يعرض لسخط الله أعاذنا الله وجميع المسلمين من ذلك .

ولقد درج المسلمون جميعاً وفي مقدمتهم الخلفاء والحكام على تكريم هذه الحجرة وتعهدوها بالصيانة والنظافة وجعلوا لها أزرة من الرخام وستائر مطرزة ومرقومة ومكتوباً عليها سورة « يـس » بكاملها ويرجح أن ذلك العمل كان سنة ٥٦٦هـ . في خلافة المستضيء بأمر الله ، كما تُعهدتْ الحجرة الشريفة

بالخلوق وأنواع الطيب مع المراقبة الدقيقة لأيِّ تغير في الرائحة فيبادر إلى إزالته كما وقع أن شك المسلمون في رائحة تنبعث من وسط الشباك الذي حول الحجرة فأدخلوا أحد الأتقياء فاكتشفوا مصدرها وأزالَه ووصلت العناية بالحجرة الشريفة إلى شراء السلطان ابن قلاوون قرية بمصر من بيت المال في القرن السابع الهجري ووقَّفها على كسوة الكعبة الشريفة مرة كل سنة وعلى كسوة الحجرة الشريفة والمنبر المنيف كل خمس سنين .

وفي عصرنا هذا تُبدي المملكة العربية السعودية اهتماماً عظيمًا بالحرمين الشريفين وأسست مصنعاً خاصًّا للنسيج من أجل كسوة الكعبة كما تعهدت الحجرة الشريفة بالنظافة والترميم مع غاية الأدب وعدم إدخال أي عامل أو بناء أو دهان إلا بعد التأكد من صلاحه وديانته وكان معظم ما يقع من ذلك يكون ليلاً حتى لا يحصل أي شيء يشوش على المصلين أو الجالسين وحتى لا يشعر أي مسلم في المسجد بشيء قد يخفف من حرمة هذا المكان في نفسه .

وفي سنة ٦٥٤هـ شب حريق في المسجد النبوي الشريف وعرف هذا الحريق (الحريق الأول) وسببه أن أحد خدام المسجد دخل ومعه نار غفل عنها حتى علقت بالفراش وأسرعت حتى وصلت إلى السقف فهب الناس في جنح الظلام وبذلوا كل الجهود لإطفائها ولكنها لم تبق شيئاً من خشب السقف كما جاءت على الزخارف والستائر المزخرفة حتى قال بعض أهل الصلاح إن تلك الزخارف لم تكن مرضية عند رسول الله ﷺ . وكان هذا الحريق في زمنٍ الأمرُ فيه للشيعة في المدينة المنورة ولأجل ذلك قيل إنه وجد مكتوباً على جدران المسجد النبوي بيتان من الشعر هما :

لم يحتـرق حـرم النبي لـريبةٍ يخشى عليـه ومـا بـه من عـار
لكنـما أيدي الـروافض لامست تلك الـرسوم فـطهـرت بـالنـار

إلا أنه من فضل الله لم يحترق سقف الحجرة الشريفة ولا القبة التي فيها ذخائر الحرم ومنها مصحف عثمان رضي الله عنه ، وبقيت سواري المسجد بعد هذا الحريق كأنها جذوع النخل تميل مع الريح .

فهب المسلمون وكتبوا للخليفة العباسي (المستعصم بالله) فسارع بإرسال الآلات والصناع وابتدىء بعمارة المسجد بعد هذا الحريق سنة ٦٥٥ رغم انشغال الخليفة بالتتار الذين استولوا على أعمال بغداد ثم على بغداد وقتلوه بعد مدة يسيرة .

وجعل سقف المسجد في هذه العمارة مساوياً لسقف الحجرة الشريفة كما جُعل حاجز يمنع من سقوط أي شيء على الحجرة أثناء البناء ، وكان سقف الحجرة الشريفة في هذه الفترة على حظير من الآجر يميز سطح الحجرة عن سطح المسجد الآخر بارتفاع قدر قامة وفي سنة ٦٧٨هـ أمر السلطان قلاوون الصالحي بعمل قبة مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب على رؤ وس وسُمِّر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح الرصاص وفيها طاقة يرى منها سقف المسجد الذي فيه الطابق ، وتباينت ردود الفعل في بناء هذه القبة فمن قائل إنها ما كان ينبغي أن تبنى ولا ينبغي أن يعلو بناء فوق حجرة المصطفى ﷺ ومن قائل إن بانيها أراد بفعله الخير . وذكر أهل الرأي الأول أن

النبي ﷺ استنكر قبة رآها لأحد الأنصار كما في سنن أبي داود وأن الأنصاري لما رأى استنكاره ﷺ هدم القبة فسر بذلك رسول الله ﷺ .

وقد جددت هذه القبة في عهد محمد بن قلاوون حين اختلت ألواح الرصاص وخيف من كثرة الأمطار وأحكمت هذه القبة أيضاً في أيام الأشراف عام ٧٦٥هـ (والأشراف ليسوا هم الشيعة) .

كما قُويت أيضاً بعد ذلك في عام ٨٨١هـ فسُدّ بذلك تسرب الماء إلى الحجرة الشريفة .

وفي عام ٨٩٢هـ أي بعد الحريق الثاني الذي لم يترك من هذه القبة شيئاً فبنيت القبة البيضاء ولما تشققت بعد ذلك أعيد بناؤها بشكل أقوى .

وأما المقصورات التي جعلت على الحجرة الشريفة فإنها جعلت أولاً من الخشب في عهد الظاهر بيبرس وتوالى تجديدها بعد الحريق الأول والثاني ولكنها جعلت بعد الحريق الثاني شبابيك من النحاس بدلاً من الخشب وذلك من جهة القبلة أما من الجهات الأخرى فقد جعلت الشبابيك من الحديد وأصبح ما تحجزه هذه الشبابيك يعرف بـ (الحجرة الشريفة) إلا أن هذه الشبابيك حجزت قسمًا كبيراً من الروضة الشريفة ومن المسجد من غير جهتها مما حرم المسلمين من الصلاة فيه وليت ذلك لم يقع كما كان في عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي والعباسي حيث لم يُزد على ما تحتويه الحجرات الشريفة ، وكان حد الروضة الشريفة ينتهي إلى حائط حجرة عائشة رضي الله عنها التي في القبور الشريفة .

أحـــداثٌ خطـــيرة

لقد ترك النبي ﷺ الحراس في حياته لما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ **والله يعصمك من الناس**[1] ﴾ ومنذ أن نزلت فلا حارس له إلا الله في حياته وبعد مماته ﷺ وقد ظهر ذلك في أحداث حاول فيها بعض المجرمين والكافرين النيل من جثمانه الشريف فمن ذلك :

١ ـ ما ذكره الزين المراغي والسيد السمهودي من أن رجلين من النصارى أرسلتهما روما لنقل جثمان الرسول ﷺ إلى أوربا . ثم ذهبا في زي المغاربة حاجين ثم ذهبا إلى المدينة بدعوى أنهما يريدان الزيارة وطلب العلم والعبادة مدة سنة في المدينة المنورة فنزلا في رباط عند باب السلام أدركناه يعرف بزاوية السمان وأظهرا الصلاح والمداومة على الصلاة في المسجد النبوي كما كانا يقومان بالعطف والمواساة على الضعاف والفقراء وفي نفس الوقت قاما بحفر سرداب تحت الأرض وكانا يحفران بالليل ويحملان تراب الحفر في رداءيهما بالليل ويذهبان إلى البقيع بدعوى الزيارة فيصبان التراب هناك وعلى مر الأيام أدخلا السرداب من تحت جدار المسجد القبلي حتى وصلا أسفل المكان الذي يقف فيه الزائرون اليوم فعند ذلك رأى السلطان الصالح (نور الدين زنكي) رسول الله ﷺ في المنام وأراه وجه رجلين وقال له هذان يحفران باتجاه قبري يريدان سوءاً ففهم نور الدين زنكي أن ذلك أمر من

(١) سورة المائدة الآية ٦٧ .

الرسول ﷺ له بالقضاء عليهما ومن المعلوم أن الرسول ﷺ من رآه في المنام فقد رآه حقًّا لأن الشيطان لا يتمثل به ، فقام نور الدين زنكي فزعاً وذكر الله واستعاذ من الشيطان الرجيم ثم نام فعاودته الرؤيا وبعد الرؤيا الثالثة استدعى وزيره الذي كان يثق فيه وهو الرجل الصالح (جمال الدين الموصلي) وقصَّ عليه ما رأى ومعاودة الرؤيا له ثلاث مرات واستكتمه الأمر فأشار الوزير إليه بالخروج فوراً إلى المدينة المنورة فأعد السلطان رواحل خفيفة واستصحب عشرين من رجاله وفي مقدمتهم الوزير السابق وأخذ معه كثيراً من المال فوصل المدينة في ستة عشر يوماً عبر خلالها سورية والأردن وشمالي الجزيرة العربية حتى المدينة وهذا أمر عجيب لأن المسافة عادة لا تقل عن شهر ونصف على الرواحل فدخل المسجد النبوي بعد أن تطهر وصلى فيه ركعتين في الروضة الشريفة ثم زار قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم جلس في المسجد فاجتمع عليه أهل المدينة الذين ما زالوا على مر الزمان من الأخيار والعلماء . لقوله ﷺ (**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**) ولأنها تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الرصاص فهي تنفي الأشرار الذين سبق في الأزل أنهم لا يتوبون كما تهيىء قلوب الذين أراد الله لهم خيراً للخير والتوبة ،

فأخبر الوزير أهل المدينة بأن السلطان جاء زائراً وأن معه أموالاً يريد التصدق بها على أهل المدينة وكانت تلك عادة الملوك والسلاطين من المسلمين فاكتبوا له جميع من في المدينة من الناس فكتبوا له أهل المدينة جميعاً ولما جاؤوا إلى السلطان فجعل يعطي لكل واحد نصيبه ويتأمل في الآخذ جيداً لعله يرى

تلك الوجوه التي أراه رسول الله ﷺ حتى انتهى أهل المدينة جميعاً فلم يرها فقال السلطان يا أهل المدينة تفقدوا حتى لا يبقى أحد لم يأخذ نصيبه ، فقالوا لم يبق أحد إلا رجلان مغربيان من الأندلس من طلاب العلم طالما قدما العون والعطف لفقراء المدينة كما إنهما مواظبان على الصلاة في المسجد النبوي وقالا إنهما غنيان ليست بهما حاجة فأمر السلطان بإحضارهما بالقوة فلما وصلا إليه عرفهما لأن النبي ﷺ أراه وجههما فسألهما لماذا لم تأتيا فتأخذا نصيبكما فقالا عندنا من المال ما يكفينا فلا حاجة لنا في شيء فجعل يسألهما عن حالهما وأهل المدينة يتابعون الثناء عليهما فأصرا على أنهما مغربيان جاءا للحج والزيارة وفضلا الجلوس في جوار الرسول ﷺ لمدة سنة فذهب معهما إلى الحجرة التي يسكنان فيها فلم ير شيئاً يريبه فجعل يتعجب في نفسه وأهل المدينة يتعجبون من تصرفه ولا يعرفون ماذا يريد وفي اللحظة الأخيرة رفع حصيراً في الحجرة وإذا بفوهة سرداب فنظر إليه وأدخل إليه أحداً وإذا هو طويل باتجاه المسجد بل أدخل من تحته فحينئذ حمد السلطان الله ثم ضيق في الاستجواب على الرجلين فاعترفا بأنهما نصرانيان أرسلهما ملوك أوربا لنبش قبر المصطفى ﷺ وحمل جثمانه إلى أوربا الصليبية الحاقدة فأمر السلطان بضرب عنقيهما تحت الشباك الذي أدخلا السرداب من تحته .

وهذه الحادثة تبين لنا مدى حقد المسيحيين الصليبيين على نبي الإسلام ﷺ وعلى دين الإسلام وعلى المسلمين وما فتىء هذا الحقد يتفجر تارة بلون الحروب الصليبية وتارة بمؤتمرات تخطط لاقتلاع الإسلام بجذوره من

نفوس المسلمين وتارة بالغزو الاستعبادي الذي سموه تضليلاً بالاستعماري ، وتارة بالغزو الفكري الذي جعل الكثير من أبناء المسلمين في عصرنا هذا يعيش بجسم ينتمي بعرقه إلى المسلمين وبرأس ينتمي بفكره إلى الأوربيين الصليبيين وبما أن القيادة للفكر فقد أصبح الكثير من أبناء المسلمين عدوًا للإسلام وأهله ينفذ ماعجز عنه الصليبيون في غزوهم المتلاحق .

وبعد هذه الحادثة أمر السلطان نور الدين بحفر خندق عظيم وصل عمقه إلى الماء الجوفي محيطاً بالحجرة الشريفة ثم صب في الخندق الرصاص المذاب فأصبحت مسورة بسور من الرصاص المذاب وبعد عودته إلى مكان ملكه أمر بإضعاف النصارى وألا يُستعمل كافر في عمل من الأعمال تشديداً عليهم وكان ذلك سنة خمسمائة وسبعة وخمسين هجرية وأما بناء القبة وطلاؤها باللون الأخضر الذي جعلها تسمى بالقبة الخضراء بعد أن كانت بيضاء فقد تم عام ١٢٣٣هـ على يد السلطان محمود الثاني وظل طلاؤها أخضر حتى الآن ولم يكن هذا بناءً كاملاً للقبة بل كان ترميمًا وطلاءً باللون الأخضر لأن بناء القبة الحالي له أكثر من أربعة قرون .

٢ ـ ذكر الزين المراغي وأسنده لتاريخ بغداد لابن النجار أن بعض الزنادقة الشيعة أشار على الحاكم العبيدي صاحب مصر في ذلك الوقت والذي انتهى أمره إلى ادعاء الربوبية وتقدسه طائفة الشيعة الإسماعيلية أشار هؤلاء الزنادقة عليه بنقل جثمان النبي ﷺ وصاحبيه من المدينة إلى مصر لأن ذلك مما يجعل القاصدين والزائرين والسائحين إلى مصر كثيرين فاقتنع الحاكم

العبيدي بذلك وأمر بأن يبنى حائز كبير على شاطىء النيل وأنفق عليه الأموال الكثيرة ثم بعث صاحبه أبا الفتوح لينبش قبره ﷺ وقبر صاحبيه فلما وصل المدينة وعلم أهلها بما يريد وعظوه فلم يتعظ فماج الناس وكادوا يقتلونه فلما رأى ذلك اتعظ في نفسه وقال : الله أحق أن يخشى فوالله لو كان علي من الحاكم الموت لما تعرضت لهذا الموضع بسوء وذلك لما حصل له من ضيق شديد في صدره وانزعاج في نفسه فعند ذلك أرسل الله ريحاً شديدة فصارت تقلب الرواحل والخيول فتجعلها تتدحرج مثل الكرة على الأرض وهلك الكثير من رواحله وخيوله والكثير من مؤ يديه بهذه الريح فكان في ذلك عذر لأبي الفتوح عند الحاكم العبيدي .

٣ ـ وحصل أيضاً أنه جاء قوم من شيعة حلب وأغروا أمير المدينة آنذاك بالأموال الجزيلة لكي يمكنهم من نقل جثمان الصديق والفاروق ليحرقوهما فأجابهم هذا الأمير لذلك لأن الشيعة في ذلك الوقت كان لهم النفوذ في الحجاز فذهب هذا الأمير إلى شيخ خدام المسجد النبوي الشريف (شمس الدين صواب اللمطي) وكان رجلاً صالحاً ومنفقاً وقال له ياصواب : يدق عليك الليلة أقوام باب المسجد فافتح لهم ومكنهم مما أرادوا ، وكان شمس الدين صواب قد علم بما أرادوا فأصابه هم وغم واشتد بكاؤه وكاد يختل عقله ، وبعد أن خرج الناس من المسجد بعد صلاة العشاء وأغلقت أبواب المسجد وإذا بالباب يدق : وهو باب السلام الذي كان يسمى بباب مروان ففتح لهم الباب وإذا بهم أربعون رجلاً ومعهم المساحي والمعاول وآلات الهدم والحفر

واتجهوا إلى الحجرة الشريفة وقبيل أن يصلوا إلى المنبر انفتحت لهم الأرض وابتلعتهم بما معهم وذلك على عين شمس الدين صواب فكاد يطير من الفرح وزال عنه الهم والغم فلما استبطأهم الأمير جاء يسأل عنهم شيخ الخدام فقال تعال أريكهم فأخذ بيده وأدخله المسجد وإذا بهم في حفرة من الأرض تنزل بهم وتنخسف شيئاً فشيئًا وهم يصيحون ويستغيثون فارتاع الأمير وعاد وهدد شمس الدين بأنه إذا أعلم أي أحد بما وقع سوف يقتله ويصلبه فأصبحوا وقد توارت فوقهم الأرض ثم بعد ذلك خرج شمس الدين إلى الشام وحدث بهذه الحادثة وذكر أسماء بعض من هلكوا فيها ، وقيل إن ذلك الأمير تاب بعد ذلك وكتب عما شاهده من أمرهم ، هذه الحادثة ذكرها المحب الطبري وعزا للقرطبي أنه سمعها من شمس الدين بنفسه وهو في المدينة المنورة وذكرها السيد السمهودي .

٤ ـ ورد في بناء الوليد بن عبد الملك للمسجد النبوي الشريف أن أحد الروم الذين استخدمهم في البناء رأى ظهراً أن المسجد خال من الناس فقال هذا الرومي لأذهبنّ وأبولنّ على قبر صاحبهم فقال له زملاؤه من الروم إنك لن تستطيع ذلك فأصر عدو الله على الذهاب فلما تجاوز المنبر وقبل أن يصل إلى المحراب صرخ صرخة منكرة وسقط على الأرض فلما جاء قومه وجدوا بطنه قد انفجرت ودماغه قد انتثر .

بناء المسجد النبوي الشريف وتوسعته على مر العصور

ورد في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) وهذا الحديث يفيد استمرار هجرة المسلمين إلى المدينة وتكاثرهم فيها ولجوئهم بدينهم إليها كلما تعرضوا للاضطهاد ومحاولة النيل من دينهم في خارجها فكانوا يجفلون من قوارع الدهر إلى المدينة المنورة إلى وقتنا هذا الذي تشهد فيه المدينة المنورة زيادة كثيرة في سكانها لنزوح أهل البادية وهجرة المهاجرين وكثرة الزائرين إليها لما يتوفر في عصرنا هذا (عصر المملكة العربية السعودية) من أمن ورخاء وطمأنينة وهذا وضع يتطلب الزيادة والتوسعة للمسجد النبوي باستمرار .

زيادة النبي ﷺ في مسجده بعد فتح خيبر

بما أن عدد المسلمين المهاجرين إلى المدينة المنورة ظل يزيد ويتضاعف حتى ضاق المسجد عن المصلين فقد قرر النبي ﷺ أن يزيد ويوسع مسجده حسب ما تقتضيه حاجة المسلمين وبدأ ذلك بعد فتح خيبر حين أفاء الله عليه من مال أهلها . وهذه الزيادات في المسجد ابتداءً من زيادته ﷺ وإلى نهاية الدنيا يرى

الجمهور أن الصلاة فيها يضاعف ثوابها كمضاعفته في مسجده ﷺ في مسجده الأول وفي مقدمة من يرى ذلك إمام المدينة (مالك رحمه الله) الذي قال إن المضاعفة الواردة في مسجد النبي ﷺ تعم ما زيد فيه ، وروى ابن شبة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما زاد في المسجد النبوي قال لو زدنا فيه حتى يبلغ الجبَّانة كان مسجد رسول الله ﷺ ـ والجبَّانة المقبرة ـ . وورد عن عمر أيضاً أنه قال لو مد مسجد رسول الله ﷺ إلى ذي الحليفة لكان منه ، وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لو بني هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي) وروي أيضاً أنه ﷺ قال : (هذا مسجدي وما زيد فيه فهو منه ولو بلغ بمسجدي صنعاء كان مسجدي) هذه الآثار والأحاديث منها المنقطع ومنها المعضل ومنها مافيه راو متروك ولكن كثرتها تجعل بعضها يقوي بعضاً وبالخصوص إذا عدم المعارض .

وأما ما تمسك به بعض العلماء العلم من أن اسم الإشارة في قوله ﷺ :(**صلاة في مسجدي هذا** . . .) من أن اسم الإشارة يدل على تخصيص ما كان مبنيًّا في عهده ﷺ بمضاعفة الثواب فإن الصحيح عند جمهور العلماء والأئمة أن اسم الإشارة هنا لا مفهوم مخالفة له إلا فيما عدا المسجد النبوي الشريف من المساجد الأخرى وكان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف يصلون في زيادة عمر وعثمان والوليد والمهدي دون تفرقة بين مكان وآخر من المسجد النبوي إلا أن الروضة الشريفة وما حولها له فضل كبير كما ورد في الأحاديث الصحيحة .

وقد تقدم أن النبي ﷺ زاد المسجد بعد فتح خيبر حتى أصبح مائة ذراع في مائة ذراع وكانت تلك الزيادة تكفي لحاجة المسلمين في ذلك الوقت .

كما عرفنا كيف انتزع ملكية ما اعترض من الدور في هذه الزيادة : فقد ورد أن رجلاً تقع داره في شمال المسجد شملتها الزيادة فقال له النبي ﷺ أتتصدق بدارك على المسجد ولك بها دار في الجنةُ فأبى هذا الرجل فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه وظل يساوم هذا الرجل في داره ويغريه حتى اشتراها منه بعشرة آلاف درهم ثم جاء إلى الرسول ﷺ وقال له يا رسول الله أتقبل مني الدار بالثمن الذي أعطيته لصاحبها فقبلها رسول الله ﷺ بدار في الجنة . وكانت هذه الزيادة من الغرب والشمال فقط .

وفي يوم من الأيام والنبي ﷺ جالس في محرابه فقال لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده إلى جهة القبلة فجعل ذلك الصحابة يفكرون في زيادته من جهة القبلة ولكن في عهد الصديق رضي الله عنه انشغل بحروب الردة عن توسعة المسجد وإن كان غير بعض أعمدته الخشبية حين أكلتها الأرضة بأعمدة أخرى من الخشب أيضاً .

زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٧هـ

سبب هذه الزيادة أن المسلمين زاد عددهم فاحتاجوا إلى زيادة المسجد وطلبوا من عمر رضي الله عنه بإلحاح أن يزيد ويوسع في المسجد النبوي

الشريف وأن يبنيه بناء جديداً ، وهذا عمل سوف تعترضه دور كثيرة لبعض المهاجرين وبعد أن وافق عمر على تلبية طلب المسلمين بدأ في نزع ملكية الدور الواقعة جنوبي وغربي المسجد النبوي الشريف .

كيف انتزع ملكيَّة الدُّور

كان يعرض على أهلها التعويض من بيت المال لمن أراد البيع ومن أراد أن يتصدق بداره على المسجد قبل منه ذلك وشكره له فكان ممن تصدق ببعض داره عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأبناء أبي بكر الصديق رضي الله عن الجميع فلما وصل إلى دار العباس عم النبي ﷺ قال له يا عباس لم تبق إلا دور أمهات المؤمنين ولا سبيل عليها وإلا دارك فإن شئت أعطيك عوضها من بيت المال وإن شئت تصدقت بها على المسلمين وإلا أخذناها منك فقال العباس رضي الله عن الجميع داري لاأبيعها ولا أتصدق بها ولا تستطيع أخذها مني وقد خطها لي رسول الله ﷺ وبنى معي فيها بيده فقال عمر أجل بيني وبينك حكمًا ترتضيه من أصحاب رسول الله ﷺ فجعل أبي بن كعب رضي الله عن الجميع حكمًا بينهما فذهبا إليه وكانت داره غربي الركن الغربي الجنوبي من البقيع في وسط شارع أبي ذر من أوله فلما تحاكما عليه قال أبي بن كعب سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله أمر داوود عليه السلام أن يبني له بيتاً فلما شرع في بنائه اعترضه بيت لرجل من بني إسرائيل فطلب منه أن يبيعه عليه فأبى فهمَّ

بأخذه منه بقوة السلطان فأوحى الله إليه يا داوود أمرتك أن تبني لي بيتاً فأردت أن تجعل فيه الغصب فقد حرمت عليك بناءه فقال داوود عليه السلام يارب اجعل ذلك على يد ابني سليمان فاستجاب الله لذلك ، فلما سمع عمر الحديث قال للعباس والله لا أكلمك في دارك أبداً وبعد ذلك جاء المطر فصب مرزاب دار العباس الماء في صحن المسجد على رؤ وس المصلين فغضب عمر وقام وانتزع المرزاب من مكانه فقال له العباس : لقد انتزعت مرزاباً وضعه رسول الله ﷺ بيديه حين حملته على منكبي فندم عمر رضي الله عن الجميع وقال : والله لتضعنّ قدميك يا عباس على منكبي هاتين وأحملك كما حملت رسول الله ﷺ حتى تعيده إلى مكانه ، وبعد ذلك تيقن فيها سكوتَ عمر عن داره جاء إليه وقال أما وقد سكتَّ عن داري فالآن أتصدق بها على المسلمين فشكر له عمر ذلك وهدمها وأدخل مكانها في المسجد النبوي الشريف ، وكانت تقع من الجهة الغربية للمحراب العثماني الواقع غربي المنبر والذي بني سنة ٩٠٨هـ .

فوسع المسجد عشرة أذرع من جهة القبلة ، وعشرين ذراعاً من الناحية الغربية ، وسبعين ذراعاً من الناحية الشمالية ، وهذا يعني أن زيادته من جهة الغرب أسطوانة واحدة وكذلك من جهة القبلة أما من الشمال فتشمل معظم الرحبة الأولى التي ينتهي إليها مسجده ﷺ بعد زيادته بعد فتح خيبر .

وجعل للمسجد النبوي ستة أبواب : اثنان عن يمين القبلة واثنان عن يسارها . أصبح مكان الشرقي منهما داخلاً في الشباك المحيط بالحجرات ،

وقد جعل العثمانيون في مكان هذه الأبواب الثلاثة أبواباً من النحاس مفتوحة في الدربزين الواقع في حدود قبلة مسجد النبي ﷺ .

وزاد باباً خامساً في الركن الجنوبي الغربي في مكان دار مروان بن الحكم التي صار جزء من دار العباس بعضاً منها وكان هذا الباب يسمى باب الخشية ويسمى الآن بباب السلام .

أما الباب السادس من أبواب عمر التي أحدثها فهو باب شمالي باب جبريل وهو باب النساء فهذه ستة أبواب وأبقى على باب عاتكة (أي باب الرحمة) غير أنه أخره إلى نهاية زيادته كما أنه أبقى باب النبي ﷺ الذي عرف فيما بعد بباب عثمان ثم بباب جبريل حتى يومنا هذا فكانت أبواب المسجد بعد بناء عمر رضي الله عنه ثمانية ستة استحدثها واثنان أبقى عليها .

كيف وضع عمر القبلة في توسعته

لقد كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من السلف يحترمون قبلة المسجد النبوي ويرون أنها وضعت بالوحي فهي مسامتة للبيت الحرام ولهذا لم يقدم أحد من الخلفاء والسلاطين على زيادة المسجد من جهة القبلة بعد عمر وعثمان رضي الله عنهما .

ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يضع مكان القبلة ويؤخرها إلى مكان جدار زيادته نادى الصحابة رضي الله عنهم ليشهدوا وضع قبلتهم فقال رجل من

الصحابة ـ ولعله مسلم بن حباب ـ : إنه سمع النبي ﷺ يوماً وهو جالس في مصلاه يقول (لو زدنا في مسجدنا) وأشار بيده نحو القبلة فأخذ عمر رضي الله عنه رجلاً وأجلسه في المصلى ثم رفع يده باتجاه القبلة وجعل الصحابة رضي الله عنهم يخفضون يد هذا الرجل ويرفعونها حتى تيقنوا أنها استقامت على نحو ما أشار إليه رسول الله ﷺ ثم مدوا حبلاً فوضعوا طرفه في يد الرجل ثم مدوه فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أنه صار نحو إشارة النبي ﷺ ، وهكذا وضع عمر رضي الله عنه قبلة المسجد بهذا التحري الدقيق والحرص الشديد الذي لا يمكن حصوله بعد موت الصحابة رضي الله عنهم الذين حضروا وضع النبي ﷺ لقبلة مسجده وشاهدوا إشارته بيده إلى جهة القبلة في الزيادة المؤملة .

وبعد الخليفة عثمان رضي الله عنه لم يتعرض أحد لزيادة المسجد من جهة القبلة حتى في عصرنا هذا الذي قامت فيه المملكة العربية السعودية بتوسعات هائلة إلا أنها اقتداء بالسلف لم تتعرض للمسجد النبوي من جهة القبلة لافي زيادة الملك عبد العزيز التي تم تنفيذها في عهد ابنه سعود ولا في الزيادة التي قام بها الملك فيصل ولا يزال العمل فيها جارياً حتى الآن أي في عهد الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ، وتغمد سلفه بالرحمة ، ومن أهم ما قام به عمر رضي الله عنه في هذه التوسعة أنه جعل براحة وسيعة وحصبها بحصباء العرصة الحمراء وحمل الناس الذين يريدون التحدث في أمور الدنيا على الخروج إليها وكانت هذه البراحة في الجانب الشمالي الشرقي من المسجد

النبوي بالنسبة لزيادته هو ، ولم يقتصر عمر رضي الله عنه على الزيادة في المسجد النبوي الشريف فحسب بل زاد أيضاً في المسجد الحرام واستخدم في انتزاع ملكية الدور في مكة مثل ما استخدمه في نزع الملكية في المسجد النبوي الشريف إلا أنه في زيادته للمسجد الحرام أمر بهدم دور من رفض أخذ التعويض عن بيته ووضع ثمن تلك البيوت في بيت مال المسلمين ، ويمكن أن يستأنس بعمل عمر هذا بأن بيوت مكة ليست ملكاً لساكنيها على رأي أنها فتحت عنوه وأن على أهلها أن يفتحوا من أبواب دورهم مالم يشغلوه منها وهذا رأي قال به كثير من العلماء أما بيوت المدينة فإنها ملك لأصحابها ولهذا لم يستخدم عمر رضي الله عنه فيها ذلك كما اتضح من عمله في دار العباس بن عبد المطلب .

ومن الدور التي أدخلها عمر رضي الله عنه في توسعة المسجد دار أسامة وإلى الغرب منها دار زيد بن حارثة وإلى الغرب منها دار جعفر بن أبي طالب وإلى الغرب منها دار العباس ، هذا من جهة القبلة ، كما أدخل دار سعد بن أبي وقاص ودار عبد الرحمن بن عوف وإلى الشمال منها دار الصديق ثم دار عبد الله بن مسعود وهذه من الجهة الغربية .

توسعة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٢٩هـ

إن عثمان بن عفان رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام ومن المهاجرين إلى الله هجرتين وخصه الله بزواج بنتين من بنات الرسول ﷺ هما (رقية وأم كلثوم) ولذلك لُقِّبَ بذي النورين تزوج الثانية بعد وفاة الأولى ثم

توفيت عنده الثانية فقال النبي ﷺ زوجوا عثمان فلو كانت لي ابنة ثالثة لزوجته ، وماذلك إلا لكريم خلقه وحسن مصاهرته ورسوخ تقواه فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو الذي بايع عنه النبي ﷺ بيعة الرضوان ووضع يده في يده وقال هذه عن عثمان لأنه كان غائباً لمفاوضة قريش في أمر السماح للنبي ﷺ بالعمرة عام الحديبية ، وهو الذي اكتسب دور الجنة ببذل ماله في سبيل الله وهو الذي اشترى بئر رومة ذات الماء العذب وتصدق بها على المسلمين واشترى دار الأنصاري ، وباعها على النبي ﷺ بقصر في الجنة الذي عرضه على ذلك الأنصاري وهو الذي ضحى بنفسه حتى سقط شهيداً في أيام محنته في الفتنة ولم يسمح للصحابة رضي الله عنهم بسحق أهل الفتنة تأخيراً وتأجيلاً لفتح باب القتال بين أمة محمد ﷺ والذي إذا فتح لا يغلق أبداً كما حدث ، فهل بعد فضائله ومناقبه ورضى رسول الله ﷺ عنه يبقى مطعن لطاعن ؟! .

وفي السنة الرابعة من خلافته وهي التاسعة والعشرون من الهجرة النبوية كلمه المسلمون في زيادة المسجد النبوي وشكوا إليه ضيقه وألحوا عليه في ذلك فجمع أهل الرأي من الصحابة واستشارهم في ذلك في خطبة على المنبر الشريف واستشهد بفعل عمر رضي الله عنه فاستحسن المسلمون ذلك ودعوا له بالتوفيق .

فعند ذلك بدأ عثمان رضي الله عنه ببناء المسجد وتوسعته وأشرف على ذلك بنفسه ، فبناه بالحجارة المنقوشة والقصَّة وجعل معظم أعمدته من

الحجارة المنقوشة أيضاً وبعضها من الحديد وفيه الرصاص وسقفه بالساج وأبقى أبوابه على ما كانت عليه في عهد عمر رضي الله عنه . وكانت زيادة عثمان رضي الله عنه من جهة القبلة عشرة أذرع تنتهي عند محرابه الذي لا يزال مصلى إمام المسجد النبوي الشريف إلى يومنا هذا وزاده من الشمال عشرين ذراعاً بعد زيادة عمر رضي الله عنه إلى حيث نهاية الجزء الأخير من البراحة المتقدمة ، أما من الناحية الغربية فقد زاد فيه عشرة أذرع أي أسطوانة واحدة وأدخل في زيادته بقية الدور التي انتزع عمر رضي الله عنه ملكيتها كما تقدم ، كما أدخل دار حمزة بن عبد المطلب التي كانت شرقي الصفة حيث كان باب عثمان رضي الله عن الجميع ، وكما فعل سلفه فلم يزد في المسجد من الناحية الشرقية لمكان حجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كما شملت هذه الزيادة خوخة كانت لحجرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وعوضها عنها داراً لأخيها عبد الله بن عمر فاتخذت حفصة رضي الله عنها من هذه الدار طريقها إلى المسجد وفي مكان هذه الخوخة كان يوجد عمود كان يؤذن بلال عنده وموقعه غرب موقف الزائرين اليوم ، ولما رأى عثمان رضي الله عنه ما أصيب به عمر رضي الله عنه من طعن في المحراب وهو يصلي مما أدى إلى استشهاده بنى عثمان مقصورة في مكان مصلاه وجعل فيها كوة (نافذة) ينظر الناس إليه منها وبناها باللبن فقط ثم بنيت بالساج في عمارة الوليد بن عبد الملك التي أشرف عليها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وجعل عثمان رضي الله عنه للمقصورة حارساً وفرض له دينارين ثم توارث أبناء الحارس تلك الوظيفة إلى ما شاء الله . إلا أنه يفهم من قول الإمام مالك رحمه

الله أن الخلفاء الراشدين لم يتخذ أحد منهم مقصورة في المسجد وإنما اتخذها من جاء بعدهم خوفاً على أنفسهم ولعل كلامه يعني به أن مروان بن الحكم أرسل ساعياً إلى تهامه فتظلم منه رجل يماني اسمه دب أو ذباب وكان خبيث النفس فقال والله لأقتلن من أرسلك إليَّ ساعياً فجاء إلى المدينة وطعن مروان في الصلاة فلم يغن شيئاً فأمر مروان بسجنه ثم بقتله سراً وصلبه على جبل الراية الذي أصبح بعد ذلك يعرف بجبل ذباب لصلبه عليه ولما عاب المسلمون على بني أمية اتخاذهم جبل راية النبي ﷺ مكاناً للصلب والتعذيب تركوا الصلب عليه ، وقد أزيلت المقصورة من محراب المسجد النبوي الشريف نهائياً في عهد الخليفة المهدي العباسي ، وفرغ عثمان رضي الله عنه من بناء المسجد النبوي الشريف في أول المحرم سنة ٣٠ من الهجرة .

زيادة الوليد بن عبد الملك من ٨٨ ـ ٩١ أو ٩٣هـ

الأسباب والدوافع التي حدت بالوليد بن عبد الملك إلى زيادة المسجد النبوي الشريف وبنائه هي أسباب سياسية بحتة تختلف عنها في زيادة عمر وعثمان رضي الله عنهما .

فقد ورد أن الوليد بن عبد الملك كان يرسل كل سنة إلى المدينة رجلاً يثق به ليدرس عن كثب هل يوجد شيء في المدينة يهدد دولة بني أمية ؟ وفي عام من

الأعوام جاء مبعوثه ودخل المسجد النبوي فنظر إلى بيت فيه كِلَّة فلما رفعت هذه الكلة رأى رجلاً جميل الوجه واللحية كأنه القمر ليلة البدر ورأى علماء المدينة وأشرافها يتسابقون إلى السلام عليه فقال من هذا الذي يجله الناس فقيل له هذا الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب في حجرة والدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ فعاد هذا المبعوث إلى الوليد بالشام مسرعاً وقال له لقد شاهدت في المدينة أمراً لابقاء لبني أمية معه في المدينة فقال له الوليد ويحك وماذاك ؟ فأخبره بما شاهد فقال له الوليد ويحك إنه في بيته وبيت أمه وأبيه فقال له : يلزم أن تأمر بتوسعة المسجد النبوي وتدخل فيه هذا البيت حتى يتغير هذا المنظر فأنصت لذلك الوليد جيداً .

وفي بعض الروايات أن الوليد بنفسه هو الذي رأى ذلك المنظر فلما شاور أهل خاصته أشاروا عليه بتوسعة المسجد وإدخال الحجرات الشريفة فيه فقرر الوليد ذلك ، إذاً فالدافع سياسي بحت القصد منه إبعاد منظر فيه خطورة على بني أمية من المسجد النبوي الشريف ، وبعد أن عين الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز والياً من طرفه على المدينة أوكل إليه الإشراف على بناء المسجد والزيادة فيه لعلمه بأن أهل المدينة يحبون عمر بن عبد العزيز لعلمه وتقواه .

أما قول بعضهم بأن عبد الملك بن مروان هو أول من أدخل حجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في المسجد فلعل المراد أنه كان يفتحها للناس

عند صلاة الجمعة إذا ضاق المسجد بالمصلين لأن أبوابها كانت شارعة في المسجد مما يمكن المصلين من الصلاة فيها مع إمام المسجد النبوي ، وجاء أمر الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ببناء المسجد وتوسعته في عام ثمانية وثمانين وانتهى منه في عام ٩١ أو ٩٣ هـ . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز في المدينة أن يساوم أهل الدور التي تشملها التوسعة وفي مقدمتها دور أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة رضي الله عنهن والتي آلت إلى ورثتهن فمن باعه داره أعطاه العوض عنها ومن أبى هدم عليه داره وتصدق بثمنها على الفقراء فلما عرض عمر بن عبد العزيز على الحسن المثنى وزوجته فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه أبيا أن يبيعا دارهما ورفضا أخذ العوض عنها كما رفضا الخروج منها فأمر الوليد بهدمها عليهما فلما هدم معظمها جاء الناس إليهما وأخرجوهما منها وقالوا لهما ماذا تنتظرون من سفهاء بني أمية فمن الهين عليهم أن يهدموها عليكما ولو هلكتما .

وهذا ما وقع أيضاً لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ولآل عمر في دار حفصة رضي الله عنها .

ومن خلال هذين الأمرين ندرك الفرق الشاسع بين أسباب وأسلوب توسعة عمر وعثمان رضي الله عنهما وبين سبب وأسلوب توسعة الوليد بن عبد الملك التي سادها طابع القسر وطابع السياسة في نزع الملكية .

كـيف بنى الوليـــد المســجد

لقد طلب الوليد بن عبد الملك من ملك روما العون في بناء المسجد النبوي الشريف بالعمال والفسيفساء فبعث إليه بأحمال من الفسيفساء وبثمانين عاملاً وبثمانين ألف دينار كما بعث بسلاسل توضع فيها القناديل ـ فبنى الوليد المسجد النبوي بالحجارة المطابقة والقَصَّة وجعل عمده من الحجارة وحشاها بعمد الحديد والرصاص ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب وزخرف حيطانه من الداخل بالرخام والفسيفساء والذهب ، وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو المشرف على هذه العمارة يجيز من أحسن شجرة فسيفساء بثلاثين درهما غير أجرته الأساسية .

فزاده من الشمال أربع عشرة أسطوانة وزاد فيه قليلاً من الغرب أما من الشرق فإنه أدخل الحجرات الشريفة وزاد قليلاً شرقيها ولما أراد أن يبني مكان القبلة أظهر حرصه الشديد على بقائها في مكانها الذي وضعه الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين إذ لم يزد في المسجد النبوي شيئاً من جهة القبلة وعندما أراد أن يبني محراب قبلة عثمان رضي الله عنه نادى مشايخ المدينة وعلماءها وأشرافها من المهاجرين والأنصار والأعراب وقال تعالوا فاشهدوا قبلتكم فصار ينقض الحجر الواحد ويضع مكانه حجراً آخر حتى لاتتغير القبلة عن مكانها .

وجعل للمسجد النبوي أربع منارات وهذا أول وجود لمنارات المسجد النبوي إذ تقدم أن بلالاً كان يؤذن في عهد النبي ﷺ على سطح أقرب بيت كما كان يؤذن أيضاً عند أسطوانة قريبة من بيت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها .

ولما حج سليمان بن عبد الملك بعد ذلك ونزل في دار جده مروان وكانت منارة باب السلام تطل عليه فلما صعد إليها المؤذن ورأى سليمان ذلك أمر بهدم هذه المنارة وبعد ذلك ظل المسجد النبوي على ثلاث منارات حتى سنة سبعمائة وست حين أمر السلطان محمد بن قلاوون ببناء المنارة الرابعة في مكانها بباب السلام .

وجعل الوليد للمسجد النبوي عشرين باباً فلا داعي لتحديد أماكنها الآن لأنها زالت فيما تجدد من عمران للمسجد النبوي الشريف بعد ذلك .

فجمع بناء الوليد بين المتانة والأناقة والفن الإسلامي البديع ، وكان الوليد أول من بنى محراباً في مصلى المسجد النبوي وكان عمر بن عبد العزيز شديد اليقظة والمراقبة للعمال والمهندسين من النصارى مما جعله يكتشف مارسموه من صور رأس خنزير على عدة طاقات من المسجد النبوي أثناء البناء ، فأمر بضرب عنق من فعل ذلك فوراً ؛ وعمل هؤلاء يجعلنا دائمًا لا نأمن حقد ومكر النصارى واليهود مهما كانت علاقتهم مع المسلمين حسنة .

ملحوظـــة : دخول هؤلاء النصارى العمال والمهندسين للمسجد النبوي للبناء مع وجود بعض الصحابة ومع وجود أكابر التابعين وفقهائهم

استدل به من أباح دخول الكفار للمساجد الإسلامية غير المسجد الحرام كما استدلوا أيضاً بدخول السبايا من المشركين وبأسر بعض المشركين في المسجد النبوي أما القائلون بالحرمة فإنهم قاسوا كل المساجد على المسجد الحرام الذي ورد فيه النص بحرمة دخول المشركين فيه في قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾[1] . وجعلوا أسر المشركين في المسجد النبوي منسوخاً بهذه الآية .

وجعل الوليد للحجرة النبوية الشريفة خمسة أركان بخمس صفحات مما جعل شكلها عجيباً .

وقد وضعت خارطة توضح مساحات الزيادات في المسجد النبوي على مر العصور فانتبه لها بعد انتهاء الكلام على الزيادات .

وبعد أن أتم الوليد بناء المسجد النبوي الشريف وقف يتأمل في جماله وأناقته وفنه وإذا بأُبان بن عثمان رضي الله عنه داخلاً المسجد فقال له يا أبان بناؤُنا أم بناؤكم ؟ يعني أيهما أجمل فقال له أبان بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس فسكت الوليد .

---

(١) سورة التوبــة الآية ٢٨ .

زيادة المهدي العباسي من عام ١٦١ ـ ١٦٥هـ

لم يزد أحد في المسجد النبوي بعد الوليد بن عبد الملك من خلفاء بني أميه وفي عهد أبي جعفر المنصور الخليفة الثاني من بني العباس فكر هذا الخليفة في أن يزيد في المسجد النبوي وتحدث بذلك ولكنه مات قبل أن يفعل ذلك وقيل إن سلفه أبا العباس السفاح همَّ بذلك أيضاً وذلك في سنة ١٣٢ ووضح أبو العباس السفاح غرضه من هذه الزيادة بقوله : (أمر عبد الله أمير المؤمنين بزينة هذا المسجد وتزيينه وتوسعته مسجد رسول الله ﷺ سنة اثنين وثلاثين ومائة ابتغاء رضوان الله وثواب الله وإن الله عنده ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وكان الله سميعاً بصيراً) ولكن لم يتم له ذلك .

أما خلفه المنصور فإنه قام بالإعداد لذلك وشاور فيه فكتب إليه الحسن بن زيد واليه على المدينة يشير بزيادة المسجد النبوي من جهة المشرق من ناحية موضع الجنائز ويقول له (إن زيد في المسجد من ناحيته الشرقية توسط قبر النبي ﷺ المسجد) فرد عليه أبو جعفر المنصور بقوله : (إني عرفت الذي أردت فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكأن الحسن بن زيد يشير إلى أبي جعفر بأن يوسع المسجد من جهة المشرق ليهدم بيت عثمان بن عفان لأنه أموي نسباً وذلك انتقاماً مما فعله الوليد بن عبد الملك الأموي بحجرات أمهات المؤمنين وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ففهم أبو جعفر تلك الإشارة فزجره عن ذلك ولكن أبا جعفر المنصور مات قبل أن يتم له ذلك .

ولنترك للقارىء أن يقارن بين بني أمية وبني العباس من خلال هاتين الحادثتين ليتضح له الفرق بينهما .

وإذا كان الدافع للوليد بن عبد الملك في توسعة المسجد دافعاً سياسيًّا بحتاً فإن الدافع للمهدي العباسي وسلفه أبي جعفر وأبي العباس السفاح ليس كذلك إذ كان الدافع للوليد إزالة منظر فيه خطورة على وجود بني أمية في المدينة أما الدافع لأبي العباس وخلفه فإنه رجاء ثواب الله .

وبعد موت أبي جعفر المنصور حج ابنه المهدي ومر بالمدينة المنورة ودرس تعمير المسجد النبوي وزيادته وكان ذلك سنة ١٦٠ هجرية وولى على المدينة جعفر بن سليمان وأمر بالزيادة في المسجد النبوي وبدأ العمل فعلاً وعين من يشرف على ذلك فزاد فيه من الشمال مائة ذراع ولم يزد فيه من المشرق ولا من القبلة شيئاً وزاد فيه من الغرب شيئاً يسيرًا يقاس بذراع أو ذراعين في مداخل المسجد الغربية .

وأدخل فيه دار مُلَيْكَه ، وهي دار لعبد الرحمن بن عوف آلت إلى عبد الرحمن بن جعفر فاشتراها منه المهدي وأدخلها في المسجد النبوي وأدخل أيضاً دار شرحبيل بن حسنة التي وهبتها له أم المؤمنين أم حبيبة ، وأدخل بقية دار القراء ودار المسور بن مخرمة التي كانت عند المنارة الشرقية آنذاك وكل هذه الدور كانت شمال المسجد النبوي وانتزعت ملكيتها بالشراء والإرضاء .

وأمر المهدي بهدم المقصورة التي كانت في المحراب وسوّاها بأرض المسجد . وزخرف المسجد بالفسيفساء .

وخلاصة زيادة المهدي للمسجد النبوي أنها كانت بدافع ديني وانتزعت الملكية فيها بالشراء والإرضاء دون قسر وإكراه وكانت محصورة في الشمال غير زيادة يسيرة من جهة الغرب .

وبعد المهدي لم يزد في المسجد النبوي إلا أنه في عام ٦٥٤هـ. احترق المسجد النبوي كما تقدم الكلام على ذلك في موضوع الحجرة الشريفة . ولما كتب إلى الخليفة المستعصم في بغداد في شهر رمضان بأمر هذا الحريق بادر بإرسال الآلات والصناع وبدأت عمارة المسجد النبوي الشريف ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن . فهاجم التتار بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم وأبادوا أهل بغداد وألقوا بمئات الألوف من الكتب الإسلامية النفيسة في نهر دجلة حتى اسودّ ماؤه طيلة شهور ؛ وما فعله هو شأن كل كافر حاقد عندما يجدُ فرصة ضد المسلمين فيستهدف العلماء والكتب ومراكز العلم والدين ، هذا ماوقع في حروب الصليبيين والمستعمرين والشيوعيين في الروس والصين وما يقع في فلسطين من إبادة وتشريد ، وبلغ الحقد ذروته في حرق المسجد الأقصى والحفر تحته إلى غير ذلك من ألوان الفساد التي تلون في عصرنا بلون جديد هو التشكيك في دين الإسلام والتخطيط للاستخفاف به ثم لقلعه وإزالته من قلوب المسلمين بزرع الأفكار الملحدة والمذاهب الهدامة وإبعاد المسلمين عن القرآن والتزهيد في علماء الإسلام وتحقير شأنهم ونزع ثقة العامة منهم والتنفير من الأخلاق والآداب الإسلامية بوصفها بأوصاف منفرة مثل : (الرجعية ـ التزمت ـ التطرف ـ كبت الحرية) إلى غير ذلك من الأوصاف المنفرة لتكون غسيلاً لما تبقى من قيم ومبادىء إسلامية .

وبعد قتل الخليفة المستعصم قام سلاطين المسلمين في ذلك الوقت في مصر واليمن وتعاون الجميع على إعادة بناء المسجد النبوي دون الزيادة فيه ، وانتهت هذه العمارة في عهد الظاهر بيبرس وعلى يده إذ أبدى اهتماماً عظيمًا بإتمامها وأمر في سنة ٧٢٩هـ. بزيادة رواقين في السقف القبلي حتى اتصلا بمؤخره . وفي عام ٨٥٣هـ. جدد الظاهر جقمقم سقف الحجرة الشريفة وما احتاج إلى التجديد من سقف المسجد النبوي ، وهذا يعني أن أولئك السلاطين ما كانوا يتعرضون لهدم شيء أو بنائه من المسجد النبوي إلا إذا احتاج إلى ذلك .

وفي سنة ٨٧٩هـ. ظهر خلل في بعض السقف والجدران فهب السلطان الأشرف قايتباي فرمم ذلك وأنقه بروح تبدو فيها التقوى والرغبة في الثواب من الله .

وفي عام ٩٧٤هـ. قام الملك الناصر سليمان بتجديد جدار المسجد وبتجديد المنارة الشرقية .

وذلك بعد بناء الأشرف قايتباي بعد الحريق الثاني بأقل من قرن حيث كان الحريق الثاني للمسجد النبوي عام ٨٨٦هـ. حيث وقعت صاعقة على المنارة الرئيسة مما تسبب في حريق المسجد ولم يستطيع أهل المدينة مكافحة هذا الحريق مما اضطر الناس إلى الهروب من المسجد النبوي بعد أن مات أفراد منهم نائب خازن الحرم ، وبفضل الله سلمت الحجرة الشريفة فأمر الأشرف قايتباي بالمبادرة بتنظيف المسجد النبوي من آثار الحريق ، وبعث بأكثر من

مائة صانع وجهز الآلات والمؤ ن فعمر المسجد النبوي وزاد قليلاً في عرضه كما قام بتوسعة محراب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبعد هذا البناء توالت الترميمات الجزئية دون عمارة شاملة ودون زيادة لها بال حتى عام ١٢٦٥هـ .

زيادة السلطان عبد المجيد الكبرى في عام ١٢٦٥ ـ ١٢٧٧هـ.

لقد مضى على المسجد النبوي الشريف ما يقارب أربعمائة سنة بدون تجديد حتى آل بعض سقوفه للسقوط والخراب فأنهى شيخ الحرم في ذلك الوقت وهو داوود باشا إلى السلطان عبد المجيد وأخبره بحاجة المسجد النبوي إلى البناء فأرسل السلطان عبد المجيد فوراً من يثق فيه وأرسل معه مهندساً خبيراً وكان ذلك سنة ١٢٦٥هـ. واستعانا بأهل المدينة في التحقيق في حاجة الحرم النبوي الشريف للعمارة والتجديد ثم قفلا إلى الآستانة (استانبول) وأخبرا السلطان عبد المجيد بصدق حاجة المسجد النبوي الشريف إلى العمارة والتجديد فعند ذلك جد السلطان وأرسل حليم أفندي والياً على العمارة وجهز معه الآلات والمؤ ن والفنيين بحراً إلى ينبع ثم لما جاء بجميع ذلك إلى المدينة بعث أولئك الفنيين ينقبون في الجبال حتى وجدوا في بعض جبال المدينة من جهة الجنوب الغربي ما يصلح لما يريده الحجارون فخيموا هناك وأخذوا المطارق وقطعوا من ذلك الجبل قطعاً عظاماً واستخرجوا منها

سبائك الأحجار وحملوها على عربات تجرها البغال إلى دار الضيافة التي كانت بجوار المسجد النبوي إلى الشمال وتدخل مع طريق خاص من باب الشامي إلى شارع الساحة فباب الرحمة فدار الضيافة .

وبنى السلطان عبد المجيد المسجد النبوي وجعل أكثره سقوفاً على عبارات من خشب وعقود من الآجر ، وجعل الأساطين من الحجر الأسود المنحوت قطعاً مصنوعة بأعمدة الحديد مفرغاً بينها الرصاص ومضخمة بتلبيس الجص والنورة قريب بعضها من بعض ، وعندما بدأ العمل احتاطوا كل الاحتياط حتى لا يسقط شيء من صحن المسجد حيث أبدلوا من تلك السقوف الخشبية عقوداً كالقناطر من الحجر الأحمر المنحوت وأحدث في هذه العمارة باب المجيدي الذي كان محله في داخل المسجد ثم جعل في الزيادة السعودية في مكانه المقابل له ولا يزال يحمل اسمه حتى الآن ، وفي هذه العمارة المجيدية هدمت بيوت وأفران كانت في الجهة الشمالية بعد شرائها من أهلها وكذا هدمت ميضأة كانت هناك وفتح بدلاً من ذلك دور وحجرات عن يمين ويسار باب المجيدي لتعليم الأطفال وقد اجتاحت توسعة المملكة العربية السعودية الهائلة جميع ذلك بل وأضعافه .

وكان مؤخر أرض المسجد أعلى من مقدمها وفي هذه العمارة المجيدية سُوي جميع ذلك . وبنوا خلوة فيما بين باب جبريل وبين المنارة الرئيسة فوق سقف الجدار وجعلوا لها درجاً يصعد إليها . ووضعوا في هذه الخلوة بعض متعلقات الحجرة الشريفة . وبنوا باب جبريل في محاذاة محله الأول . وحفروا

للمنارات إلى قامة تحت الماء وبنوا أسسها بالصخور والحجارة السوداء واستمرت العمارة رغم عزل من ولِّي عليها أحياناً وموته أحياناً أخرى ، وبنوا الموضع الموجود الآن والمعروف بموضع الجنائز وسقفوه ليجلس البواب تحته وصار هذا الموضع بمنزلة الصُّفَّة حيث يجلس فيه بعض الفقراء وربما بات فيه لأنه خارج عن أبواب المسجد كما استفيد منه في الصلاة في أوقات الزحام والمواسم ، وجعلوا لأعمدة الروضة الشريفة ولأعمدة المسقوف من المسجد في حياة النبي ﷺ وفي أعمدة حدود المسجد النبوي علامات تدل على ذلك كما تقدم في موضوع الروضة الشريفة .

وتتميز هذه العمارة المجيدية باللون الأحمر مع الجمال والزخرفة والقباب والأعمدة الحجرية وكتابة الآيات والسور على الجدران وبداخل القباب ولا يزال الباقي من هذه العمارة متميزاً بطابعه وشكله الخاص وزاده بقاء بشكله حرص المملكة العربية السعودية على ذلك حيث تُرمم منه ما احتاج إلى الترميم وتزين منه ما احتاج إلى الزينة من دون تغيير ولا خدش لطبيعته .

وكتب على الجدار القبلي أسماء الرسول ﷺ وآيات قرآنية ، وتمت كتابة ماكتب في جميع نواحي المسجد في خلال ثلاث سنين ، تمت هذه العمارة سنة ١٢٧٧هـ وكلفت هذه العمارة ١٤٠٠٠ كيس من الذهب وفي الكيس الواحد خمس ذهبات مجيدية ، وعمل فيها ٣٥٠ عاملاً دون الكتبة والمهندسين والمأمورين .

عمارة المملكة العربية السعودية وزيادتها الهائلة

إن المملكة العربية السعودية (والحق يقال) كان قيامها مصدر العز والافتخار للمسلمين والإسلام في كل مكان يحل فيه المسلمون منذ تأسيسها على يد المغفور له الملك عبد العزيز الذي وجد الجزيرة العربية ممزقة شر تمزيق تسودها الفوضى والبغضاء حتى لا يكاد المرء يجد فيها رجلين على قلب واحد فوحدها تحت راية لا إله إلا الله ، وأعلن دستورها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأبرز المصحف الشريف لعصبة الأمم المتحدة دستوراً لبلاده ، ومنذ تأسيسها ساد الأمن في ربوع الجزيرة العربية وساد الرخاء حتى أصبح القاصدون للحرمين الشريفين لايخشون إلا الله في حلهم وترحالهم فكان ذلك عاملاً قويًّا في كثرة الحجاج والزائرين للحرمين الشريفين مما جعل الحاجة ملحة لتوسعة الحرمين الشريفين فبادر الملك عبد العزيز رحمه الله بالأمر بتوسعة الحرمين الشريفين يحدوه الإخلاص والتلبية لحاجة الحرمين اللذين شرف الله الأسرة الملكية السعودية بالقيام عليهما والحماية والصيانة والتعمير فما من أحد من هذه الأسرة إلا ويعلن اعتزازه بأنه خادم الحرمين الشريفين .

وفي عام ١٣٦٨هـ أصدر الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله أمراً بإرادته وعزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف فكانت بشارة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وبدأ التنفيذ في شهر شوال سنة ١٣٧٠هـ بهدم الدور المحيطة بالمسجد النبوي بعد تعويض أهلها تعويضاً سخيًّا حاز رضاهم وفي

عام ١٣٧٢هـ وضع حجر أساس هذه التوسعة ، وفي شعبان من نفس العام شرع في حفر الأساس للجهة الغربية من المسجد النبوي من جهة باب الرحمة ، وفي ربيع الأول من عام ١٣٧٣هـ وضعت أحجار أربعة في إحدى الزوايا للجدار الغربي .

كما أنشىء مكتب لمشروع توسعة الحرم النبوي الشريف يضم أكثر من خمسين موظفاً للقيام بجميع أعمال المشروع وأُلفت لجنة من كبار أهل المدينة لتقدير قيمة ما سيهدم من العقار لهذه التوسعة وقد بلغت مساحة ما انتزعت ملكيته للمشروع ٢٢٩٥٥ متراً مربعاً . وأقيم مصنع خاص لصنع الأحجار الملونة السطوح وعمل فيه أربعمائة عامل من مهندسين وغيرهم كما عمل في الحرم النبوي نفسه أربعة عشر مهندساً يشرفون على أكثر من مائتي صانع من مصر وسورية واليمن والسودان وباكستان وحضرموت مع ألف وخمسمائة من الوطنيين السعوديين ، واستجلبت مواد البناء اللازمة في البواخر إلى ينبع وبالناقلات الضخمة إلى المدينة .

وفي أوائل عام ١٣٧٥هـ أُتمت التوسعة السعودية الأولى هذه ذات الطابع الأبيض الذي يميزها عن العمارة المجيدية ذات الطابع الأحمر .

وما إن مضى على هذه التوسعة زمن قليل حتى ظهرت بوادر الحاجة من جديد إلى توسعة أخرى للعوامل التي تقدم ذكرها فأصدر الملك فيصل رحمه الله أمره بتوسعة المسجد النبوي وهي التوسعة الثانية التي أدخلت معظم أحياء المدينة المنورة القريبة من المسجد في العهد النبوي مثل حي بني النجار وبني

ساعدة ومعظم سوق المدينة النبوي وحي بني زريق حتى لم يبق بين باب السلام وبين مساجد المصلى (مسجد علي ـ مسجد الصديق ـ مسجد الغمامة) بيت قائم فكانت مساحة التوسعة التي أمر بها تساوي ٢٦ ألف متر مسطح مثل مساحة المسجد النبوي الحالية وثلثها وحدد للمباشرة في هذه التوسعة مطلع عام ١٣٩٣هـ . وتشغل محلها المظلات الواقعة في غرب الحرم النبوي الشريف والميادين والمواقف أمام باب السلام ومعظم ماشملته هذه التوسعة هو ما كان يعرف قديماً بالبلاط الذي ورد ذكره في الأحاديث النبوية وفي شعر المهاجرين والأنصار . كما في قول الشاعر :

إلى البلاط فما حازت قرائنه دورٌ نزحن عن الفحشاء والهون

واستمر هذا المشروع للتوسعة الثانية في العهد السعودي ، حتى يومنا هذا : (غرة شوال ١٤٠٥هـ.) حيث أزيلت أحياء في هذا العام لصالح المشروع وحتى لم يبق بين المسجد النبوي وبين البقيع بناء وأشهر ما أزيل في هذه المرحلة دار أبي أيوب الأنصاري التي نزل فيها النبي ﷺ حين قدومه مهاجراً والتي كانت على مقربة من الركن الشرقي الجنوبي للمسجد النبوي على بعد خمسة وعشرين متراً تقريباً يفصلها منه طريق مفروش بالبلاط . كما تقرر في هذه التوسعة إزالة الحي المعروف قديماً بالمناصع والذي فيه اليوم مدرسة العلوم الشرعية والرومية وفندق التيسير القديم وفندق بهاء الدين والأسواق الزاهرة الواقعة في هذا الحي المعروف أثريًّا بالمناصع . وتقرر أيضاً إزالة الحي الواقع في منطقة بيرحاء والذي يعرف الآن بباب المجيدي الذي

رأيت مكتوباً على جدران مبانيه الأمر بمراجعة أمانة المدينة مع استصحاب صكوك الامتلاك من أجل تقرر إزالة الامتلاك هذا مع ما يبديه الملك فهد حفظه الله من حرص على بقاء المسجد النبوي أنيقاً محاطاً بالميادين حتى يتسنى للقادم إلى المدينة المنورة مشاهدته واضحاً مع شوارع مستقيمة من كل مداخل المدينة .

وفي التوسعة السعودية الأولى أُنشئت مكتبة المصحف التي تعد مشروعاً عظيمًا داخل مشروع التوسعة وهي تقع في علو باب الصديق وتمتد جنوباً إلى علو خوخة أبي بكر الصديق التي هي الفتحة الجنوبية من هذا الباب ، ويقع باب هذه المكتبة في الجانب الشمالي من باب الصديق من الداخل ويصعد إليها بسلم حجري مريح مفروش بطنفسة حمراء فاخرة ولهذه المكتبة نوافذ ترىٰ منها جموع المصلين داخل المسجد النبوي وفي داخلها مكبرات للصوت تمكن المصلين فيها من متابعة الإمام في الصلاة .

وفوق هذه المكتبة غرفة وضع فيها بعض الآثار ، وفي هذه المكتبة مخازن بعضها من الخشب الأسمر الجميل النفيس المطعم بعاج ناصع البياض ومكتوب على بعض هذا العاج آيات قرآنية وأبيات شعرية بالعاج والفضة والبعض الآخر من المخازن يتجلى فيه جمال الزخرفة الفائقة ، وقد أهدت هذه الخزائن إلى الحرم النبوي الشريف والدة الخديوي عباس باشا عام ١٣٢٨هـ وكانت هذه الخزائن بجانب باب السلام داخلة فأصابها بعض الإهمال ولكن للعناية بها نقلت إلى هذه الخزائن بعد أن أرسلت إلى أحد المصانع في جدة

حيث جددت هناك عناصر جمالها على أيدي فنيين من المواطنين السعوديين ؛ وفي المكتبة أيضاً خزائن أخرى في غاية الجمال وأبوابها من الزجاج ونسقت فيها المصاحف الأثرية مع مراعاة جمال الخط وقدم التاريخ في الترتيب وفيها مصحف خطي ضخم يقارب وزنه ١١٥ كيلو غرامًا وخطه جميل وهو بخط غلام محيي الدين سنة ١٢٤٠هـ فأهدي إلى الحرم النبوي ثم نقل إلى هذه المكتبة عناية به وصيانة له ، وإلى هذه المكتبة نقلت نخلتان من الصفر كانت إحداهما عن يمين المنبر النبوي والأخرى عن يساره وهما من الزخرفة العثمانية ونقلتا إلى هذه المكتبة بعد أن أجليتا ونظفتا وذلك كله صيانة لهما ، وتم مشروع هذه المكتبة عام ١٣٩١هـ وقام بافتتاحها أمير المدينة الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز نيابة عن أخيه الملك فيصل ـ رحمه الله ـ وفي هذه المكتبة ألف وتسعمائة مصحف مخطوط بعضها يعود تاريخه إلى القرن السادس الهجري . وفي العلو الشمالي من المسجد النبوي بين باب عمر وباب المجيدي تقع مكتبة الحرم المدني التي أنشئت عام ١٣٥٢هـ فكانت كمكتبة لأول جامعة إسلامية في الإسلام وهي (المسجد النبوي الشريف) والتي ضمت إليها عدة مكتبات منها مكتبة شيخنا أحمد الخياري .

البقيـــــع

يقصد بهذه العبارة لغة الأرض الرخوة الخالية من الحجارة ، وهذا النوع من الأرض معهود لجعل المقابر فيه وفي المدينة المنورة كثير من ذلك مثل بقيع الخيل ، وبقيع الزبير وغيرهما ، ولكن هذه اللفظة أصبحت علمًا بالغلبة على مقبرة المدينة المنورة ، والتي تقع شرقي المسجد النبوي وكان يفصلها عنه حي كبير يدعى في عصرنا « حارة الأغوات » وهم خدام الحرم ومعظم هذا الحي أوقاف ، وقد أزيل هذا الحي لتوسعة الحرم النبوي الشريف وميادينه وبإزالته أصبح لاشيء يحول بين الحرم وبين البقيع وذلك عام ١٤٠٥هـ وأصبح المار مع شارع أبي ذر يرى الحرم النبوي في غاية الجمال ولا يكدر نظره شيء من تلك المباني العتيقة ، وقد ورد في فضل البقيع الشيء الكثير من الأحاديث والآثار فمن ذلك ماورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتها فخرج آخر الليل إلى البقيع فيقول « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ وعني ؟ قلنا : بلى . قالت : لما كانت ليلتي التي رسول الله ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ

رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب وخرج ثم أجافه رويداً ، وجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات وانحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائشة حشيا رابية قالت قلت : لا شيء قال لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير ، قالت قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته ، قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟ قلت نعم ، فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ثم قال : أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ؟ قال : نعم ، قال : إن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم . قالت : قلت كيف أقول لهم يارسول الله ؟ قال : قولي : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » وورد أنه يبعث من مقبرة البقيع سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب ، وورد أيضاً : « أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكون أول من يبعث فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى أهل البقيع فيبعثون ثم يبعث أهل مكة فأحشر بين الحرمين » .

هذا وقد دفن بالمدينة المنورة نحو عشرة آلاف من الصحابة ، وقد ألف بعض العلماء كتباً قيمة فيمن بالمدينة من الصحابة ومنهم مصطفى الرافعي

خارطــة بقيع الغرقــد المقبرة العامة بالمدينة المنورة

وفيهــا أكثر من عشــرة آلاف صحــابي

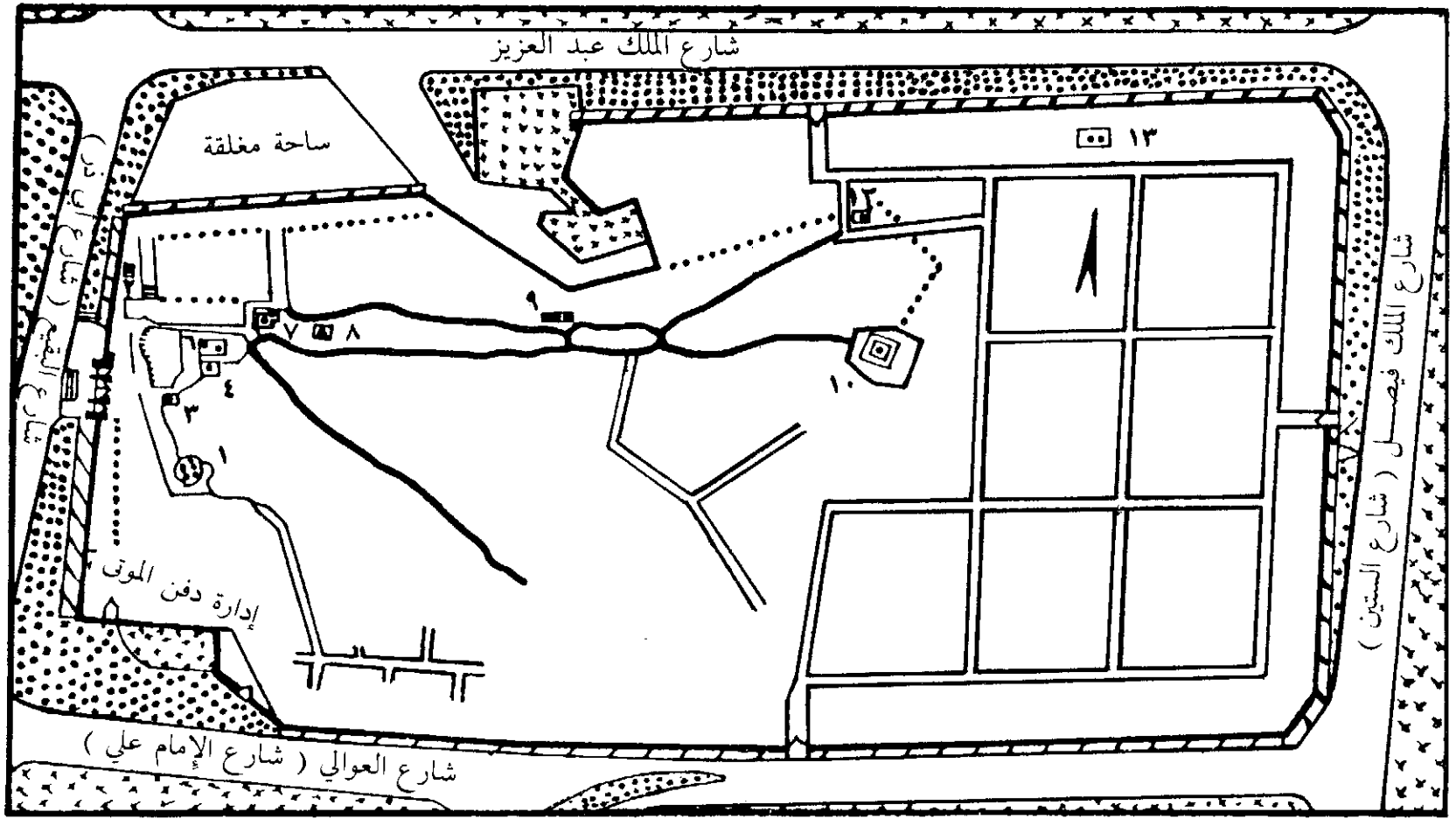

الذي ألف كتاب : « **عنوان النجابة فيمن مات بالمدينة من الصحابة** » وذكر عدداً من الصحابة منهم المدفون في البقيع ، ومنهم المدفون في أحد ، ومنهم المدفون في مقابر الأحياء .

القبور المعروفة من قبور الصحابة

لا يعرف قبر من دفن بالمدينة من الصحابة بالتحديد إلا ما ذكر من قبور بعض السلف والآل التي ظلت معروفة ، ومنها : قبر العباس عم رسول الله ﷺ ، والحسن بن علي ووالدته فاطمة رضي الله عنهما ، ومع الحسن ابن أخيه علي زين العابدين وابنه الباقر وابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم ، وقبر عقيل بن أبي طالب ومعه ابن أخيه عبد الله بن جعفر ، وقبر إبراهيم بن النبي ﷺ ، وقبر عثمان بن مظعون أول مهاجري دفن بالبقيع ، وبالقرب منه عبد الرحمن بن عوف الذي عاهده بأن يدفن قريباً منه ، وإلى القبلة من قبر عقيل قبور أمهات المؤمنين إلا خديجة وميمونة فالأولى دفنت في مكة والثانية دفنت بسرف في المكان الذي دخل بها فيه رسول الله ﷺ وقبراهما معروفان حتى الآن ، ثم في آخر البقيع الأول قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه في مكان اشتراه وأضافه إلى البقيع وكان يعرف بحش كوكب ، وإلى الشمال منه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويقال : إن علي بن أبي طالب ورأس الحسين ابنه رضي الله عنهما دفنا في

البقيع أيضاً ، ولكن الصحيح أن علي بن أبي طالب دفن في قصر الإمارة بالكوفة وأخفي قبره خوفاً عليه من نبش الخوارج له .

ودفن بالبقيع أيضاً عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام ، في طرف البقيع الشمالي الغربي ، ويعرف مكان دفنها ببقيع العمات على يسار الباب الشمالي للبقيع ، وإلى الشرق من بقيع العمات يوجد قبر الإمام مالك إمام المدينة رحمه الله وقبر شيخه نافع رحمه الله ، ولنرجع جنوباً حيث يوجد إلى الغرب من قبر العباس بن عبد المطلب قبر إسماعيل بن جعفر الصادق .

انظر الخارطة التي وضعتها لذلك .

هذا وقد قامت المملكة العربية السعودية بعدة توسعات للبقيع من الشمال ، ومن الشرق ، والتوسعة في هذه الجهة فاقت كل التوسعات حيث أضافت إلى البقيع ضعف مساحته الأولى ، فأضافت بهذه التوسعة مفخرة جديدة خالدة تستوجب دعاء المسلمين .

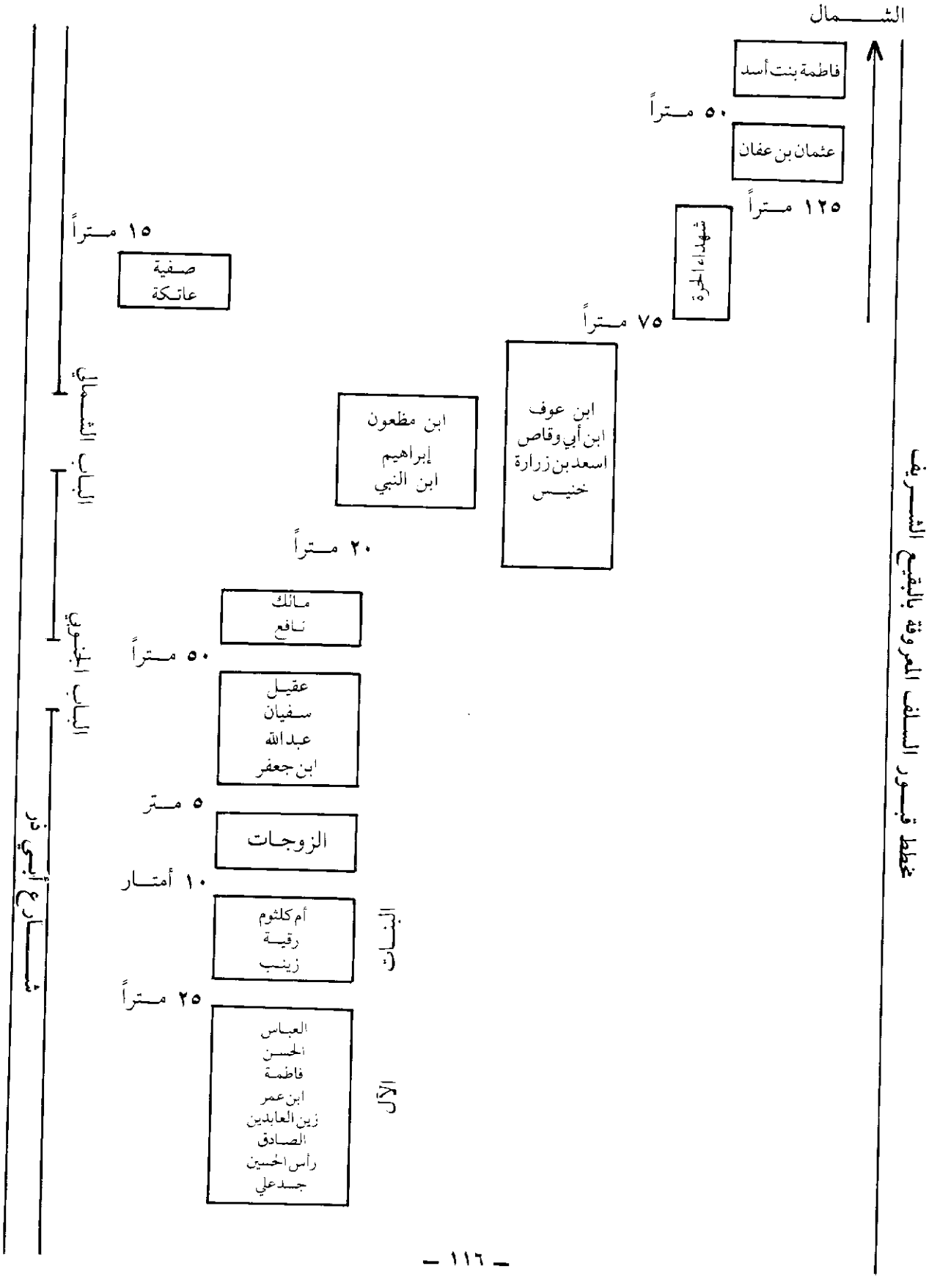
الشمال
فاطمة بنت أسد
٥٠ متراً
عثمان بن عفان
١٢٥ متراً
شهداء الحرة
٧٥ متراً
ابن عوف
ابن أبي وقاص
اسعد بن زرارة
خنيس
ابن مظعون
إبراهيم
ابن النبي
٢٠ متراً
مالك
نافع
٥٠ متراً
عقيل
سفيان
عبد الله
ابن جعفر
٥ متر
الزوجات
١٠ أمتار
أم كلثوم
رقية
زينب
البنات
٢٥ متراً
العباس
الحسن
فاطمة
ابن عمر
زين العابدين
الصادق
رأس الحسين
جد علي
الآل
١٥ متراً
صفية
عاتكة
الباب الشمالي
الباب الجنوبي
شارع أبي ذر
مخطط قبور السلف المدفونة بالبقيع الشريف

المساجد التي ثبت أن النبي ﷺ صلى فيها

سوف أقتصر في هذا الموضوع على المساجد الباقية بعينها أو بموقعها مما يجعل التعرف عليها ممكناً إذ لا فائدة من ذكر مالا تعرف عينه ولا يعرف مكانه بعد ذهاب عينه . وأهم هذه المساجد على الإطلاق المسجد النبوي الشريف وقد تقدم الكلام عليه مطولاً ، وقد قدمت الكلام عليه لفضله على مسجد قباء وإن كان مسجد قباء أسبق وجوداً .

مسجد قباء

إن منطقة قباء هي أول منطقة سكن فيها المهاجرون بعد قدومهم من مكة المكرمة وذلك بعد انتشار الإسلام في المدينة بعد بيعتي العقبة ودعوة الأنصار للنبي ﷺ للهجرة إليهم وتعهدهم بحمايته بما يحمون به نساءهم وأبناءهم ، فعند ذلك بدأ أصحاب رسول الله ﷺ يهاجرون إلى المدينة وكان من أولهم خروجاً إليها عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه وقيل إنه أول من يأخذ كتابه بيمينه وبالعكس أخوه الأسود بن عبد الأسد فإنه قيل إنه أول من يأخذ كتابه بشماله ، قال ناظم عمود النسب :

ومن هلال اللذان ما اتحد أخذهما السجل من عبد الأسد
عبد الإله باليمين قد أخذ بالعكس الأسود أخوه المتبذ

وأبو سلمة هذا كان زوجاً لأم المؤمنين أم سلمة قبل النبي ﷺ ولما أراد الخروج مهاجراً منع المشركون زوجته من الخروج معه ولم تخرج إلا بعد ذلك بمدة وبعد جدال بين المشركين أنفسهم ، وقدم أبو سلمة المدينة بكرة وقدم عامر بن ربيعة عشيًّا ثم بعد هؤلاء توجه مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة موفداً إليها ليعلم الأنصار أمور الدين إذ كرهوا أن يكون إمامهم ومفقههم منهم كما طلبوا ذلك من رسول الله ﷺ ، ثم تتابعت هجرة الصحب الكرام رضي الله عنهم حتى لم يبق من أعيانهم مع رسول الله ﷺ إلا أبو بكر وعلي رضي الله عنهما .

وكان من هاجر من المسلمين يستقر بقباء عند بني عمرو بن عوف واتخذوا مكاناً يصلون فيه بإمامة مصعب بن عمير رضي الله عنه فكان ذلك مكان مسجد قباء فيما بعد حين هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة ونزل بقباء على كلثوم بن الهدم بعد أن استقبله الأنصار مدججين بالسلاح وبعد أن تفاءل باسم أبي بردة الأسلمي وباسم عشيرته وقال للصديق : برد أمرنا وسلمنا . وبعد أن تفاءل بالاتجاه إلى اليمين وإلى العالية .

وأسلم أبو بردة هذا وآمن معه قومه بنو سهم وأعطى عمامته للنبي ﷺ ليجعلها لواء فجعلها على رأس عصا واتخذها أول لواء له ﷺ .

ونزل ﷺ حين قدم تحت ظل نخلة غربي مكان مسجد قباء فلم يميز الأنصار رسول الله ﷺ من الصديق لأنهم لم يروه من قبل حتى لحقته الشمس فقام الصديق يظلله بردائه فعرف الأنصار حينئذ رسول الله ﷺ من

الصديق ، ثم انتقل إلى بيت كلثوم بن الهدم ، فقال كلثوم لغلام عنده يدعى نجيحاً يا نجيح أطعمنا رطبًا ، فقال ﷺ للصديق « نجحت أو نجحنا » فأتى بقنو من أم جردان فيه رطب منصف وفيه زهو ، فقال ﷺ ما هذا ؟ فقال عذق من أم جردان ، فقال ﷺ : (**اللهم بارك في أم جردان**) ، وكان النبي ﷺ يجلس أيضاً في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان أعزب ، وكلا بيتي كلثوم بن الهدم وسعد بن خيثمة كانا في جنوبي مسجد قباء في مكان مدرسة قباء الابتدائية الآن وإلى مقدمة المسجد شمالاً ، واختلف في عدد الأيام التي مكثها النبي ﷺ في قباء إلا أنه نزل بها يوم الاثنين وارتحل عنها يوم الجمعة ، وقام ببناء مسجد قباء (أول مسجد أسس على التقوى) وهو أول مسجد صلى فيه النبي ﷺ بأصحابه صلاة الجماعة جهراً وكانت قبلته إلى بيت المقدس ، وقد حمل النبي ﷺ الحجارة بنفسه في بناء هذا المسجد ، وإذا أراد أحد أصحابه أن يأخذ عنه الحجر قال خذ حجراًغيره ، فوضع قبلته وجبريل يريه القبلة المشرفة ، وكان عبد الله بن رواحة يقول في أثناء بنائه :

أفلح من يعالج المساجدا
يقرأ فيها قائمًا وقاعدا
ولا يبيت الليل عنه راقدا

وكلما قال المساجدا ـ قاعدا ـ راقدا قال ﷺ معه المساجدا ـ قاعدا ـ راقدا ، ويوجد محراب صغير في صحن مسجد قباء يعتقد أنه في محل مبرك ناقته ﷺ حين قدم قباء .

فضـــل الصـلاة في مسـجد قبـــاء[1]

روى الطبراني بسنده إلى سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة**) ، وورد أنه ﷺ كان يزور قباء يوم السبت ويركب له ، وورد أيضاً أنه كان يأتيه يوم الاثنين ، وفي منتخب كنز العمال : (من صلى في مسجد قباء يوم الاثنين ويوم الخميس انقلب بأجر عمرة[2]) وصارت تلك عادة أهل المدينة حيث يذهبون إلى مسجد قباء يوم السبت للصلاة فيه ، وحتى يومنا هذا ، قال عبد الرحمن بن الحكم :

فـإن أهلك فقـد أقـررت عينـا من المعتمـرات إلى قبـاء
من الـلائي سـوالفهن غيـد عليهن المـلاحـة بـالبهـاء

وقد أثنى الله تعالى على أهل قباء بقوله : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾[3].

فقال لهم النبي ﷺ : (**ما الذي أحدثتم فيه فقد أحسن الله عليكم الثناء ؟**) فقالوا : إنا نجمع بين الحجارة والماء في الطهارة .

---

(١) تحقيق النصرة ص ٣٥ .
(٢) ابن شبة جـ ١ ص ٤٠ .
(٣) سورة التوبة الآية ١٠٨ .

وقد حاز مسجد قباء العناية من المسلمين وحكامهم على مدى العصور : فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جدده ، وكذلك ذو النورين رضي الله عنه وزاد فيه وأخّر محرابه جنوباً كما فعل في المسجد النبوي لأن الصحابة الذين شاهدوا وضع الكعبة في حياته ﷺ لا يزالون موجودين ، وكذا جدده عمر بن عبد العزيز رحمه الله في أيام ولايته على المدينة وذلك عام ٨٧ ـ ٨٩هـ ونمقه وزينه ووسعه من الشمال وعمل له مئذنة لأول مرة ، وجعل في وسطه رحبة ، وتوالت تجديداته حتى عهد السلطان محمود الثاني عام ١٢٤٥هـ وعهد ابنه عبد المجيد .

وقد تغنى الشعراء بقباء ونخيلها قال الشاعر :

أهوى البلاط فجانبيه كليهما فالعرصتين إلى نخيل قباء

وفي عام ١٣٨٨هـ أمر الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله بتجديد عمارته فبني بناء حديثًا جميلاً وزاد فيه من الشمال ، وفي عهد أخيه الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله أمر بتوسعة هائلة لمسجد قباء على نفقته الخاصة وهي من الجهة الشمالية والعمل فيها جار الآن على قدم وساق أعني في شهر رمضان عام ١٤٠٥هـ .

وكان مسجد قباء يبعد ثلاثة أميال من المسجد النبوي ولكن العمران اتصل به من المدينة وأصبحت قباء حيًّا وسط عمران المدينة فقد انسابت المباني جنوبه وغربه بشكل عجيب ، ولمسجد قباء الآن ثلاثة أبواب : اثنان في الجهة الغربية وواحد في الشمال للنساء ، وبغربيه كانت توجد الحديقة التي فيها بئر

أريس التي سقط فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه ، وقد أدركت هذه البئر وبها ماء وعليها عريش مُظلّ ، ثم تحول مكانها ومكان النخيل من حولها إلى ساحة فسيحة لوقوف السيارات وهو شيء مفيد إذا لم يؤد إلى طمس اسم هذه البئر التي طالما سألنا عنها بعض زوار المدينة ممن لهم معرفة بآثارها ، ويمكن إبقاء اسمها بتسمية الميدان أو التقاطع باسمها ، وكانت طريق النبي ﷺ إلى قباء ذهاباً تمر بالمصلى أي الغمامة ثم مكان مسجد عمر رضي الله عنه ، وفي الإياب تمر بمسجد بني زريق وموضعه شرقي أمانة المدينة اليوم حيث البوابة التي تدخل منها السيارات إلى داخل الموقف وحيث محصل النقود من السيارات الداخلة ، وكان يبعد عن باب السلام بأربعمائة ذراع تقريباً ، ومسجد بني زريق الذي هذا مكانه هو أول مكان قرىء فيه القرآن بالمدينة لأن رافع بن مالك الزرقي لما لقي رسول الله ﷺ بالعقبة أعطاه ما قد كان نزل من القرآن بمكة إلى تلك الليلة ، ورافع هذا استشهد يوم أُحد ونقل ودفن في حي قومه بني زريق ، وذلك قبل الأمر بدفن الشهيد حيث يستشهد .

ثنيـــة الــوداع

إن اسم ثنيات الوداع خلده وروده في نشيد الأنصار في استقبالهم للمصطفى ﷺ حين قدم مهاجراً :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيهــا المبعــوث فينــا جئت بــالأمــر المــطاع

وكان هذا النشيد تعبيراً حيًّا عن فرحة الأنصار بالنبي ﷺ وهو أمر يجب أن لا ينسى ، إذاً فما هي ثنيات الوداع ؟ وهل هي باقية معروفة كما كانت في العهد النبوي الشريف ؟

إن لفظ ثنيات الوداع ورد في النشيد الأول بصورة الجمع مع فتح واو الوداع ، وقال في القاموس : إنه مفرد بصورة الجمع كما هو الحال في أذرعات وعرفات فهما مفردان بصورة الجمع ، وفي إعراب هذا النوع من الأسماء عدة وجوه ، أشهرها : أنه يعرب إعراب الجمع المؤنث السالم فتنوب فيه الكسرة عن الفتحة ، والوجه الثاني أنه يعرب إعراب ما لا ينصرف فتنوب فيه الفتحة عن الكسرة وبهذين الإعرابين يقرأ قول الشاعر :

تنـورتهـا من أذرعــاتٍ وأهلهـا بيثـرب أدني دارهـا نـظر عـال

فعلى إعراب أذرعات إعراب الجمع المؤنث الصحيح فإن التاء تنون بكسرتين ، وعلى إعرابها إعراب ما لا ينصرف فإن التاء تفتح بدون تنوين وتكون الفتحة نائبة عن الكسرة لأن الاسم مجرور بحرف جر .

وقيل إن للمدينة ثنيتي وداع : إحداهما لوداع الحاج وهي جنوبي المدينة قبيل قباء وهي التي وقع فيها نشيد استقبال الأنصار للنبي ﷺ وهي عقدة من الحرة تقع عليها الآن قلعة من العهد التركي .

والثانية ثنية وداع المسافر إلى الشام وهي في الجهة الشمالية للمدينة على عقبة من جبل سلع والتي أدركناها معروفة عند أهل المدينة بثنية الوداع بل عرفت عند أهل المدينة منذ القرون الأولى كما ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد ، وكان عليها مسجد أدركناه بالبناء التركي القديم ثم بني بناء حديثاً وجميلاً في عهد المملكة العربية السعودية ، ولكنه عندما تولى عمر قاضي أمانة المدينة وقام بأعمال جليلة لتطويرها واظهارها بالمظهر اللائق بها عالميًا ، أزيل هذا المسجد في خضم ذلك عام ١٤٠٣هـ لتوسعة ميدان ملتقى طريقي سيد الشهداء وسلطانة ، وبقيت كُدّية صغيرة في مكانه وهي صالحة لأن تسمى ثنية لغة وواقعًا ، وقد أزيلت في الأسبوع الأول من المحرم عام ١٤٠٦هـ.

وقيل : إن النشيد بدأ من الثنية الجنوبية وتكرر في غزواته ﷺ حين قدم منها ودخل المدينة من الشمال مثل غزوة الغابة وغزوة خيبر وغزوة تبوك ، وحبذا من أجل الإبقاء على مكان هذا المعلم معروفًا لو جعلت فيه نافورة ماء أو برج أو حديقة وأطلق عليها اسم (ثنية الوداع) وإذا لم يفعل ذلك فلا ثنية وداع تعرف في المدينة لا جنوباً ولا شمالاً .

سـبب تسـمية ثنيـة الوداع

قيل سبب تسميتها بذلك أن المسافر للحج كان أهله يودعونه عندها ، وكذا المسافر للشام كان أهله يودعونه عند ثنية الوداع الشمالية ، وقيل سميت بذلك لأن النبي ﷺ ودع بها بعضًا ممن خلف على المدينة وعلى العوالي في خروجه لبعض غزواته ، أو ودع بها بعضًا من أصحابه الذين كان يبعثهم في السرايا .

وقيل إن سبب تسميتها أنه كان لا يدخل المدينة أحد من غير أهلها إلا من ثنية الوداع فمن دخلها من غيرها قتله الهزال ، وأنه لا بد عند دخوله منها أن يُعَشِّر من نهيق الحمير فإن لم ينهق نهاق الحمير عشر مرات مات قبل أن يخرج من المدينة فإذا وقف على الثنية ولم ينهق قيل ودع أي أنه سوف يموت فسميت لذلك ثنية الوداع ، وقد ظل النهيق معمولاً به عند من دخل المدينة حتى قدم عروة بن الورد العبسي ورفض أن ينهق وقال :

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير إنني لجزوع

فلما ترك عروة بن الورد التعشير تركه الناس ، قال ناظم عمود النسب في مختلقات العرب :

القول فيما اختلفوا وخرقوا ولم يقد إليه إلا النزق
واختلقوا أن سوى الحمس إذا طاف بثوبه الحطيم نبذا

أو منهم استعـار ما يـطوف به أو طاف عارياً فكان كـالسبيه
واختلقــوا أن يتقلد اللحى من شجر الحرم من عنه انتحى
لأهله وفي اللحى أمــان وقيــل عنـه قــد نهى القــرآن
واختلقـوا التعشـير أن يعشــرا من النهيق بحــذاء خيبــرا
أو طيبــة آتيهــا ليسلما بــذلـك التعشــير من وبـاهــا

الدليـل على أن ثنيـة الوداع الواردة في النشيد هي الجنــوبية

إذا ما سردنا طريق النبي ﷺ عند وصوله إلى المدينة واتجاهه إلى قباء ثم تحوله منها إلى المدينة وجدنا أنه لا مجال للقول بأن ثنية الوداع التي بدأ منها نشيد الاستقبال هي الشمالية وذلك أن النبي ﷺ خرج من قباء ضحى يوم الجمعة فمر بديار بني سالم بن عوف أبناء عم بني عمرو بن عوف أهل قباء وكانت منازلهم على وادي رانوناء فقال زعيم بني سالم بن عوف وهو عتبان بن مالك ومن معه من قومه (انزل فينا يا رسول اللهفإن فينا العدد والعدة والحلقة ونحن أصحاب العصا والحدائق والدرك وكان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة خائفًا فيلجأ إلينا فنقول له قوقل حيث شئت) . فتبسم النبي ﷺ وقال : (**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**) فقالوا له يا رسول الله : تمكث أياماً عند بني

عمنا وتمر بنا ولا تنزل فيكون ذلك فخرًا لهم علينا إلى الأبد ، فنزل رسول الله ﷺ عندهم يومه ذاك وأدركته صلاة الجمعة فصلى أول جمعة صلاها في الإسلام في مكان مسجدهم الذي عرف فيما بعد بمسجد الجمعة ولم يصلِّ الجمعة في مكة لعدم أمنه على نفسه وعدم سلطانه عليها ، وصلاها المسلمون في قباء قبل أن يصليها هو ، لأن المسلمين في المدينة حينئذ لديهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم ، وخطب النبي ﷺ في هذه الصلاة أول خطبة جمعة له في الإسلام ومقدمتها : (**الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره . . إلخ**) وستأتي هذه الخطبة كاملة في موضوع مسجد الجمعة إن شاء الله ، ثم رحل النبي ﷺ في آخر النهار ومر ببني العجلان رهط عبادة بن الصامت رضي الله عنه ورهط عاصم بن عدي الذي حماه النحل من أعدائه ، فقالوا يا رسول الله انزل عندنا ، فقال : (**إنها مأمورة**) يعني ناقته ، ثم تيامن في الطريق فمر ببني الحبلى رهط عبد الله بن أبيّ المنافق وأراد النزول ، وإذا بابن أبيّ رئيس المنافقين جالس محتبياً عند أطمه « مزاحم » فقال (قبحه الله) : اذهب إلى الذين دعوك : فقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : لا تغضب يا رسول الله في نفسك من قوله فإنك جئت وقد اجتمع الخزرج على تتويجه ملكًا ، ولكن هذه داري يا رسول الله فانزل فيها ، ثم مر ببني ساعدة فتلقاه سعد بن عبادة وأبو دجانة رضي الله عنهما في قومهم وقالوا يا رسول الله انزل عندنا ففينا العدد والثروة والحلقة ، فقال : (**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**) ، ثم مر ببني عدي بن النجار

وهم أخوال جده عبد المطلب إذ أمه سلمى بنت عمرو النجارية ، وكانت منازلهم فيما بين المسجد النبوي إلى المناخة فقال أبو سليط وصرمة بن أبي أنيس وقومهم : يا رسول الله نحن أخوالك فلا تتجاوزنا ، فيقول : (**دعوها إنها مأمورة**) وكان كلما مر بحي من الأنصار طلعت النساء على الأجاجير (أي السطوح) وقلن : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ، حتى بركت ناقته في مكان منبره في مسجده الشريف فجاءت جوار من أخواله بني النجار وهن يضربن بالدفوف ويقلن : نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار . فقال ﷺ لهن : (**أتحببنني ؟**) قلن : نعم يا رسول الله ، فقال ﷺ : (**وأنا والله أحبكن**) ثلاثًا ، لقد سردت طريقه ﷺ من قباء إلى موضع مسجده لأبين أنه لاوجه لكون ثنية الوداع هي الثنية الشمالية بل هي الثنية الجنوبية الواقعة بين قباء والمدينة والتي تقع في موضع القلعة التي تعرف الآن بقلعة قباء . وورد عن عائشة رضي الله عنها (رانوناء على ترعة من ترع الجنة) وينتهي سيل رانوناء إلى سيل بطحان في مجتمع الأسيال الصغير قبل مسجد المصلى تحت الجسر المشيد ثمّ وادي رانوناء .

وادي رانونـــــاء

لقد ذكر مؤرخو المدينة والأثريون أن للمدينة سبعة أودية رئيسة وما سواها يعدّ مرافع وفروعاً تصب فيها ، ومن هذه الأودية وادي رانوناء الذي يأتي من وسط الحرة الجنوبية التي يُعرف أولها بحرة بني بياضة ، ويقع مسجد قباء في

وسط هذا الوادي تقريبًا بعد أن يمر وسط نخيل العصبة الواقع غربي قباء ، وعلى عدوتيه تقع منازل بني عمرو بن عوف سكان قباء في العهد النبوي الشريف ، ومنازل بني عمهم بني سالم بن عوف سكان منطقة مسجد الجمعة كما تقدم ، ولوادي رانوناء سد قديم يقع في وسط الحرة إلى الغرب من نخيل العصبة وقد وصله البنيان الآن ولا يزال الناظر في مكانه يرى آثار السد واضحة .

مسجد الجمعة

سبقت الإشارة إلى أن صلاة الجمعة فرضت والنبي ﷺ في مكة ولكنه لم يصلها لعدم الأمن وعدم السلطان ، وأن المسلمين صلوا صلاة الجمعة في مسجد قباء بإمامة مصعب بن عمير وقيل أسعد بن زرارة فلما وصل النبي ﷺ المدينة ومكث أيامه في قباء وانتقل منها إلى المدينة ومر ببني سالم بن عوف ونزل فيهم ثم أدركته الصلاة فصلى الجمعة في هذا المكان لأول مرة كما تقدم ونص أول خطبة خطبها ﷺ في الجمعة : (**الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس**) . انظر تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٢٥٥ ، وأطلق على مسجد الجمعة هذا اسم مسجد عاتكة ردحاً من الزمن . انظر تاريخ المدينة لابن شبة جـ ١ ص ٦٨ .

ويبعد مسجد الجمعة عن قباء ٥٠٠ متر تقريبًا وهو إلى الشمال منه ، وطريقه من قباء ذهابًا إلى المدينة وعلى اليسار حدائق أوشكت أن تكون أرضاً بورًا لإهمالها ثم أول طريق مسفلت على اليمين وعلى بعد ١٠٠ متر تقريبًا يقع هذا المسجد الصغير وله قبة جميلة وسلّم يصعد إلى سطحه وليست له منارة ومكتوب على بابه (مسجد الجمعة) ، وكان هذا المسجد مسجد حي بني سالم بن عوف ، ثم بناه عمر بن عبد العزيز أيام ولايته على المدينة ضمن المساجد الأثرية التي بناها في الأمكنة التي تأكد لديه أن النبي ﷺ صلى فيها في المدينة ومكة وما بينهما ، وكان هذا البناء بالحجارة المطابقة يتميز بشكله الخاص الذي أصبح يعرف بالبناء العمري ، وهو الآن نظيف وأنيق وتقام فيه الصلاة بإمام من طرف وزارة الحج والأوقاف .

وادي بطحـــــان

ومما يوجد من معالم المدينة في جهة قباء وادي بطحان أحد أودية المدينة الرئيسة كما تقدم ويقع جنوبي قباء إلى الشرق ، وبين قباء وبين صدر بطحان توجد العين الزرقاء وهي المنهل الرئيس للمدينة وهي أقرب إلى قباء وسميت بالزرقاء لأن مروان بن الحكم هو الذي شيدها وأجرى ماءها إلى نواحي المدينة وكان مروان أزرق العينين وكان يلقب بالأزيرق تصغير الأزرق فنسبت إليه فقيل عين الأزرق ثم آل الأمر إلى تسميتها بالعين الزرقاء وهي منهل عذب . وأضافت المملكة العربية السعودية ممثلة في البلدية التي تتبعها مصلحة العين الزرقاء قديماً أضافت إلى هذه العين آبارًا كثيرة غزيرة الماء بل قامت المملكة العربية السعودية باستجلاب الماء العذب من ينبع من محطة تحلية ماء البحر هناك وعلى بعد ٢٨٠ كيلو مترًا تقريبًا وبعد ذلك اختفت مشكلة الماء بالنسبة للمدينة المنورة رغم اتساعها وكثرة سكانها وحدائقها وكثرة زوارها في كل زمان طول السنة ، فجزى الله المسؤولين في المملكة العربية السعودية خيرًا على هذا العمل .

ومروان الذي ذكرنا أنه أجرى ماء العين إلى نواحي المدينة فعل ذلك أيام ولايته على المدينة من طرف معاوية رضي الله عنه وبأمره أيضاً .

كما شيدت المملكة العربية السعودية على وادي بطحان سدًّا عظيمًا يتكون من ثلاثة سدود متصلة ببعضها وهو من نوع السدود الحديثة ، وهذا السد أقيم في موضع سد قديم أقامه سكان المدينة عصراً بعد عصر من لدن العمالقة

حتى العصور الإسلامية الأولى ، وطريق السد من قباء نحو الحزام حتى مثلث قربان ثم الطريق اليميني وهو طريق مسفلت يمر بحصن كعب بن الأشرف وينتهي في سد بطحان ، ويسمى بطحان الآن بالسيح في وسط المدينة . وكعب بن الأشرف طائي نسبًا ، يهودي دينًا وخؤولة ، وهو معدود في بني النضير لأنهم أخواله من يهود . وقد نقض هذا اليهودي العهد الذي بينه وبين النبي ﷺ حيث صار يمالىء قريشًا ضد المسلمين ويقول لهم إن دينهم الوثني أفضل من دين محمد ﷺ كما ورد محكيًا في قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً** ﴾[1] والدافع له إلى هذا العداء ونقض العهد هو حسد رسول الله ﷺ والحقد الدفين في نفوس اليهود على جميع البشرية ، وصار عدو الله يتشبب بنساء المسلمين ، ومن بين من تشبب بها فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنها وعن علي بن أبي طالب ، فقال النبي ﷺ : من لكعب بن الأشرف ؟ فانتدب لقتله فتية من بني عبد الأشهل في مقدمتهم محمد بن مسلمة رضي الله عن الجميع ، وكان فيهم أبو نائلة وهو أخ لكعب بن الأشرف من الرضاع فلما وصل إلى باب الحصن ليلاً ناداه يا كعب ، فعرف كعب صوته فأراد الخروج إليه فقالت له زوجته لا تخرج الآن فإني أخشى عليك وقد سمعت الشر في صوت هذا المنادي فقال لها : إنه أخي أبو نائلة لو وجدني نائمًا لما أيقظني ثم خرج إليه

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٣ .

فقال له يا كعب : إن هذا الرجل (يعني النبي ﷺ) منذ أن جاءنا رمتنا العرب بقوس واحدة وفني مالنا وإننا الآن في حاجة ماسة إلى الطعام فنريد أن تسلفنا من الطعام ونرهن لك مايكفي لسدادك ، فقال عدو الله : أنا كعب بن الأشرف لقد قلت لكم إن ذلك سيحل بكم ، ارهنوني نساءكم أو أبناءكم ، فقالوا له : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل فتى في العرب وكيف نرهنك أطفالنا ؟ فماذا يتحدث به الناس عنا ؟ ولكننا نرهنك من السلاح ما فيه كفايتك (قال له ذلك لكي لا ينكر صوت السلاح إذا أقبل به صحبه الذين معه) وكان أصحابه مسلحين بالسيوف والمغاول (أي السيوف القصيرة) فقبل عدو الله بذلك فذهبوا به إلى بطن الوادي وهو غربي الحصن قريب منه جدًّا وإليه بوابة الحصن كما هو مشاهد حتى الآن وجاؤ وا بسلاحهم معهم وجعلوا يتحدثون معه حديث الأنس فقال أبو نائلة : إني لأشم في رأسك يا كعب رائحة طيب ما شممت مثلها قط ، فقال كعب نعم وعندي أعطر النساء . فقال أبو نائلة دعني أشم رائحة الطيب برأسك فمكنه من شمها وجعل كل واحد من أصحابه يشم ويستحسن رائحة طيبه ، وفجأة قال أبو نائلة لأصحابه اضربوه فضربوه فاختلفت أسياف أصحابه من بني عبد الأشهل فشقه محمد بن مسلمة بمغول حتى هلك عدو الله بين بوابة حصنه وبين الوادي .

وكفى عبد القدوس الأنصاري غيره مؤنة البحث عن هذا الحصن فانظر كتابه آثار المدينة فجزاه الله خيراً .

وأطلال هذا الحصن لا تزال شاخصة بحجارتها الضخمة وحجراتها البينة وساحتها الداخلية ، ومدخلها إلى العين التي يشرب منها الحصن من سرداب تحت الأرض والعين بخارجه ملاصقة لجدار الحصن من الجنوب ، ويقارب طول الحصن ٣٣ متراً في مثلها عرضاً وسمك جدرانه يزيد على المتر وارتفاع الباقي منه شاخصًا أربعة أمتار ، وله ثمانية أبراج للرقابة في غاية الضخامة ، ولا توجد في جدرانه ولا في حجارته أية زخارف فهو أشبه بالقلعة العسكرية ، ومن المحتمل أن يكون يهوده حملوا زخارفه معهم في إجلائهم إلى خيبر كما ثبت أنهم فعلوه في منازلهم الأخرى .

أما طريق هذا الحصن اليوم فهي سهلة جدًّا وميسرة حيث يسير الذاهب إليه متجهًا إلى سد بطحان مع أي طريق (العوالي ـ قربان ـ قباء) وقبيل أن يصل إلى سد بطحان بمسافة يتسنى له مشاهدة معالم السد فإذا نظر إلى الغرب بينه وبين النخيل رأى أطلال القصر واضحة ، والرحلات الأثرية من الجامعات في المملكة العربية السعودية متعاقبة من حين لآخر ، وهذا العدو ليس الوحيد الذي غدر من يهود المدينة بعهد رسول الله ﷺ وظاهر أعداءه وحرض على قتاله حتى استحق الهلاك في الدنيا والآخرة بل غدر قبله يهود بني قينقاع وتقع منازل هذا الحي من يهود في الحرة الجنوبية مما يلي بطحان ويدعون أنهم من نسل داود عليه السلام ، وقال ابن سيد الناس إن درع النبي ﷺ المسماة بالسغدية التي غنمها منهم إنها درع داود التي قتل فيها جالوت . فسلط الله عليهم نبيه فحاصرهم حتى استسلموا فشفع فيهم ابن أُبيّ بن

سلول المنافق وأعرض عنه النبي ﷺ فصار يقول يا رسول الله أحلافي فمن لي بسبعمائة دارع وذلك لضعف إيمانه بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فشفعه فيهم رسول الله ﷺ وأطلقهم له شريطة أن يجلوا عن المدينة وقد أجلوا عنها بالفعل ، ويفصل منازلهم عن بني النضير وادي بطحان وأقرب منازلهم إليهم حصن كعب بن الأشرف الذي تكلمنا عنه .

وادي بطحان في الشعر

ولقد تغنى الشعراء بوادي بطحان قديماً وحديثًا وصافَوْه الوُدَّ واشتاقوا إليه وشوقوا ، فمن ذلك قول الشاعر .

أبا سعيد لم أزل بعدكم ... في كرب للشوق تغشاني
كم مجلس ولّى بلذاته ... لم يهنىء إذ غاب ندماني
سقيًا لسلع ولساحاته ... والعيش في أكناف بطحان
أمسيت من شوق إلى أهلها ... أدافع أحزاني بأحزان

وقال ابن مقبل :

عفا بطحان من سليمى فيثرب ... نلقي الرحال من منى فالمحصب

بئر غرس

كانت بئر غرس لسعد بن خيثمة[1] وهو الذي كان النبي ﷺ يبيت في منزله أيامه في قباء قبل أن يتحول إلى المدينة ولهذا فهي معدودة في آبار قباء

(١) ابن شبة جـ ١ ص ١٦٢ ـ والمغانم ص ٤٥٦ .

وتقع هذه البئر شرقي طريق قربان القديم وهي الآن شرقي مبنى الشؤون الصحية ، ويمر إلى الجنوب منها قريبًا الطريق الذي يربط بين طريق قربان والعوالي ويلتقيان في مثلث فيه إشارة مرور على الشفير الغربي لمجرى بطحان المطوي بالإسمنت ، وأصبحت الأرض التي فيها البئر الآن في ظل مبنى معهد دار الهجرة التابع لعبد الباري الشاوي وكانت هذه البئر مغطاة سنين عديدة من طرف إدارة الحسبة بالمدينة ولعل ذلك بسبب ظهور ما يخالف الشرع عندها ؛ أما الآن ١٥/١١/١٤٠٥هـ فغطاؤها قد كشف وقعرها بين إلا أنه لاماء فيها ، وقد رأيتها في عام ١٣٧٨هـ وشربت من مائها الملح نوعًا ما وقيل لي إن في مائها مادة معدنية تداوي المغص وآلام المعدة فوجدت ذلك صحيحًا ـ على الأقل في نفسي ـ وإلى شمالها مسجد غير أثري بل بناه خواجا شهاب الدين الغاواني حين آل إليه ملك هذه البئر وأرضها وذلك عام ٨٨٢هـ. فجعل عليها حائطًا وحديقة وجعل لها درجًا ينزل منه إليها[1] وهي الآن بهذه الصفة .

ما جـــاء في بـــئر غـــــرس

ذكر الزين المراغي في تحقيق النصرة أن النبي ﷺ جاء بئر غرس وهي تُسنى على حمار بسحر ، فدعا النبي ﷺ بدلو من مائها فتوضأ منه ثم سكبه فيها فما نزفت بعد ذلك من غزارة مائها ، وقد أسند هذه الرواية ابن النجار إلى أنس بن مالك رضي الله عنه .

---

(١) انظر آثار المدينة للأنصاري ص ٢٤٦ .

وقال الزين المراغي في تحقيق النصرة إن أبا نعيم[1] روى وكذلك ابن النجار أن النبي ﷺ قال : (**رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة**) فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها ، وقيل أهدي له عسل فصبه فيها ، وذكر ابن سعد في طبقاته أن النبي ﷺ كان يشرب من بئر غرس بقباء وبرّك فيها وقال هي عين من عيون الجنة[2] .

وذكر ابن سعد أيضاً أنه ﷺ قال : (**نعم البئر بئر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه**) ، وأنه كان يستعذب من مائها ، وغُسّل من مائها ، وروى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن قال : جاء أنس بن مالك رضي الله عنه إلى أهل قباء فقال : أين بئركم هذه ؟ يعني بئر غرس فدللناه عليها قال : رأيت النبي ﷺ جاءها وإنها لتسنى على حمار بسحر ، فدعا بدلو من مائها فتوضأ منه ثم سكبه فيها فما نزفت بعدُ . وهو موافق للحديث الذي سبقه وأعدته باعتبار مجيء أنس يبحث عنها[3] .

تنبيـــه : قدمت الكلام على الجهة الجنوبية لأنها أول جهة جاء إليها رسول الله ﷺ عند قدومه مهاجراً ، وأتبعها بالجهة الشرقية متيامنًا كما تيامن النبي ﷺ عند قدومه المدينة إلى جهة قباء .

---

(١) تحقيق النصرة ص ١٧٠ .

(٢) الطبقـــات جـ ١ ص ٥٠٣ .

(٣) وفاء الوفاء جـ ٣ ص ٩٧٨ .

الحـــــرة الشـــــرقية

تعتبر الحرة الشرقية معلمًا بَيِّنًا وقديماً من معالم المدينة المنورة . وورد في التوراة أنها مهاجر نبي آخر الزمان ، ولذلك نزل بها اليهود (قينقاع- والنضير- وقريظة) انتظارًا له ، وتقدم أن المدينة لها ثلاث حرار هي :

١ ـ حرة بني بياضة جنوبي قباء وبها منازل بني قينقاع .

٢ ـ حرة واقم وهي الحرة الشرقية وتبدأ من بطحان حتى أجمة الشيخين .

٣ ـ الحرة الغربية وتبدأ من نهاية حرة بني بياضة في الجنوب حتى ديار بني سلمة في الشمال عند القبلتين .

أما الحرة الشرقية فكانت تسمى بحرة واقم وهو اسم لأطم قديم كان فيها ، وتمتد هذه الحرة من شرقي البقيع بمائتي متر حتى قرب مهد الذهب بمسافة مائة وعشرين ميلاً .

والحرة بالفتح الحجارة السوداء ، وبالكسر الحرارة ، وبالضم الأنثى الحرة من بني الناس ، قال ناظم المثلث :

الحَـــرة الحجـــارة ـ والحِـــرة الحـــرارة ـ والحُـــرة المختارة من محصنـات العـــرب .

وتقع منازل اليهود في وسط الحرة الشرقية لأنها تحصينات طبيعية لكثرة غدرهم وزرعهم الشرور وإذكائهم الحروب فلا يسكنون إلا في قرى محصنة كما قال تعالى : ﴿ **لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر**

بأسهم بينهم شديد ﴾[1] أما مشارف هذه الحرة على المدينة المنورة ففيها مساكن بني ظفر ، وإلى الشمال منازل بني معاوية أهل مسجد الإجابة ، وإلى الشرق منها منازل بني عبد الأشهل وهم قوم أسيد بن حضير وفي حيهم وقف وآلى لا يدخل ظلاً ما دام فيهم أحد لم يسلم فأسلموا جميعًا إلّا الأصيرم الذي لم يسلم إلا يوم أحد وقاتل ودخل الجنة بعد الشهادة وليس له عمل غير القتال في سبيل الله ، وإلى الشمال في الطرف الشمالي من الحرة منازل بني حارثة الذين كانت الحرة من هناك تسمى بهم ، فيقال لها حرة بني حارثة . وقد قسم مؤرخو المدينة هذه الحرة إلى خمسة أقسام هي : منطقتان كان يسكنهما يهود بني النضير ويهود بني قريظة ، وثلاث مناطق إلى شمالها كان يسكنها أحياء من الأنصار هم : بنو ظفر ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو زعور بن جشم ، وهذا يؤيد أن معظم مساكن الأوس كانت في الجهة الشرقية من المدينة ، ولا يزال المتجول في هذه الحرة يشاهد أطلال الآطام وركام القصور وحجارة القرى والدور وقطع الفخار مما لا يدع شكًا للناظرين فيه بأنها كانت عامرة ومسكونة . أما الحرة الشرقية اليوم فهي مدينة مزدهرة بالفلل والقصور والحدائق والطرق والميادين والمراكز الحيوية للأمن والصحة والتعليم والأفران والمطاعم والأسواق ومحطات الوقود وقصور الأفراح وذلك نتيجة للأمن والرخاء الذي تنعم به هذه البلاد في ظل المملكة العربية السعودية وفي ظل الملك المسلم فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأدام توفيقه .

---

(١) سورة الحشر الآية ١٤ .

مسجد الفضيخ

هذا المسجد يعرف باسم مسجد الشمس أيضاً لوقوعه إلى جهة شروق الشمس بالنسبة لمسجد قباء ، وهو على نشز من أول الحرة الشرقية ويُطلّ على شفير الوادي ، وهو صغير الحجم وتعلوه قباب ولا يزال معروفًا باسمه حتى الآن عند القدامى من سكان منطقة العالية ، وهو واقع وسط أموال بني النضير التي أفاءها الله على المسلمين فقسمت على أهْل الفيء ، وعُتق منها الأرقاء من خُمسه ﷺ ، فنبيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام هو أول إنسان أعتق الرقيق وقلص أسباب الرق حتى جعل له سببًا واحدًا هو الكفر بعد الدعوة إلى الإسلام ، وفتح أبوابًا للتخلص منه لو طبق ذلك لما بقي رقيق على وجه الأرض ، علماً بأن معاملة الرقيق في الإسلام تختلف كل الاختلاف عن معاملته في غير الإسلام قديمًا وحديثًا حيث يجعل الإسلام على الرقيق من واجبات الدين والمحرمات عليه مثل ما يجب ويحرم على الحر تمامًا ويجعل له من ثواب الله على العمل مثل الذي للحر تمامًا بل يكون له أجره مرتين إذا برّ بسيده ، كما يأمر بإطعامه وإلباسه وإسكانه مما يعمل به سيده لنفسه .

طريق المسجد اليوم

لقد قمت بزيارة هذا المسجد في هذا اليوم الذي كتبت فيه عن طريقه وذلك يوم ٧/١٠/١٤٠٥هـ الذي يوافق يوم غزوة أحد التي وقعت بعدها غزوة بني النضير التي كان سببها أن النبي ﷺ جاء إلى بني النضير ومعه أبو بكر

وعمر رضي الله عنهما يطلب ما نابهم من ديات لزمت المسلمين لأن صحيفة عهدهم معه ﷺ تنص على ذلك ، فقال بعض يهود : هذا محمد عندنا وليس معه إلا اثنان فلنطلع أحدنا على السطح ويلقي عليه صخرة تقتله فتريحنا منه . فقال ابن مشكم : ويحكم إن ربه يخبره بما فعلتم ، فقالوا : أنَّى له ذلك وقد حضر بين أربعة جدر ؟ فلما طلع غادرُهم (وكل يهود غدر) جاءه جبريل عليه السلام وأخبره بما تريد يهود فأمر العمرين بالبقاء ولم يخبرهم بشيء ثم خرج إلى المدينة واستذمر خيل الله وخرج بجيشه المظفر إلى بني النضير ، فلما استبطأه العمران رضي الله عنهما خرجا يطلبانه وقد ظنا أنه خرج لقضاء الحاجة وخافا عليه من غدر يهود فلقيهما أحد الأنصار فقال : أبو بكر وعمر ماذا تريدان هنا ؟ فقالا : نريد رسول الله ﷺ ، خرج من عندنا فخفنا عليه من يهود . فقال لهما هيهات ، إن ذلك الغبار الذي ترون غبار خيل رسول الله ﷺ غازيًا يهود بني النضير هولاء وقد أمره الله بذلك ، فأسرع العمران والتحقا بالجيش وحاصر النبي ﷺ يهود بني النضير وضرب قبته في مكان مسجد الفضيخ ست ليال ، وفي أثناء هذا الحصار نزلت المرحلة الأخيرة من تحريم الخمر ، لأنه حرم أولاً في الأوقات القريبة من الصلاة ، ثم حرم نهائيًّا في هذه المرحلة الأخيرة بقول الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٠ .

فلما نادى منادي المصطفى ﷺ بتحريم الخمر كان مع الصحابة منه القرب والمزادات فحلوا أوكيتها وأهرقوا مافيها حتى فضخ الوادي أي سال بالخمر فسمي المكان بالفضيخ وسمي المسجد الذي بني فيه بمسجد الفضيخ ، وألقى الله الرعب في قلوب بني النضير وجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم ليخرجوا منها هاربين من ظهور بيوتهم ولكي يفسدوا ما فيها من نجارة خشبية جديدة ، وصار المسلمون يخربون عليهم البيوت ليدخلوا عليهم كما قال تعالى : ﴿ **وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار** ﴾ ، وصاروا يدخلون تحت النخيل يتحصنون به لعلمهم أن النبي ﷺ لا يقطع النخيل ، ولكن الله سبحانه أذن له وللمسلمين بقطع النخيل على رؤوسهم ليخرجوا من تحته وليكون ذلك نكاية لهم فلما صاحوا : يا محمد إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار[1] ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ما **قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين** ﴾[2] وقال في ذلك أحد شعراء المسلمين :

كفرتم بالقرآن وقد أوتيتم بتصديق ما قال البشير
فهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وبعد هزيمة يهود بني النضير رحمهم رسول الله ﷺ فأجلاهم عن المدينة إلى خيبر ولم يقتلهم كما قتل بني قريظة فيما بعد ، ومن رحمته ﷺ بهم : سماحه

---

(١) سورة الحشر الآية ٥ .

(٢) ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥٤ .

لهم بأن يحملوا معهم ما يحمل البعير إلا السلاح ، فسلكوا في طريقهم بطن الحرة الشرقية ووسط صرار ومروا بجبل تيأب وقد ورد ذلك في شعر أحد المنافقين حين رثاهم بقوله :

فإنك عمري هل رأيت ظعائنا سلكن على ركن الشظاة فتيأبا
عليهن عينٌ من ظباء تبالة أوانس يصبين الحليم المجربا
اذا جاء باغي الخير قلن فجاءة له بوجوه كالدنانير مرحبا

أما طريق المسجد اليوم : فإنه يمكن الوصول إليه من الحزام من عند مستشفى المدينة الوطني تتجه إلى الغرب وتمر بصالة الرحاب للأفراح ثم تتياسر بعد نهاية سورها مع شارع وسيع فيه انحناءات وينتهي في المسجد أمامك لا مفر من اتجاهه ، كما يمكن الوصول إليه من شارع العوالي ثم الطريق إلى اليسار بعد مستوصف الزهراء مارًّا بمشربة أم إبراهيم وهي عن يسارك رأي العين ، وبعد أن تتجاوز منازل القرية يبدو لك سور صالة مرحبا للأفراح فتتجه قُبيله إلى اليمين مع نفس الطريق السابق وإذا بالمسجد أمامك وعلى يمينك في مكان الوقوف عمارة حديثة ، وعن يمين هذا الطريق ويساره حدائق غناء ودوالي العنب الوفراء ، وترى ثَم المناظر الجميلة الخلابة ، فهناك سحر الطبيعة ونزهة الناظرين .

أما صفة هذا المسجد : فإنه مبني بالحجارة بناء قديماً وتعلوه قباب خمس منبسطة ، وهو مرمّم ونظيف والعناية به واضحة في فراشه وجداره ومرافقه المتوفرة له ، وهو معروف لدى سكان تلك الحارة وبنفس الاسم الأثري ،

وأصبحت الأحياء الحديثة تحيط بالبساتين المحيطة بهذا المسجد ، والأغلب في سكان هذه الأحياء أنهم ليسوا من أهل المدينة بل من النازحين من البادية أو من مناطق المملكة الأخرى ، ولهذا قد تسأل بعض سكان العمارات القريبة من هذا المسجد فلا يعرفونه ولا يعرفون اسمه ، وإلى الشرق من موقع مسجد الفضيخ مع امتداد الحرة توجد أطلال الآطام وحجارة الحصون والقصور متناثرة ولكنها يتضح أنها حجارة بناء ويتضح ذلك أكثر في حفريات العمارات التي تقام هناك ، كما أن آثار الآبار العتيقة والمعطلة باقية حتى الآن .

مسجـــد بني قـــريظة

بنو قريظة حيّ من أحياء يهود التي نزلت المدينة المنورة قديماً تحرياً لنبي آخر الزمان ليتبعوه ، ولكن لما جاء النبي ﷺ كفروا به كما قال تعالى عنهم : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾[1] .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة جاءه يهود وكتب بينه وبينهم صحيفة فيها العهد الذي بينه وبينهم وفيها عهد عليهم بأن لا يحاربوا المسلمين ولا ينضموا إلى عدوهم ولا يدلوا على عورة المسلمين وعليهم من التكاليف المالية ما على المسلمين من ديات ونحوها ، وليس عليهم القيام بقتال مع المسلمين ،

(١) سورة البقرة الآية ٨٩ .

والمسلمون يدافعون عنهم مقابل ذلك ، ومُلخص ما في الصحيفة أنها أعطتهم حق المواطنة الكاملة مع حرية الدين ولكن اليهود قوم غدر ، وكانت منازل بني قريظة في الحرة الشرقية من بعد منازل بني ظفر ، ويمر وادي مهزور بوسط منازل بني قريظة .

وبما أن يهود بني قينقاع غدروا بعهد النبي ﷺ بعد بدر وصاروا يتعنتون على المسلمين ويقولون لا يغرنكم أنكم لقيتم قريشاً وهم قوم لا خبرة لهم بالحرب فذبحتموهم كالبقر أما نحن فإذا قاتلتمونا فستعلمون أنا نحن الناس ، وفي يوم سوقهم جاءتهم امرأة مسلمة متحجبة فشاغبوها لتكشف حجابها واستغفلوها حتى شبكوا لباسها فلما قامت انكشفت عورتها ، فقالت : يا للمسلمين فجاء شاب من المسلمين فأخبرته بعبث يهود بحجابها الشرعي فضرب الشاب المسلم ذلك اليهودي السفيه كفًّا فمات فثارت يهود على المسلم فقتلته فغزاهم رسول الله ﷺ فخافوا وتحصنوا حتى هزموا فاستشفع فيهم ابن أبيٍّ المنافق ، فشفعه النبي ﷺ فيهم فأطلقهم له وجلاهم عن المدينة .

وعرفنا في موضوع مسجد الفضيخ كيف نقض يهود بني النضير عهد رسول الله ﷺ فغزاهم وأجلاهم أيضاً عن المدينة .

أما يهود بني قريظة فإن أمرهم أخطر وذلك أن حيي بن أخطب اليهودي النضيري بعد جلاء قومه جعل يحرض قريشاً وأحلافها وكنانة وهوازن وأعطى غطفان نصف تمر خيبر ليشترك الجميع في حرب مدمرة ضد رسول الله ﷺ ،

ثم سعى إلى كعب بن أسد زعيم بني قريظة وجعل يفتل غاربه ويؤكد له قرب نهاية المسلمين ويعدد له من أقنعهم بحربهم وجعل كعب يقول له بيني وبين محمد عهد ما رأيت منه يوماً واحداً إخلالاً بشيء منه فيقول حيي جئتك بخير الدنيا فيقول كعب بل جئتني بخراب الدنيا فما زال به حتى أقنعه بنقض عهده مع رسول الله ﷺ والانضمام إلى الأحزاب ، وأرسل إليهم النبي ﷺ السَّعْدَيْنِ وابن رواحة ليجلوا حقيقة أمرهم وقال لهم إذا رأيتم شيئاً فالحنوا لنا ، فوجدوهم عُصلاً غُدراً ، وعند رجوع النبي ﷺ من الأحزاب جاءه جبريل وقال له إن الملائكة لم تضع سلاحها ، وهم متوجهون إلى بني قريظة وإني سابقك إليهم ومزلزل بهم الحصون . فأمر النبي ﷺ مناديه أن ينادي : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . فسارع الناس بالخروج وأدركتهم صلاة العصر في الطريق فمنهم من صلى وأوّل نَهْيَ النبي ﷺ على التأكيد على الخروج ، وقد خرجوا ، وبعضهم واصل سيره حتى وصل بني قريظة بعد العشاء وصلى العصر هناك امتثالاً لأمره ﷺ ، ولم يعب النبي ﷺ على أحد الطرفين لأنه يرى الجميع ائتمر بأمره . وكانت هذه إحدى المسائل الاجتهادية التي وقعت في عهده ﷺ ، وحاصرهم المصطفى ﷺ وكانت قبته في مكان مسجد بني قريظة الذي نتحدث في هذا الموضوع عنه . ومدة حصاره ﷺ لهم خمسة عشر يوماً وفيها ضاقت عليهم الأرض وجهلوا كيف النكاية بهم ، ثم طلبوا من النبي ﷺ أن يرسل لهم أبا لبابة ـ وكان حليفاً لهم في الجاهلية ـ لكي يشاوروه فلما جاء إليهم استدروا

عاطفته فأرسلوا في وجهه الصبيان يجأرون والنساء يستعطفن ، ثم قالوا له أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ فقال لهم إن نزلتم على حكم محمد وأشار بيده إلى حلقه (يعني الذبح) فما تحركت قدماه حتى عرف أنه خان الله ورسوله ، فذهب إلى المسجد النبوي من مكانه وأسر نفسه في إحدى سواريه فأنزل الله فيه ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[1] ثم حكم النبي ﷺ فيهم سعد بن معاذ زعيم الأوس لأنهم غاظهم تشفع عبد الله بن أُبَيٍّ في يهود بني قينقاع ، وطلب بعضُ الأوس من النبي ﷺ أن يطلق لهم بني قريظة كما أطلق بني قينقاع للخزرج وبعد أن حكّم فيهم سعداً حاول قومه أن يحكم فيهم بالجلاء فقال : لقد حان لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم حكم فيهم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال . فقال له النبي ﷺ لقد حكمت بحكم الله[2] ، فخندق لدمهم رسول الله ﷺ عدة خنادق شرقي مسجد المصلى (الغمامة) غربي منازل بني زريق بالقرب من مكان دورة مياه باب السلام اليوم ، وذبح معهم حيي بن أخطب ، وقتلت معهم امرأة قتلت رجلاً من المسلمين لئلا يتزوجها أحد بعد زوجها اليهودي كما وعدته بذلك ، والذي ذُبِحَ منهم ٧٠٠ رجل فأنزل الله فيهم ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا** ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ / ١٣٨٨ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

وأنزل فيهم أيضاً ﴿ **وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا وأورثكم أرضهم وديارهم . . . إلخ** ﴾ سورة الأحزاب : الآية ٢٦ ، وبعد حادثة بني قريظة بنى النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها بعد عقد الله لها .

موقــع مســجد بني قريظـة

يقع مكان مسجد بني قريظة في مكان حصن كان للزبير بن باطا اليهودي القرظي وهو في جهة الشرق إلى الشمال قليلاً من مسجد الفضيخ وبالقرب منه حديقة عرفت قديماً باسم (حاجزة) وكانت وقفاً للفقراء ، ولما بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله أدخل فيه بيت امرأة من الخُضر ثبت أن النبي ﷺ صلى فيه ، وكان محل هذا المسجد مصلى الرسول ﷺ وأصحابه في أيام حصاره لبني قريظة[1] .

ومكان هذا المسجد تعاورته الرياح والسوادي والغوادي والنسيان ومر الزمان قروناً مما أدى إلى خرابه ، وحظي بعد ذلك بالتجديد والبناء في القرن الثامن الهجري وبُني عليه حظير طول نصف قامة ، انظر وفاء الوفاء جـ ٣ ص ٨٢٤ ـ وانظر تحقيق النصرة للزين المراغي ص ١٣٨ .

وكما قدمت فإن هذا المسجد اندثر مع معرفة مكانه ويقع في مكانه في أيامنا هذه مبنى مركز الحسبة (هيئة الأمر بالمعروف) في الحرة الشرقية .

---

(١) انظر ابن شبة جـ ١ ص ٧٠ .

مشـــربة أم إبراهيم

إن مشربة أم إبراهيم بستان كانت مارية القبطية تسكنه وضربها المخاض فيه بإبراهيم ابن النبي ﷺ وبه ولدته هذا ما ذكر الزين المراغي ، وقد صلى[1] النبي ﷺ في مشربة أم إبراهيم في بعض زياراته لجاريته وسريته وأم ولده (ماريا القبطية) وبُني في مكان صلاته مسجد في أيام عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة ، ويقع مسجد المشربة شمالي مسجد بني قريظة بالقرب من الحرة الشرقية ويسمى مكانه قديماً بالدشت بين نخل عرف بالأشراف القواسم ويمر سيل وادي مهزور من جنوبي المشربة بالقرب منه جدًّا أي في مكان ورشة ابن وائل الآن ويلتقي بسيل وادي مذينب في سهل شمـالي الماجشـونية (المدشونية) ثم يصبان في بطحان في مجتمع الأسيال الصغير غربي المسجد المسمى حتى اليوم بمسجد عمر بن الخطاب ، وسيأتي أنه ليس من المساجد الأثرية في العهد النبوي ، فمذينب يمر في ديار بني النضير وأما مهزور فإنه يمر في ديار بني قريظة ويخترق الصافية ويمر بالمسجد النبوي ، وفي عهد عثمان رضي الله عنه عتا سيله حتى هدد دور المدينة فأمر عثمان رضي الله عنه بجعل ردم قوي يصد سيله عن المسجد النبوي وعن المدينة وذلك بعد الصافية أي في موضع موقف السيارات اليوم شرقي البنك الفرنسي السعودي فعاد السيل

---

(١) انظر ابن شبة جـ ١ ص ٦٩ .

إلى وادي بطحان ، وفي خلافة المنصور عام ١٥٦هـ سال مهزور سيلاً عنيفاً أخاف الناس على المدينة وعلى المسجد النبوي حتى هرب الناس منه فخرج إليه الناس وحفروا لتحويل مجراه إلى بطحان وكانوا قد سمعوا أن له مصرفاً قديماً فلما حفروا وجدوا ذلك المصرف وفيه حجارة منقوشة فعرفوا أنه مصرفه القديم الذي كانوا يسمعون عنه ، وهذا يعني أن أهل المدينة منذ القدم كانت لهم سدود تحجز الماء وردميات تحول مجاري السيل إذا خيف منها على الأحياء والمنازل وعلى المسجد النبوي الشريف بعد وصول المصطفى ﷺ إلى المدينة .

ودلتهم على مكان صرفه عجوز مسنة من أهل العالية قالت إنها كانت تسمع : إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدموا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة فلما هدموا وجدوا مصرفاً قديماً تحت الوادي إلى بطحان وفي سيل مهزور وممره على مزارع في الحرة الشرقية حكم النبي ﷺ لمن يمرّ به السيل بأن يمسكه حتى يصل الماء إلى الكعبين ثم يرسله ليسقي به غيره كما وقع في حكمه بين الزبير بن العوام وخصمه .

أما طريق مشربة أم إبراهيم في أيامنا هذه فهي طريق العوالي حتى مستوصف الزهراء ثم الطريق اليساري المتجه إلى صالة مرحبا للأفراح وعلى مسافة كيلو متر من مستوصف الزهراء ترى حائطاً على يسارك مغلقاً بداخله مبنى مسجد قديم هو مكان مشربة أم إبراهيم ابن النبي ﷺ التي ولد فيها وكانت هذه المشربة أحد بساتين مخيرق بني النضير التي أوصى بها للنبي ﷺ حين أسلم وذهب واستشهد في معركة أحد .

وقد قمت بزيارة مسجد مشربة أم إبراهيم في العاشر من شوال عام ١٤٠٥هـ فوجدت جنوبيها بينها وبين الطريق الرئيس (شارع العوالي) ورشة لتصليح السيارات وإلى الغرب منها بساتين وإلى الشمال منه منازل شعبية سكانها فيهم سمرة وبإمكان القارىء عن المشربة أن يستدل عليها بالأوصاف المذكورة في الكتب . أما سبب إغلاقها فالظاهر أنه ارتكاب شيعة إيران البدع والمنكرات هناك مما جعل المسؤولين يأمرون بإغلاق هذا المكان بسور عظيم .

فحبذا لو عملت أمانة المدينة على بقاء هذا المعلم الأثري الذي قوى احتمال أن النبي ﷺ صلّى فيه أثناء زياراته لأم ولده مارية القبطية وأثناء زيارته لابنه إبراهيم رضي الله عنه .

مسجد بني ظفر

إن مساكن بني ظفر من الأوس تقع شرقي البقيع حتى مشارف الحرة الشرقية ويشقها الآن شارع الملك عبد العزيز الذي اخترق الحرة الشرقية وقطع شارع الحزام الأخضر الذي امتد من جنوبي هذه الحرة إلى أقصاها شمالاً ، ويقع مكان هذا المسجد جنوبي هذا الشارع ، وجنوبيه وشرقيه سهل منخفض يتحول إلى غدير أيام المطر ، وإذا تأملت في النتوء من حوله لاحظت الحجارة الضخمة التي تؤكد أنها حجارة كانت في بناء وهي متناثرة من هذا المسجد ومن أحد الحصون التي كانت قريبة منه ، وقد ورد في معجم الطبراني

أن النبي ﷺ أتى بني ظفر في مسجدهم هذا ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وأناس من أصحابه رضوان الله عليهم فأمر قارئاً فقرأ عليه حتى أتى على قوله تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾[1] فبكى ﷺ وقال : (**أي رب شهيد على من أنا بين ظهرانيّ فكيف بمن لم أر ؟**)[2] .

ثم صار الناس فيما بعد يتبركون بالحجر الذي جلس عليه ثم أفرط الناس بعد ذلك حتى ارتكبوا البدع مما أدى إلى إزالة المكان سدًّا للذريعة إلا أنه مما ينبغي الإبقاء على اسم هذا المكان الأثري الذي ورد ذكره في السنة ، وفي مجيء مصعب بن عمير إلى أسيد بن حضير وسعد بن معاذ يدعوهما وقومهما للإسلام ، فحبذا لو سمي الحيّ أو الميدان أو الحديقة أو المستوصف بهذا الاسم الأثري : (بني ظفر ـ سعد بن معاذ ـ أسيد بن حضير) ويقع بين مكان مسجد بني ظفر وحيهم وبين البقيع اليوم حديقة والطريق المسمى بشارع الستين الذي تتوسطه الجزر وتحيط به الحدائق الجميلة بالورود والأزهار وكل ذلك صالح للتسمية بالاسم الأثري ، وأصبح هذا المسجد وسط الطريق (شارع الملك عبد العزيز في أول صعوده مع الحرة) .

---

(١) سورة النساء الآية ٤١ .

(٢) ابن شبة جـ ١ ص ٥٢٩ .

مسـجد الإجـابة

إن منازل بني ظفر المتقدمة تقع إلى الشمال الغربي منها منازل بني عمهم بني معاوية التي يقع فيها مسجدهم الذي عرف باسمهم ولكنه اشتهر بمسجد الإجابة وتسميته بمسجد الإجابة سببها مارواه مسلم : (أن النبي ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغَرق فأعطانيها فسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) .

وقد صلى النبي ﷺ فيه عن يمين المحراب قدر ذراعين ، وقد جدّد هذا المسجد مرات عديدة في عهد الوليد والعثمانيين وقد أدركته على بنائهم عام ١٣٨١هـ وكنت أسكن في حيّه المسمىٰ به ، وكان ذلك البناء من الحجارة وقد شوهه القدم بتصدّع جدرانه وسقوط أطراف منها .

أما اليوم فقد بني بناءً حديثاً في غاية الأناقة والجمال وأصبح في وسط حيّ جديد وحديث وهو على عدوة شارع الستين الشرقية وتفوح عليه الرائحة الزكية من الحدائق والجزر الواقعة بين اتجاهَيْ هذا الطريق فقد أخذ هذا المسجد حظه الأوفى في عهد المملكة العربية السعودية كغيره من المساجد في المدينة التي يدخل على داخلها السرور لما يراه من جمال وفراش ونظافة وصيانة وتكييف وإنارة وهكذا تكون عمارة بيوت الله . فالله نسأل أن يديم هذه المملكة موفقة لما فيه صلاح الدنيا والآخرة .

إن الحرة الشرقية أحد معالم المدينة المنورة التي ذكرت في التوراة قديماً والتي ذكرت في الأحاديث النبوية وخصوصاً أحاديث تحريم المدينة ما بين لابتيها ، أي حرتيها : الغربية والشرقية ، وقد اكتظت هاتان الحرتان بالعمران والمنازل الضخمة والميادين الفسيحة والمنتزهات والحدائق العامة والخاصة مما أدى إلى إزالة كثير من نتوءاتها ونشزها وحجارتها التي كانت تعرف بها فحبذا لو عملت أمانة المدينة على إبقاء مناظر من طبيعتها في بعض أطرافها وحدائقها وتسميتها بأسماء من كان من الصحابة ، وحبذا لو جعلت لوحات في تقاطع شوارعها الكبيرة وحدائقها وعلى اللوحات مكتوب التحذير من صيد العصافير وغيرها من الطيور والصيد لأن النبي ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة .

أقول هذا لأني شاهدت الأطفال بل والكبار يقتلون الكثير منها عبثاً وتسلية ، ولا أحد من المارين والمشاهدين ينهاهم أو يوجههم ويعرفهم بحرمة ما يرتكبون .

العـــــريض

تقع منطقة العريض من الحرة الشرقية في أواسط الحرة شرقاً ولا يزال هذا الاسم يطلق حتى الآن عليها ، وهي منطقة مشهورة منذ القدم فيها نزل تبع وبها خرج إليه أهل المدينة في حربهم معه حيث يقاتلونه بالنهار ويرسلون إليه الجوُر بالليل تكرمة فكان يتعجب منهم ، وبها التقى الأوس والخزرج في بعض حروبهم ، وبها نزل جيش يزيد بن معاوية بعد انتقاله من الجرف ، وبها

موقعة الحرة المشهورة التي مات فيها خيار الأمة من حفظة القرآن الكريم من الصحابة والتابعين حين وجه يزيد بن معاوية جيشاً لغزو المدينة وإخضاع أهلها لسلطانه وذلك عام ٦٣ من الهجرة النبوية وأمر على هذا الجيش مسلم بن عقبة المري الذي لقب فيما بعد عند المسلمين بمجرم أو مسرف بن عقبة ، ونزل هذا الجيش بالجرف غربي العرصة الكبرى فقام أهل المدينة بإحياء الخندق النبوي وقاموا بحفر خنادق أخرى على كل حيّ مما أعاق دخول هذا الجيش فعند ذلك أجرى قائد جيش يزيد اتصالات سرية مع بعض رجال بني حارثة وكانوا يسكنون بالحرة الشرقية من جهة العريض والصدار وكان فيهم عدد كبير من المنافقين ففتح بنو حارثة لجيش مجرم هذا الطريق بين بيوتهم ومزارعهم وإذا بالجيش يفاجىء أهل المدينة من الجهة الشرقية التي لا خوف منها عادة لوجود الحرة الوعرة ولاشتباك المباني والمزارع إلا إذا خان أهلها كما وقع بالفعل ، فاستبسل أهل المدينة في القتال وخرجوا إلى العريض في الحرة الشرقية حيث المكان الذي أخبر النبي ﷺ أنه يقتل فيه خيار أمته ، وفتك هذا الجيش فتكاً رهيباً بالقتل والنهب والسلب والاعتداء على الأعراض حتى قدّر بعض المؤرخين عدد القتلى من الصحابة والتابعين بستة آلاف قتيل ، وبلغ انتهاك الأعراض إلى حمل ٨٠٠ ثمانمائة حرة من اغتصاب رجال الجيش وقيل ألف حرّة واعتبر هؤلاء الأبناء من الموالي ورُبوا في النخل وعرفوا بأبناء الحرة ، وقتل بهذه الموقعة عبدالله[1] بن حنظلة غسيل الملائكة فمر عليه مروان بن

(١) الإصابة جـ ٢ ص ٢٩١ .

الحكم الأموي الذي كان والياً ليزيد على المدينة مر عليه وهو ساقط على وجهه شهيداً وقد وضع يديه على عورته فلم يكشف منها شيء . فقال مروان : أما والله لئن سقطت على جبهتك ميتًا لقد طالما سقطت عليها ساجدًا لله ولئن حفظت عورتك بعد موتك لطالما حفظتها من الحرام وأنت حيّ ، إن هذه شهادة بالتقوى من عدوّ (والفضل ماشهدت به الأعداء) ثم أخذ هذا المجرم البيعة على أهل المدينة بأنهم عبيد ليزيد . ومن قال أبايعه على السمع والطاعة بادر إلى قتله إلا ما كان من أمر علي بن عبد الله بن عباس الذي جاء معه أربعة آلاف رجل من أخواله اليمنيين وقالوا يبايع على أنه ابن عم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقبل المجرم منهم ذلك .

ثم سار هذا الجيش متوجهاً إلى مكة وقائده المجرم يئن تحت وطأة المرض بغدّة سدت عليه النفس ثم مات بالبيداء بعد ذي الحليفة فجاءت جارية عبد الله بن حنظلة وكانت نذرت حرق جثته إن وجدت إلى ذلك سبيلاً فلما نبشت قبره وجدته مسلسلاً محترق الوجه فقيل إنها قالت كفاني الله ما كنت أريد وقيل إنها جاءت بجثته كما وجدتها وصلّبته في سوق المدينة ، وهكذا وقعت هذه الوقعة مصدّقة لما أخبر به المصطفى ﷺ (يقتل بحرة زهرة خيار أمتي) وزهرة اسم للحرة التي بين العريض والمدينة والتي يمر بها اليوم شارع المطار في الحرة الشرقية ، وقد جعلت مقبرة في شرقي البقيع شرق قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه لشهداء الحرة .

وكانت موقعة الحرة ورمي الكعبة بالمنجنيق وقتل الحسين بن علي رضي الله عنه من أقبح ما توج به يزيد خلافته على المسلمين . قال في موقعة الحرة

عبد الرحمن بن سعيد بن زيد (سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة) :

فإن تقتلونا يوم حرة واقم ... فإنا على الإسلام أول من قتل
ونحن قتلناكم يوم بدر أذلة ... وأبنا بأسلاب لنا منكم نفل
فإن ينج منكم عائذ البيت سالماً ... فكل الذي قد نابنا منكمُ جلل

والمراد بعائذ البيت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الذي بايعه على الخلافة أهل الحجاز والعراق واليمن وكاد مروان أن يبايعه ولكن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

وقال عبد الله بن قيس الرقيات في موقعة الحرة :

وقالت لو أنا نستطيع لزاركم ... طبيبان منَّا عالمان بدائكما
ولكن قومي أحدثوا بعد عهدنا ... وعهدك أضغاناً كبعض نسائكا
تذكرني قتلى بحرة واقم ... أصبن وأرحاماً قطعن شوابكا
وقد كان قومي قبل ذاك وقومها ... قروماً زوت عودًا من المجد تافكا
فقطع أرحام وفضت جماعة ... وغارت روايا الحلم بعد بكائكا

وادي الشظاة ووادي قناة

إن المدينة المنورة لها أودية أساسية ومشهورة غير الأودية الفرعية التي تعتبر مرافع ومصاب تصب في هذه الأودية الأساسية وهي :

وادي رانوناء ـ ووادي جَفاف ـ ووادي مهزور ـ ووادي مذينب (وقد تقدمت هذه الأودية) ـ ووادي الشظاة ، ووادي قناة ، ووادي العقيق وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله :

وادى الشظـــاة : ينحدر هذا الوادي من مرتفعات قرب الطائف أي بطول يزيد على ٣٥٠ ميلاً ويخترق الكثير من الحرار ويلتوي بين الجبال يميناً ويساراً حتى يصل إلى وادي العاقول الذي عملت فيه النار البركانية التي وقعت بعد زلزال قبيل المهد والذي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى الشام وخاطت النساء الثياب على ضوئها في غزة فلما وصلت إلى حدود حرم المدينة توقفت تلقائياً وهي من أشراط الساعة الصغرى التي أخبر بها النبي ﷺ .

ولكن هذا السد الذي عملته هذه النار في العاقول ظلت السيول تحفر عن يمينه ويساره حتى أحدثت طريقاً من جديد ولكن صار مجرى الوادي شمال مجراه الأول قبل هذه النار الذي أصبح تعلوه عقدة ضخمة من الحرة ذات الحجارة المحترقة ثم يمر سيل وادي الشظاة في السهل الممتد شمال الحرة الشرقية من العريض حتى جنوبي جبل الرماة حيث يلتقي سيله مع وادي قناة الذي يقع بين جبل الرماة وقبور شهداء أحد والذي أصبح مسقوفاً بالأسفلت ولا يظهر مجراهُ إلا بعد ساحة الشهداء من الناحية الغربية حيث يبدو من الجسر المقام عليه ، وعلى وادي الشظاة وقناة جسور حديثة تمر من فوقها طريق المطار ويعبر الشظاة عند محطة الزغيبي ثم يعبر قناة بعد قصر الأمل للأفراح وقبيل جبل تيأب .

وطريق سيد الشهداء يعبر وادي الشظاة على جسر جنوبي جبل الرماة .

وطريق العيون يعبر وادي الشظاة قبيل مجتمع الأسيال الكبير الذي في نهاية الحفياء بغربي جبل أحد حيث كانت بداية شأو سباق الخيل المضمرة في عهد النبي ﷺ كما ورد في الحديث .

وفي جانب الحرة الشرقية المحاذي لوادي الشظاة تقع منازل بني حارثة حتى أجمة الشيخين التي تنتهي اليوم عند المسجد المعروف بالمستراح حيث نزل النبي ﷺ بجيشه يوم الجمعة ذاهباً إلى غزوة أحد كما سيأتي إن شاء الله في الكلام على غزوة أحد ، وقد أصبحت حرة بني حارثة هذه تعرف بحرة السحمان وفيها حي بل مدينة حديثة تزخر بالعمائر والمساجد والمدارس والطرق المرصوفة نتيجة للرخاء والأمن المتوفرين في عهد المملكة العربية السعودية المسلمة ، فحبذا لو سمّت أمانة المدينة هذا الحي بأحد أسمائه الأثرية (حرة بني حارثة ـ أجمة الشيخين) وحبذا لو سمي بعض ميادين هذا الحي أو حدائقه (ميدان استعراض جيش النبي ﷺ) ضمن ما تقوم به الأمانة من جهد عظيم في تسمية الشوارع والأحياء ووضع اللوحات الجميلة ذات الكتابة الأنيقة وهو عمل يشكر عليه أمين المدينة عمر قاضي الذي بعثه الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله وأدام توفيقه لتطوير المدينة المنورة .

وملخص الكلام على الحرة الشرقية أنها جبل منبسط السطح أسود الحجارة ، وتبدأ هذه الحرة من نهاية الحرة الجنوبية من شرقي وادي بطحان حتى حرة بني حارثة قبيل جبل الرماة ، وتمر فيها أودية هي (جفاف ـ مهزور ـ مذينب) وبشماليها سهل فيه واديا الشظاة وقناة .

وكانت فيها منازل بني النضير من جهة قصر الأفراح (صالة الرحاب) ثم منازل بني قريظة التي تصل مزارعها وحدائقها إلى حرة زهرة قبيل العريض .

وكانت بها منازل بني ظفر ومسجدهم الأثري ، ومنازل بني معاوية ومسجدهم (مسجد الإجابة) ومنازل بني عبد الأشهل وكلها أحياء من الأوس تقع في الحدود الغربية لأحلافهم في الجاهلية (يهود بني النضير وقريظة) وبطرفها الشرقي الشمالي منطقة العريض وفيها موقعة الحرة .

وفيها أغار أبو سفيان ـ قبل إسلامه ـ على حديقة لأحد الأنصار وقتل حارسين وحرق نخلاً وهرب مخافة أن يلحقه المسلمون وصار يرمي زاده من السويق ليخفف رحله فسميت الغزوة في مطاردته بغزوة السويق . وبغربي العريض يقع الصرار وفيه تجمع المرتدون ليهجموا على المدينة فخرج إليهم الصديق والمسلمون وهزموهم ، وفيها وصل عمر في دورياته إلى خيمة وجد فيها الأطفال الذين تخادعهم أمهم بتحريك الحجارة في المرجل على النار فحمل إليهم الدقيق على كتفيه وعجن وخبز وأطعمهم نياماً فيسندهم على فخذه كما تفعل الأم الحنون ثم رتب للخيمة ما يكفي وكان ذهابه وإيابه ليلاً ومشياً على الأقدام فرضي الله عن عمر وأرضاه ، وفي الحرة الشرقية هذه يوجد مسجد الفضيخ ومشربة أم إبراهيم وقد بينت موقع كل واحد في موضوعه الخاص به .

وبهذا أنهيت الكلام على الحرة الشرقية بل وعلى الجهة الشرقية للمدينة المنورة ولكني لم أخرج فيها عن حدود حرم المدينة ولم أخرج أيضاً إلى ماليس معروفاً أو ممكناً التعرف عليه .

الجهـــة الشـــمالية للمدينة المنورة

إن هذه الجهة تعتبر أهم جهات المدينة المنورة فهي المدخل العسكري الوحيد وفيها طريق الخروج إلى الشام والعراق ، وهي سهول تشقها سيول المدينة كلها وهي أكثر مناطق المدينة زراعة وفيها يثرب والعرصة والحفياء وأحد وجبل الرماة وجبل ثور ومجتمع الأسيال .

المناصـــــع

تقدمت الإشارة في الصفحات السابقة إلى أن موقع المناصع شرقي الحرم النبوي ويشمل مدرسة العلوم الشرعية حتى الرومية وفندق التيسير وما يتخلل ذلك من أسواق وكان موضع المناصع خلاء يُذهب إليه للتبرز كما ورد عن عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك حين خرجت إلى المناصع مع أم مسطح إلى آخر ما ورد ، ويسمى مكان المناصع اليوم بالرومية ولعل سبب ذلك أن عمر بن عبد العزيز أسكن هناك عمال الروم الذي كانوا يعملون في بناء المسجد في عمارة الوليد بن عبد الملك التي أشرف عليها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فحبذا لو سمي هذا الحي باسمه القديم ؛ والمناصع تقع شرقي الحرم إلى الشمال قليلاً وقد تقررت إزالة الحي الواقع في حي المناصع لتوسعة الحرم النبوي في العام القادم ١٤٠٦هـ .

بئـــــر حـــــاء

تقع هذه البئر شمالي المسجد النبوي الشريف في المنطقة المعروفة الآن بباب المجيدي على بعد ٨٤ متراً من المسجد النبوي كما تقع شرقي فندق قصر المدينة ، وعلى هذه البئر منذ أن رأيتها عام ١٣٧٨هـ بناء مسقوف وفيه نافذة من الجنوب يمكن النظر منها إلى البئر داخل البناء ، وفي هذا العام ١٤٠٥هـ. وجدت تلك النافذة أغلقت بصندوق من الورق ، ولا يزال بالقرب من البئر إلى الشرق منها نخلة أو نخلتان من بقايا البستان الذي كانت تقع فيه ، ورأيت مكتوباً على جدران البيوت من حولها الأمر بمراجعة أمانة المدينة مع اصطحاب صكوك التملك لأنه تقررت إزالة هذا الحي لمشروع توسعة الحرم ، وأما ماكان شرقيها من الحي فقد أزيل وأصبح موقفًا للسيارات فحبذا لو سمي باسم بئر حاء . وفي هذا البستان الذي تقع فيه هذه البئر كانت توجد دار أم سليم بنت ملحان وزوجها أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما ، وذكر السيوطي في الخصائص الكبرى أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نِطعًا فيقيل عندها على ذلك النطع قال : فإذا قام ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجعلته في قارورة ثم جمعته في سُكّ ، وقال : فلما حضرت أنسَ بن مالك الوفاةُ أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك السك[1] ، وفيه أيضاً :

---

(١) وفاء الوفاء جـ٣ ص ٨٨١ ، وعزاه السيوطي في الخصائص لمسلم وأبي نعيم والبيهقي والبزار وأبي يعلى والدارمي ، انظر جـ١ ص ٦٦ .

عن أنس في تكثير الطعام : (قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاتتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبت به فوجدته في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة فقلت نعم . فقال لمن معه : قوموا وانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبي طلحة فأخبرته قال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل وأبو طلحة معه فقال ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به ﷺ ففتّ وعصرت أم سليم عكة فأدَمَتْه ثم قال فيه ﷺ ماشاء أن يقول ثم قال ائذن لعشرة حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً[1] .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾[2] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول اللَّهِ اللَّه عز وجل يقول : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحا وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله ﷺ : بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن

---

(١) وفاء الوفاء جـ٣ ص ٢٨٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٢ .

تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعلُ يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[1] .

فلما عاد إلى البستان ووقف ببابه رأى عصفوراً محصوراً في داخله لاطريق له إلا من بوابة الحديقة فجعل أبو طلحة ينظر إليه ويبتسم فرأته زوجته أم سليم فقالت : يا أبا طلحة إن كنت أحدثت في الحديقة شيئاً فأخبرنا ، فأخبرها بنزول الآية ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ وأنه تصدق بهذه الحديقة في سبيل الله ، فقالت له : هنيئًا لك ، ثم عمدت إلى أطفال كانوا معها ، يلعبون في البستان ويأكلون مما وجدوا ، وكانت بأيديهم تميرات التقطوها من ساقط الشجر واستخرجتها من أيديهم ثم وضعتها في قعر إحدى شجرات البستان ، فكان أبو طلحة رضي الله عنه أول من عمل بهذه الآية . ورجا بتصدقه بها برها وذخرها ، وقمت بزيارة موضع هذه البئر وشاهدت البناء المسقوف عليها إلا أن النافذة التي كانت ترى منها وجدتها مسدودة بصندوق من الورق ، وقد أزيل الحي من شرقي البئر وأصبح موقفاً للسيارات ورأيت مكتوباً على ما تبقى من الحي جنوبها وغربها الأمر بمراجعة أمانة المدينة بأوراق ملكيتها ، وهذا يعني أن بقية الحي على وشك الإزالة وكانت هذه الزيارة في يوم ١٥/١١/١٤٠٥هـ فليت الميدان أو الموقف سمي باسمها ليبقى معروفاً لمن قرأوا عنها وسمعوا بما وقع فيها من مناسبات نبوية .

---

(١) الفتح جـ٨ ص ٢٣٢ .

لقد سردت قصتين في هذا الموضوع بقصد تنبيه القارئين على مدى زهد رسول الله ﷺ وأصحابه في الحياة الدنيا وأنهم يؤثرون عليها الآخرة وفي ذلك خير اقتداء للمقتدين وفي بستان بئر حاء دعا رسول الله ﷺ لأنس رضي الله عنه بكثر المال والولد وطول العمر ، وقد وقع .

انظر البخاري جـ ٨ ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، وصحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٢٨ في فضائل الصحابة .

بئـــــر بضـــــاعة

تقع هذه البئر إلى الغرب الشمالي من بئر حاء وتبعد عنها بنحو ثلاثمائة متر تقريباً ، ولا يزال الحيّ الذي تقع فيه يسمى باسمها حتى الآن .

وكانت هذه البئر لبني ساعدة وفي ديارهم ، وبنو ساعدة رهط سعد بن عبادة وأبي دجانة الخزرجيين ، وبهذه المناسبة ننبه على أن بيوت الخزرج تقع غالبًا في الجهة الغربية بالنسبة للوادي الذي فيه المسجد النبوي الشريف ، أما منازل الأوس فإنها تقع غالبًا شرقيه ، وربما تداخلت الأحياء للطرفين أحياناً لأسباب معينة ، كما أن أحلاف الأوس من يهود كانت منازلهم إلى الشرق من الأوس مثل يهود بني قريظة ، ومنازل أحلاف الخزرج تقع إلى الجنوب من منازلهم كما في منازل بني قينقاع أحلاف بني الحبلى من الخزرج وهم رهط عبد الله بن أُبيٍّ المنافق وقد ورد ذكر بئر بضاعة في الأحاديث الصحيحة منها ما رواه أبو سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقال له : إنه يستقى لك

من بئر بضاعة وهي بئر تلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذر الناس ، فقال رسول الله ﷺ (**الماء طهور لاينجسه شيء**) كما في رواية أبي داود ، كما روى أنه ﷺ بصق فيها ودعا لها .

ومعنى : تلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذر الناس أن المطر إذا نزل وتدفق السيل على هذه البئر ألقى فيها كل ذلك فإذا امتلأت تدفقت تلك الأوساخ فحملها السيل في رحلته إلى مجتمع الأسيال ، وهذا يعني أنها لم تستقر وتمكث في البئر بل وقعت فيها فلما امتلأت قذفتها للسيول فأبعدتها فلهذا ظل ماؤها طهوراً ، وهذه البئر ماؤها عذب ونقي وكانت تقع بين حديقتين إحداهما عن شمالها والأخرى في جهة القبلة منها وبسبب ذلك ظن البعض أن بضاعة اسم لبستان لا لبئر ، وقد اشترى الشجاعي بئر بضاعة والبستانين معاً ووحدهما واتخذ ثَمّ مسجدًا وبركة وبنى منزلاً .

ويمر بشمال بئر بضاعة زقاق يعرف باسم صيادة ورأيت من يُرجِّح أن سبب هذه التسمية لهذا الزقاق أنه يقع في مكان الحديقة التي ذهب النبي ﷺ ومعه عمر رضي الله عنه ليرى ابن صياد[1] هل هو الدجال الذي سيأتي في آخر الزمان فلما اقترب منه خبأ له في نفسه سورة الدخان وكان ابن صياد يدعي بكهانته أنه يعرف ماخبىء له وكان إذا علم بقرب النبي ﷺ هرب منه ولكنه في هذه المرة فاجأه فقالت له أمه : هذا محمد ويحك فانجُ بنفسك فلم يستطع

---

(١) ورد ذكر ابن صياد في البخاري ، انظر الفتح جـ٧ ص ١٧١ .

فلما وصل إليه قال له يا ابن صياد قد خبأت لك خبئًا فقال ابن صياد هو الدُّخُّ ولم يستطع أن يقول الدخان فقال له النبي ﷺ : (**اخسأ فلن تعدو قدرك**) فقال عمر : يارسول الله دعني أضرب عنقه فقال ﷺ (**إن يكنه فلن تُسلّط عليه وإلا يكنه فلا حاجة لك في قتله**) .

وقد أزيلت الحديقتان وحل محلهما العمران كما أزيل الحي الذي كان بغربي البئر وتحول إلى موقف للسيارات ، وبقي بداخل السور الذي به بئر بضاعة شجيرات لا تزال مشاهدة وهي مابقي مما يدل على أنه كان ثَمّ بساتين .

وآلَ مُلك البئر وحديقتها اليوم إلى الشريف شحات والشريف ناصر بن الشريف علي آل جيارة وجعلاها وقفًا ، وبعد زوال الحديقة قام ناظر هذا الوقف وهو الشريف زيد بن شحات بحكرها ثم خططها فبنيت في أرضها العمارات والمباني ، وظلت البئر في داخل عمارة ، وكان هذا الناظر يسهل الدخول لمن أراد مشاهدة هذه البئر وجعل أمام البئر بركة حديثة وديوانًا .

وطريق هذه البئر : شارع السحيمي ثم التيامن من عند حديقة سقيفة بني ساعدة فموقف السيارات الواقع بين السبيل وبئر بضاعة التي يطل حائطها على هذا الموقف من الشرق .

أطم أبي دجـــانة

امتازت المدينة المنورة قديماً بأطمها وحصونها التي يعجز العدو عن اقتحامها ، وكان أهل المدينة يدخلون أهليهم في هذه الآطام المنيعة التي

يكفي معها للدفاع عدد قليل من المقاتلين ، ومن أشهر هذه الآطام أطم أبي دجانة في ديار بني ساعدة من الخزرج والذي يقع إلى الشمال الغربي من بئر بضاعة ويفصله عنها طريق الصيادة الذي تقدم ذكره ويقع هذا الحصن في داخل الحوش العائد للسيد عبيد مدني وأخيه السيد أمين مدني ، وكانت أطلاله شاخصة ثمّ فحبذا لو سمى آل مدني إحدى عمائرهم الموجودة في المنطقة باسم هذا الحصن أو أنشأوا فندقاً ثَمّ وسموه بهذا الاسم الأثري المهم إذ كان النبي ﷺ يدخل بعض أهله في هذا الحصن عند الحرب كما كان يجعل بعض أهله في حصن الفريعة وهو أطم حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي كان يقع في مكان باب الرحمة اليوم وقد وقع ذكره في شعر حسان في قوله :

أمسى الجلاليب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

وقد آل أطم أبي دجانة إلى الزوال واختفت معالمه التي حظي عبد القدوس الأنصاري بتصويرها في كتابه آثار المدينة ، أما أبو دجانة صاحب هذا الحصن فهو سماك بن أوس بن خرشة الأنصاري الساعدي اشتهر بكنيته شهد بدرًا واستشهد في اليمامة ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف بحقه فأخذه أبو دجانة بحقه (وهو القتال به حتى ينكسر) ولبس عصابته الحمراء المعروفة بعصابة الموت وقاتل به حتى تكسر ، وعندما أخذه مشى متبخترًا فقال رسول الله ﷺ : إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الوقت[1] . وعند أخذه لسيف رسول الله ﷺ رأى شخصًا

(١) الإصابة جـ ٤ ص ٥٩ .

يذكي نار القتال في نفوس المشركين فاتجه إليه فلما رفع السيف على رأسه وَلْوَل فعرف أنه أمرأة فقال والله لأكرمن سيف رسول الله ﷺ عن قتل امرأة ، وكانت هذه المرأة هندًا بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب وأم يزيد ومعاوية رضي الله عن الجميع ، فسلمت من القتل حتى حظيت بما أراد الله لها من خير الإسلام يوم فتح مكة .

جبـــل المســتندر

يقع جبل المستندر إلى الشمال الغربي من أطم أبي دجانة على بعد ٣٠٠ متر تقريباً أي شمالي مستشفى الملك الذي بشرقي مسجد السبق الآن ، وإلى غربي المستندر يوجد مكان عرف عند أهل المدينة قديماً بمشهد النفس الزكية وهو محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي قتله بنو العباس في ثورته ضدهم وقيل إنه دفن في منزله في هذا المكان وقيل إن زوجته وأمه حملتاه ليلاً ودفنتاه في البقيع مع قبور الآل ، وورد أن النبي ﷺ صلى في مسجد أَحَد الأحياء في جبل المستندر ، وبنى عليه داود باشا التركي ديوانًا وجعل بستانًا شماله حيث كان منزل الحاج الشامي ، ولما أراد داود باشا أن يهدم هذا الجبيل أخبر بأنه من آثار المدينة فتركه ، ولقد رأيت على هذا الجبيل سبيل داود باشا وكان في مكان هذا الجبيل المهاجرون من بني الدّيل وهم الذين صلى لهم رسول الله ﷺ في مكان جعلوه مسجداً لحيّهم ، ولقد أزيل هذا الجبيل وزالت

معالمه وأقيمت في مكانه دكاكين مدة ثم أزيلت الدكاكين وأصبح المكان ساحة فسيحة فياليتها سميت بهذا الاسم الأثري الذي ورد في عشرات الكتب حتى لا يصبح « لا أثر ولا عين » وبجنوبي جبل المستندر أيْ في مكان مستشفى الملك كانت توجد منازل بني خزيمة من الخزرج كما كانت ثَمّ جرار أم سعد[1] .

مسجد البحـير المعروف بأبي ذر

البحير بتصغير بحر وهو اسم لبستان يقع في طرفه هذا المسجد الذي سمي باسمه بعد أن كان اسمه مسجد السجدة لأن النبي ﷺ صلى في مكانه ركعتين وأطال السجود في إحداهما حتى ظن عبد الرحمن بن عوف وكان معه أنه قبض فلما قام من سجوده أخبر عبد الرحمن بما ظن من أنه قبض ثم أخبره « **إن جبريل بشرني أن من صلى عليّ صلى الله عليه ومن سلم عليّ سلم الله عليه** » ويوجد لهذا الحديث أصل في شعب الإيمان للبيهقي ، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً وقد أصبح هذا المسجد اليوم معروفًا (بمسجد أبي ذرّ) وهي تسمية لا أعرف لها أصلاً ويقع هذا المسجد في مصب شارع أبي ذر في شارع المطار فحبذا لو أعيد إليه اسمه الأثري القديم وأن يعاد إلى المصلى اسمه بعد تسميته بالغمامة وحبذا لو أعيد إلى العنبرية اسمها (السقيا) .

---

(١) وفاء الوفاء جـ١ ص ٢٠٩ .

وكان هذا النخيل المسمى بالبحيري والذي يقع فيه مسجد السجدة ملكًا لأسرة طيبة من أهل المدينة في عصرنا وهم آل بري ولكن هذا النخيل وما حوله أصبح طرقًا حديثة وميادين إلّا شجيرات ملاصقة للمسجد أضفت عليه جمالاً ، وعلى الشرق والغرب من هذا الميدان توجد عمارات ومعارض فليت شيئاً من ذلك سمي بالاسم الأثري « البحير » وهذا المسجد اليوم مبني بناء حديثاً وجميلاً وله مئذنة تناسب حجمه .

وكانت المنطقة المحيطة بالبحير تسمى قديماً بالأسواق فحبذا لو سمي الحي الحديث بذلك الاسم الأثري .

مسجـــد ذبـــاب

يقع هذا المسجد سابقاً على جبيل صغير يسمى بجبيل الراية وهو إلى الشمال من ثنية الوداع الشمالية ويقع بسفحه الغربي مما يلي سلعًا محطة الزغيبي للبنزين ، وعلى هذا الجبيل نصب النبي ﷺ قبته في الأيام الأولى من حفر الخندق وبشماله اعترضت صخرة للصحابة فأرسلوا إليه سلمان الفارسي فنزل ﷺ وأخذ المعول بيده وضرب الصخرة ضربات ثلاث صارت بعدها كثيبًا مهيلاً كما سيأتي في موضوع الخندق إن شاء الله .

وكان النبي ﷺ نصب رايته المنصورة على هذا الجبيل في غزوة خيبر وتبوك فإذا رآها المسلمون خرجوا للجهاد في سبيل الله ، وعلى هذا الجبيل أيضاً وقف

سلمة بن الأكوع وصرخ نذيراً بأخذ عيينة بن حصن للقاح رسول الله ﷺ فسمع الناس صراخه فخرج النبي ﷺ إلى غزوة الغابة وقد سبق سلمة الخيل على قدميه وناوش العدو بالرماية فكلما قتل منهم قتيلاً وضع عليه حجراً فإذا ما طاردوه أعياهم عدوًا ويقول لهم : أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع ، تعلمون والله إنكم لا تلحقونني . حتى جاء النبي ﷺ وكان عيينة بن حصن والفزاريون معه هربوا وتركوا ما بأيديهم فقسمه النبي ﷺ غنيمة في أصحابه وفرض لسلمة بن الأكوع سهمين لسبقه الخيل على رجليه لأنه كان من عدّائي العرب ، وقد قمت بزيارة لهذا المكان في ١٠ شوال من هذا العام ١٤٠٥هـ ولاختناقه بالعمران ظننت أنه اختفى ولكن بعد تأمل وجدت المسجد في حجم الحجرة ، وبناؤه بالحجر من الطراز القديم وله محراب غير واضح البروز وحوله حوش مفتوح الباب يصعد له ببضع درجات .

ثنيـة الوداع الشـمالية

أما ثنية الوداع الشمالية فقد أزيل المسجد الذي كان مقاماً عليها ردحاً من الزمان لتوسعة مثلث شارع سلطانة والعيون وسيد الشهداء سيدنا حمزة وقد بلغني أن أمانة المدينة تنوي إقامة مسجد حوله بدلاً منه ، وقد بقيت كُديّة صغيرة من هذه الثنية وبوجودها ظلت ثنية الوداع الشمالية لها معلم مشاهد ومعروف بخلاف ثنية الوداع الجنوبية فقد جهلت عند العامة مع بقاء عينها وعدم إزالتها ، وقد كسر جبل سلع من غربي ثنية الوداع الشمالية حتى ابتعد

عنها بشكل يخيل للمشاهد الآن أنها لم تكن متصلة به ، وقد أزيلت هذه الكدية في هذه الأيام (شهر المحرم أول عام ١٤٠٦هـ) .

« **كتابة أثرية كانت على الصخر الجداري لجبل سلع** » كانت توجد كتابة منقوشة في صخور جبل سلع من الناحية الشرقية يراها من وقف عند ثنية الوداع الشمالية وكانت هذه الكتابة واضحة ومقروءة نوعاً ما وقد شاهدتها بعيني مرات ومرات ووقفت عندها وتأملتها ، وقد ذكر كثير من كتب تاريخ المدينة قديماً مثل صاحب مرآة الحرمين وحديثًا مثل عبد القدوس الأنصاري بأن هذا الكتابة بخط أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهي أقرب إلى الخط الكوفي ونصها : « أمسى وأصبح عمر وأبو بكر يشكوان إلى الله من كلما يكره » « يقبل الله عمر الله يعامل عمر بالمغفرة » .

وقد أزيلت هذه الكتابة وأزيل الركن الشرقي من سلع وأقيمت عمارات ضخمة في محل ذلك .

أما تسمية جبل الراية بجبل ذباب فقد قدمت في الكلام على سبب اتخاذ الإمام للمقصورة في محراب المسجد النبوي الشريف أن مروان بعث ساعياً إلى اليمن فتظلم منه رجل اسمه دبّ أو ذباب وكان خبيث النفس فقال لأقتلن من بعثك إليّ فجاء وضرب مروان وهو في المحراب فلم يغن شيئًا فأمر مروان بسجنه ثم أمر بقتله سرًّا وصلبه على جبل الراية فأطلق عليه بعد ذلك اسم ذباب .

---

(١) ابن شبة جـ١ ص ٦٢ .

مسجد الشيخين

إن أجمة الشيخين تعني نتوءاً في الحرة الشرقية من جهة بني حارثة بالقرب من نهايتها في السهل ، وبأجمة الشيخين نزل النبي ﷺ في ذهابه إلى غزوة أحد بعد أن صلى الجمعة في مسجده ثم صلى العصر والمغرب والعشاء عند أجمة الشيخين وبات ليلته ثَمَّ ، واستعرض جيشه عندها وردَّ من استصغر من الصحابة سنّاً ومنهم أبو سعيد الخدري .

وعند أجمة الشيخين رد النبي ﷺ كتيبة اليهود التي جاء بها عبد الله بن أبيّ المنافق وهم من أحلافه فقال النبي ﷺ : « **لا نستعين بالمشركين على المشركين** » وعندها أيضاً عاد عبد الله بن أبيّ بمن أطاعه من المنافقين وهم ثلث الجيش متذرعاً بأن النبي ﷺ ترك رأيه عند المشورة في الخروج لأُحد وعمل برأي غيره ولكن الحقيقة يمكن استخلاصها بعد الربط والتحليل بأن رجوع ابن أبيّ كان عندما خاب تدبيره وذلك أن المشركين معهم ابن عمه أبو عامر الفاسق الذي اتفق مع ابن أبيّ على اصطحاب جيش من اليهود بدعوى مساعدة المسلمين وبعد بدء المعركة ينضم ابن أبيّ بمن أطاعه من المنافقين ومن جاء به من يهود إلى أبي عامر الفاسق مع المشركين ، فلما رفض النبي ﷺ الاستعانة باليهود أيقن ابن أبيّ بفشل مخططه وشعر بالخيبة فقرر أن يضرب بالتي يستطيعها وهي الانسحاب بمن معه ليقل جيش المسلمين ولتحصل ربكة وخلخلة في صفوف المسلمين في اللحظة الأخيرة قبل لقاء العدو ولكن الله

سلّم المسلمين من كيده ، أما معنى الشيخين فقيل : أنهما أطمان ليهود سميت بهما هذه الأجمة ، وقيل رجل وامرأة تعاشقا وتسامرا عند هذه الأجمة بعد أن تجاوزت أعمارهما المائة سنة فاستغرب الناس أمرهما فسموا مكانهما بأجمة الشيخين . وتقع أجمة الشيخين قديماً على يمين الذاهب إلى أحد في آخر ثنية تنتهي إليها الحرة الشرقية ، وكان مسجد الشيخين يدعى مسجد البدائع[1] .

ويسمى الآن بمسجد المستراح كما هو معروف الآن عند أهل المدينة وهو على الناصية الغربية لشارع سيد الشهداء فحبذا لو أعيد إليه اسمه الأثري الذي عرف به في سائر الكتب .

جبل عينين

جبيل شمال المدينة على بعد ثلاثة أميال منها وهو قريب من أحد ، وتسميته بعينين قديمة إذ قيل إنه اسم لرجل من العمالقة ، وهو وارد على صيغة المثنى وهذا النوع من الأسماء فيه إعرابان أساسيان هما :

أولاً : أنه يعرب إعراب المثنى رفعًا بالألف نيابة عن الضمة ، وجرًّا ونصباً بالياء نيابة عن الكسرة والفتحة مع فتح ما قبل يائه لأنه كان مفتوحًا مع ألفه قال ابن مالك :

وتخلف الياء في جميعها الألف جرًّا ونصباً بعد فتح قد ألف

---

(١) انظر تحقيق النصرة ص ١٥٤ وطبقات ابن سعد جـ٢ ص ٩٣ .

ثانياً : أنه يعرب إعراب الممنوع من الصرف مع لزوم الياء فيرفع بالضمة الظاهرة وينصب بالفتحة الظاهرة أيضاً ولكنه يجر بالفتحة نيابة عن الكسرة قال ابن بونة :

كـذا الذي سمـوا به منـه رفع واعـربـه مـانعًـا لصـرفـه تـطع

وما قيل فيه يقال أيضاً في البحرين إذ كل واحد منهما مفرد ورد بصورة المثنى ، إلا أن الشيخين الذي هو اسم جبل ورد فيه البناء على الكسر مع لزوم الألف (الشيخان) .

وعلى جبل عينين هذا أوقف النبي ﷺ عبد الله بن جبير في خمسين من الصحابة هم « الرماة » وذلك يوم معركة أحد لكي ينضحوا عنه الخيل فإنها لا تصمد للنبل ، وبالفعل فقد حاولت خيل المشركين الإغارة على المسلمين من الخلف فصدهم الرماة ثلاث مرات فلما نزلوا ولم يبق منهم إلا رهط يسير التفَّ عليهم خالد بن الوليد في خيول المشركين وقتلوهم وهجموا على المسلمين من خلفهم فصار عبد الله بن جبير يقول اللهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء وما فعل هؤلاء . يعني المشركين ويعني المخالفين من الرماة لأمر رسول الله ﷺ ، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا الجبل يعرف بجبل الرماة فهو اسمه الإسلامي وفي ركن هذا الجبل الشرقي الجنوبي أصيب حمزة رضي الله عنه برمية وحشي ، وفي شرقيه سقط شهيداً ودفن ثم حتى سنة ٤٦ في خلافة معاوية حيث نقل هو ومن معه بسبب الماء الذي جرف قبورهم وقد كان في مكان قبره الأول بناء عتيق بالحجارة وفي قبلته محراب متهدم وهو من بناء

الأتراك ، ثم هدم هذا البناء قبل بضع سنين من الآن لتوسعة ساحة الشهداء للزائرين ، أما كون حمزة أصيب غربي جبل عينين ثم سقط شهيداً شرقيه فهذا أمر بعيد لأن وحشيًّا لم يغادر مكمنه الذي رمى منه حمزة رضي الله عنه والذي قصده حمزة ليقتُلَ من رماه حتى كاد وحشي يموت من الفزع إذا وصل إليه وبه رمق ثم سقط شهيداً : فمن غير المعقول أن يكون وحشي شرقي الجبل ويرمي حمزة ويصيبه وهو غربي الجبل ، وأبعد من هذا قول من قال إن خيل المشركين جاءت شمالي أحد ثم شرقيه حتى هجمت على المسلمين من الخلف فإن دوران الخيل من بئر رومة إلى شمال أحد وتمر بوعيرة وتيب ثم تسلك قناة مارة بعقبات وعرة من عدة جبال ثم تغير مبكرة على المسلمين من الخلف ويردها الرماة ثلاث مرات وكل ذلك قبل الظهر بكثير . إن هذا القول لا يقوله إلا من لا يعرف المنطقة ، بل الصحيح أن خيل المشركين كانت تكمن فيما بين جبل الرماة والعرصة حيث كانت غابة من الأثل هناك ، ولكن المسجد الذي كان بغربي جبل الرماة فالصحيح أنه في مكان صلاته ﷺ للظهر وكان هذا المسجد بين الشظاة وقناة وكان حوله حيّ وسوق ثم أزيل الجميع قبل أعوام لتوسعة ميدان زيارة الشهداء .

وإلى الشمال من مكان الشهداء كان يوجد معلم على مكان الحفرة أي الزبية والزبية المصيدة التي حفرها المشركون في طريق دابة النبي ﷺ وغطوا الحفرة بالقش حتى سقطت فيها دابة النبي ﷺ وأصيب بجراح في مكانها حيث أصابه عتبة فجرح شفته السفلى وكسر رباعيته ، وحيث شجه ابن قمئة

أقماه الله في النار ، وشجه أيضاً ابن شهاب ، فسارع علي وطلحة رضي الله عنهما في رفعه ﷺ من الحفرة ، وتبعد هذه الزبية شمالاً من الشهداء بنحو ٢٠٠ متر ، وهذا يعني أن الزبية ليس مكانها محل المسجد الذي كان شرقي الشهداء وهدم وبني بدلُه شرقيه في غاية الجمال ووفرت له المرافق اللازمة للمسجد .

وإلى الشمال وبعد أن تصعد مع الشعب يقع مسجد على يمينك وهو صغير وكان مبنيًّا بالحجارة بناء تركيًّا ، وقد بني الآن في عهد المملكة العربية السعودية بناء حديثاً وجميلاً وبقربه شمالاً المهراس : وهو نقر في الجبل كان يرشح ماء وبعد صعود المصطفى ﷺ أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسقيه من ماء المهراس فعافه لأن به رائحة متغيرة ، وفي هذا المكان غسل عن النبي ﷺ دم الجراح التي بوجهه فنزفت فجاءت فاطمة رضي الله عنها وأحرقت قطعة من حصير وأخذت رمادها وكمّدت به الجراح فتوقف الدم ، والصحيح أن هذا المسجد الواقع بقرب المهراس واقع في المكان الذي صلى فيه الرسول ﷺ الظهر والعصر بعد انتهاء المعركة وصلى جالساً وصلى الناس معه جلوساً لما أجهدهم من الجراح ، وبما أن المكان ضيق ازدحم الناس حتى لم يجد البعض مكانًا يقف فيه للصلاة فنزلت بسبب ذلك الآية ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم** ﴾ على الرأي الراجح وقيل نزلت في ازدحام المصلين في المسجد النبوي أو غيره وقد استفاض عند أهل المدينة منذ القدم تسميه هذا المسجد بمسجد الفسح لنزول الآية فيه والغالبية من كتب السيرة تسميه كذلك بمسجد الفسح .

ولنعد إلى جبل الرماة مرة أخرى فنقول إنه كان محاطًا بالمباني القديمة لبعض أهل المدينة وفيها دكاكين وقد أزيل الجميع وبقي الجبل عاريًا وهو شيء طيب أعطى الزائرين للشهداء اتساعاً في الوقوف بسياراتهم دون زحام إلا أن تسقيف وادي قناة بالأسفلت وإحاطة الرّدْميات به جعلته قصيراً وقد يختفي على المدى البعيد إذا وقعت ردمياتٌ أخرى أعظم من هذه فحبذا لو حوفظ على هذا المعلم الأثري بطبيعته وشكله .

جـــبل أُحـــــد

جبل أُحد جبل كبير يقع شمالي المدينة المنورة وكان يبعد عنها ثلاثة أميال ونصف ، ولكن عمران المدينة اليوم أصبح متصلاً به ومحيطاً من كل جوانبه ، وبسفوحه توجد أحياء حديثة بمراكزها الأمنية والصحية والتعليمية ومساجدها ذات المآذن العالية الجميلة .

أما سبب تسميته بجبل أحد ففيه أقوال أهمها : أنه سمي بذلك لتوحده عن الجبال لأنه محاط بالسهول والأودية .

ثانياً : أنه سمي باسم رجل من العمالقة اسمه أحد وهو أول من سكنه ، أو اسمه يرمز إلى وحدانية الله تعالى وهذا السبب الثالث من أسباب تسميته ، وحركاته رفعٌ يتفاءل بها .

وجبل أُحد لونه أحمر له قمم عدة يخيّل إلى الناظر إليه أنه عدة جبال بسبب تعدد هذه القمم ، وهو داخل في حرم المدينة بالاتفاق لأن حد الحرم من الشمال جبل ثور وهو خلف جبل أحد شمالاً .

ما ورد في فضل جبل أُحد :

ورد في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**أُحد جبل يحبنا ونحبه**) وهذا يعني أن الله خلق في هذا الجبل الجماد عاطفة المحبة لرسول الله ﷺ كما يخلق الكلام في الجوارح يوم القيامة فتنطق بما عملت بعد إنكار الكفار بأفواههم كما في قوله تعالى : ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ وكما في قوله تعالى : ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات المشابهة ، وكما خلق الكلام في الجبال مسبحة مع نبي الله داود عليه السلام قال تعالى : ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾ وكون معنى يحبنا أي يحبنا أهله مجاز لا داعي له مع استقامة المعنى الحقيقي .

وورد في البخاري أن النبي ﷺ قال هذا الحديث في رجوعه من غزوة خيبر ، وقيل في رجوعه من الحج حين بدا له أُحد وكأنه يقول له لقد وصلت المدينة فدخل الفرح على النبي ﷺ لما رأى المدينة[2] .

---

(١) سورة يس : : ٦٥ .

(٢) للاستزادة انظر تحقيق النصرة ص ١٣١ ، والوفاء جـ٣ ص ٩٣٥ ، وابن شبة .

وورد في معجم الطبراني الكبير أن النبي ﷺ قال في جبل أُحد : (**هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة ، وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار**) وفيه زيادة على ماورد في الصحيحين ، وهل معنى كون أُحد على باب من أبواب الجنة أنه يوم القيامة يوضع عند باب من أبواب الجنة أو أنه خلق على باب من أبواب الجنة ويظهر ذلك يوم القيامة أو غير ذلك فالله أعلم أي ذلك المراد .

وورد في الأوسط للطبراني عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**أُحد جبل يحبنا ونحبه فإذا جئتموه فكلوا من ثمره ولو من عضاهه**) فصدر الحديث موافق لما في الصحاح ولكن آخره روي بسند فيه من تُكلّم فيه .

وورد في ابن شبة « **أُحد على باب من أبواب الجنة فإذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه** » وفي هذه الرواية تأييد لرواية الطبراني لعلها تخفف من ضعفها وقال ابن شبة أيضاً إن زوجة أنس بن مالك وهي زينب بنت نبيط كانت ترسل ولائدها إلى أُحد فيأتونها بشيء من نباته ولو من **عضاهه** ، وكانت تعطي ولائدها منه قليلاً قليلاً .

وورد في ابن شبة أن موسى وهارون عليهما السلام مرَّا بجبل أُحد حاجَّين وصعدا عليه ليريا مهاجر نبي آخر الزمان ولم ينزلا إلى المدينة خوفًا من اليهود ، وكان هارون مريضاً فتوفي ودفن في **جبل** أُحد في شعب كان يعرف بشعب هارون ، وكذا ورد أيضاً في وفا الوفاء فانظره ص **٩٣٠** .

مساحة جبل أُحد : إن طول جبل أُحد من الشرق إلى نهايته الغربية يقارب ستة كيلو مترات ، وله هضبات متتابعة ، ولحمرة لونه الجميل يشعر الناظر إليه بالسُّرور ويُعتقد أنه مليء بالمعادن النفيسة إذ قد وجدت فيه حجارة الأثمد مرات عديدة فيما مضى من الدهور ، كما وجد فيه مرة حجر لما كسر وجدت بداخله زبرجدة كبيرة بيعت بغلاء ، ولدخوله في حدود حرم المدينة نرى أنه في زمن المملكة العربية السعودية لم يقع تكسير في هذا الجبل في عهدها مع إحاطته بالأحياء والطرق الحديثة وهو موقف مشكور أبقى على أُحد طبيعته وشكله ، وورد أنه لما وقف عليه النبي ﷺ ومعه الصديق وعمر وعثمان اهتز أُحد فقال له : (**اثبت أُحد إنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) .

الشعـــراء وجبـــل أُحـــد :

لقد تغنى الشعراء بجبل أُحد وخلدوا اسمه في شعرهم وشوقوا إليه واشتاقوا :

قـــال نفيلـــة :

فكم مـن حـــرة بـــين المصـــلى إلى أُحـــد إلى مـــا حـــاز ريم
إلى الجـــماء مـن خـــد أسيـــل نقي الـلون ليس بـــه كـلوم[1]

(١) ابن شبة ٢٨٤ .

وقـــال الفقعسي :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بسلع ولم تـغـلق عـليّ دروب
وهـــل أُحـد بـــاد لنـا وكـــأنـه حصـان أمام المقـربات جنـوب
يخب السراب الضحل بيني وبينه فـيبـــدو لـعـيـني تـــارة ويغـيب
فـإن شفائي نـظرة إن نـظرتهـا إلى أُحـــد والحـــرتـــان قـــريب

انظر تكملة القصيدة في المغانم ص ١١ .

وقـــال شـــاعر آخـــر :

بكى أُحد إذ فارق النـوم أهلُه فكيف بذي وجْد من القوم آلف
من أجل أبي بكر جلت عن بلادها أمـيـــة والأيـــام ذات تصـــارف

وقـــال آخـــر :

بـكى أُحـــد لمـــا تحـمـــل أهله فسلع فبيت العز فيه تصـدعوا
ونرحل نحو الشام ليس بأرضنا ولا بـد منهـا والأنـوف تجـدع
عـلى أثر البيض الـذين تحملوا لمعليهمُ منـــا جميعـــاً فـــودعـــوا

انظر ابن شَبَّة جـ ١ ص ٢٩٧ لتجد التكملة .

وقال ابن عاصية يتشوق إلى المدينة وكان مغتربًا في اليمن مع ابن زائدة الجواد :

هل ناظر من خلف عمران مبصر ذرا أُحـد رمت المدى المتـراخيا
فلو أن داء اليـأس بي وأعانني طبيب بـأرواح العقيق شفـانيـا

ملخص ما في أُحد من الأماكن الأثريـــة :

يوجــد بأُحــد :

١ ـ الشهداء وهم سبعون شهيداً على الصحيح .

٢ ـ جبل الرماة وكان يسمى عينين .

٣ ـ شعب أُحــد وبه المهراس ومسجد الفسح .

٤ ـ وادي قناة وعلى عدوته الشمالية الشهداء وأصبح مسقوفاً .

٥ ـ وادي الشظاه وهو جنوبي جبل الرماة على بعد رمية بسهم .

غــزوة أُحـــد

بعد أن هزم الله المشركين يوم بدر ظل الغيظ يتوقد في صدورهم واتفقوا على أن يغزوا الرسول ﷺ والمسلمين للثأر والانتقام لقتلاهم يوم بدر ، ورصدوا لذلك أرباح عير أبي سفيان التي نجت من المسلمين يوم بدر ، وكان العباس بن عبد المطلب بمكة فأرسل إلى النبي ﷺ بخبر ما تنويه قريش ، وأخبر النبي ﷺ زعماء الأنصار وفي مقدمتهم سعد بن الربيع ، وكان مما شجع قريشاً على المضي قدمًا في هذه الغزوة مجيء أبي عامر الذي كان يدعى في الجاهلية بالراهب وأضحى يُعرفُ في الإسلام بالفاسق الذي فرّ من الإسلام عند قدوم النبي ﷺ مهاجراً ، وقال أبو عامر لقريش أنا أضمن لكم أن قومي

الأوس سوف ينضمون إلينا بمجرد أن نناديهم ، وقد خاب ظنه لأن قومه أسلموا جميعًا ولما ناداهم يوم أُحد ردُّوا عليه باللعنة وغضب الله فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ، بل الشر أصابه هو عليه لعنة الله ، وزاد من تشجيع قريش اتصالات اليهود معهم ووعدهم لهم بالنصر والتأييد وبالأخص كعب بن الأشرف الطائي نسبًا واليهودي ديناً وخؤولة .

ثم سارت قريش بثلاثة آلاف رجل ومائتي فرس وخمس عشرة ظعينة فيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، فلما وصل المشركون إلى ذي الحليفة (أبيار علي) أرسلوا دوابهم في مزارع المدينة تأكل وتفسد ، فلما أعلم النبي ﷺ بذلك أرسل أنساً ومؤنساً ابني فضالة وفي اسمهما فأل حسن حتى رأوا جيش قريش وفساد دوابهم في المزارع ، ثم بعث الحباب بن منذر فحزرهم وعرف عددهم وعدتهم ومدى قوتهم ، وبات السعدان : ابن معاذ وابن عبادة يحرسان النبي ﷺ ويحرسان المسجد وكان معهم أسيد بن حضير وكانت تلك الليلة ليلة الجمعة السادس من شوال من السنة الثالثة من الهجرة النبوية ، كما باتت المدينة محروسة من كل الجهات ، وفي هذه الليلة رأى النبي ﷺ أن في ذباب سيفه ثلمة ، وأن بقرًا يذبح ، وأنه أدخل يده في درع حصينة ، فأول ثلمة السيف بعمه حمزة ، والبقر الذي يذبح بمن استشهد من أصحابه ، والدرع الحصين هي المدينة وفي يوم الجمعة أجرى الشورى بين المسلمين من أجل الخروج إلى العدو أو البقاء في المدينة حتى يدخلها العدو على المسلمين ، وكان رأيه ﷺ عدم الخروج إلى العدو حتى يدخل المدينة فتفرقه الحيطان

ويشترك في قتله النساء والأطفال ، وكذلك كان هذا رأي عبد الله بن أبيّ رئيس المنافقين وقال : يا رسول الله والله ما دخلها علينا عدو إلا هزم ، ولكن الشبان من المسلمين الذين لم يشهدوا غزوة بدر وكانوا متعطشين للجهاد وكانوا كثرة رأوا الخروج إلى العدو فلما صلى المصطفى ﷺ الجمعة ولبس لأمته للجهاد جاءه هؤلاء وقالوا يا رسول الله لقد استكرهناك على الخروج فإن أردت أن تجلس ، فقال : ما ينبغي لنبي لبس لأمته فينزعها حتى يقاتل ، ثم طلب من يخرج به إلى أُحد من طريق لا يعرفه العدو فجاءه رجل من الأنصار وسلك به طريقًا جعل الحرة الشرقية عن يمينه حتى نزل بأجمة الشيخين وثَمّ رجع عنه عبد الله بن أبيّ بمن أطاعه وهو ثلث الجيش وقال عدو الله : يطيع أمرهم ويترك رأيي ، ولما عاتبه قومه قال لهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وبسبب رجوعه اختلفت كلمة طائفتين من قومه وهما بنو حارثة وبنو سلمة حيث قالت إحداهما نقاتل ابن أبيّ ومن رجع معه ، وقالت الأخرى نؤجل تصفية حسابه إلى مابعد الحرب فأنزل الله فيهم ﴿ **فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله** ﴾[1] .

ومن غير المستبعد أن يكون فَعَلَ ذلك تآمراً مع أبي عامر الفاسق ومع حلفائه من يهود ورأى أن أفضل ما يفعله هو العمل على إحداث ربكة في الجيش بعد أن يوشك المسلمون على أن يلقوا العدو ، وبات النبي ﷺ ثُمّ

---

(١) سورة النساء الآية ٨٨ .

غلّس بسحر وأصبح بأُحد وجعل الجبل خلف ظهره وعن يمينه ، وجعل الرماة على جبل عينين (الرماة) عن يساره فلم يبق للمشركين إلا أن يأتوه من الأمام ، وكان المشركون نازلين ببئر رومة أي بئر عثمان بالعرصة وما إن حمي الوطيس حتى قُتل حملة لواء المشركين وانكشفوا حتى تجاوزوا متاعهم ، وحينئذ قال الرماة لرئيسهم دعنا ننزل ونأخذ مع المسلمين الغنائم فقال لهم : أنسيتم وصية رسول الله ﷺ بأن لا نتحرك من هنا سواء انتصر المسلمون أم هزموا وأكلت الطيور أشلاءهم وأن ننضح الخيل عن المسلمين ؟! فقال الرماة : كان ذلك تأكيدًا حتى النصر وقد حصل . ونزل الرماة وبقي رئيسهم في ستة من أصحابه فكر عليهم خالد بن الوليد بخيل المشركين وقتلهم وهاجم المسلمين من الخلف ، فعند ذلك تغيرت الريح من الصبا إلى الدبور ، وصرخ إبليس بأن محمداً قد قتل وصرف الله المسلمين عن أعدائهم عقاباً لهم على مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، وانتكس المسلمون حتى وصل بعضهم المدينة فأغلقت النساء والصبيان البيوت أمامهم وقالوا لهم : يا فرار عن رسول الله ليس لكم هنا بيوت ولا نساء ولا أولاد ، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة واحدة ، وزاد من ذهول المسلمين صراخ إبليس بأن محمداً قتل ورأى المسلمون مصعب بن عمير صريعاً فظنوه رسول الله ﷺ لأنه كان يشبه النبي ﷺ ، وكذلك كان يشبهه جعفر بن أبي طالب وقُثم والسائب وأبو سفيان بن الحارث والحسن بن عليّ رضي الله عنهم أجمعين ، وممن ثبت معه ﷺ عليّ وعمر والصديق وأبو دجانة وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن

عبيد الله ، وثبتت نسيبة رضي الله عنها ، وأول من عرفه ﷺ كعبُ بن مالك فنادى في المهاجرين والأنصار وأسمع الله صوته لمن وصل المدينة من الصحابة ، فعادوا إليه ونهض إلى الشعب وحال الليل بين الطائفتين . وفي طريقه إلى الشعب جاء أبيّ بن خلف لعنهُ الله وقال أين محمد لا نجوت إن نجا . فقال ﷺ خلوا عنه فسدد نحو أبيّ سهمه فأصابه في عنقه على عرق خدشه وانعقد فيه الدم فعاد عدو الله يخور كالثور فلقيه المشركون وقالوا لا بأس عليك إن أحدنا يكون به أعظم مما بك فقال لو قسّم مابي من الألم على أهل الدنيا لكفاهم فأنا هالك لأنني في مكة مر عليّ محمد أضمّر فرسي هذا فقلت له : يا محمد أضمّر فرسي هذا لأقتلك عليه فقال لي بل أنا أقتلك عليه فوالله لو بصق عليّ لهلكت لأن محمداً لايكذب[1] .

وبعد أن اطمأنّ النبي ﷺ في الشعب صعد أبو سفيان على القمة المطلة عليه من الغرب وقال أفي القوم محمد فقال ﷺ لا تردوا عليه ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة فلم يتمالك عمر نفسه وقال له إن رسول الله وابن أبي قحافة يسمعان كلامك . فقال ياأبا حفص لأنت أصدق عندي من ابن قمئة ، ثم قال أبو سفيان ستجدون مثلة في قتلاكم فما أمرت بها ولا نهيت ثم قال : اعلُ هبل . فقال لهم الرسول ﷺ قولوا : الله أعلى وأجل ، فقال لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي ﷺ : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ، ثم قال أنزلوا هذا الكافر فلا ينبغي لكافر أن يعلو على مسلم فقام عمر يطارده

---

(١) عيون الأثر ص ٢٣ .

حتى أعياه شدًّا ثم صاح موعدكم بدر في العام القادم فوافق النبي ﷺ على الموعد وتفاءل به ثم قال انظروا فإن ركبوا الخيل فهم يريدون المدينة فسوف نقاتلهم فيها وإن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهم قافلون إلى ديارهم فذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجال معه يرقبونهم حتى تجاوزوا المدينة وفي صبيحة يوم أُحد أمر النبي ﷺ من خرج لأحد أن يخرج لمطاردة المشركين في غزوة حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة جنوبًا ثمانية أميال ، واستشهد من المسلمين سبعون شهيداً ، أما المشركون فقد هلك منهم خمسة وعشرون وقيل ثلاثون رجلاً ، وقيل غير ذلك . ولما قال أبو سفيان موعدكم بدر تفاءل النبي ﷺ بذلك لأن بدرًا كان فيه النصر في العام الماضي ، وبالفعل فقد خرج النبي ﷺ لبدر الموعد وكعّت قريش عنها وعاد المسلمون ولم يلقوا كيداً ، وكان النبي ﷺ لا يعتاف إلا أنه يعجبه الفأل الحسن ، ولهذا تفاءل ببدر ، وأخذ الفقهاء من قوله ﷺ : (**لا ينبغي لكافر أن يعلو على مسلم**) أنه يجب أن تكون بيوت أهل الذمة أسفل من بيوت المسلمين ، وأن الذميّ عندما يُسلم الجزية يضع يده أسفل فيأخذ منه المسلم الجزية ويده هي العليا لأن اليد العليا خير من اليد السفلى .

مراحـــل معركـــة أُحـــــد :

لقد اتخذت معركة أحد ثلاث مراحل :

١ ـ هزيمة ساحقة للمشركين حتى تجاوزوا أمتعتهم وتركوا نساءهم خلفهم مولولات ، وحتى وصل المسلمون إلى أموالهم وبدأوا في أخذ الغنائم

وأراهم الله ظهور أعدائهم هاربين ، وكانت هذه المرحلة تدور من مكان الشهداء وحتى العرصة غرباً .

٢ ـ نكسة تأديباً من الله للمسلمين بسبب مخالفة الرماة لأمر المصطفى ﷺ وكانَ ميدان هذه المرحلة فم الشعب وإلى الشرق والجنوب من جبل الرماة وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم** ﴾ وهذا الصعود في الشعب وإلى الشرق منه لأن لا صعود غربي ولا جنوبي مكان المعركة .

٣ ـ المرحلة الثالثة بعد تراجع المسلمين إلى رسول الله ﷺ فاحتدم القتال في الشعب حتى حال قرب الليل بين الفريقين دون نصر حاسم لأحدهما على الآخر .

نتـــائج هـــذه المعركـــة :

إن لهذه المعركة نتائجها الثابتة والتي أصبحت مقاييس للجهاد في سبيل الله ومن هذه النتائج :

١ ـ إن المقاتل إن كان همه إعلاء كلمة الله حقق الله له ما وعده به من نصر .

٢ ـ إن مخالفة أمر رسول الله ﷺ تعرض المسلم لعقاب عاجل من الله . كما وقع للمسلمين في هذه المعركة بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ بل وأمر قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عن الجميع .

٣ ـ المشركون عادوا إلى بلادهم وهم على يقين بأنهم لم ينتصروا كما يتضح ذلك من سؤ ال أبي سفيان عن حياة محمد ﷺ والصديق وشعوره بالخيبة عندما تيقن من حياتهما .

٤ ـ إنه لا مكاسب للمشركين في هذه المعركة فلم يغنموا ولم يحتلوا ولم يقتلوا القائد ، وإن نالوا ثأرًا لقتلاهم يوم بدر مع قتل من قتل منهم .

٥ ـ بعد هذه المعركة لم تفكر قريش في غزو المسلمين بمفردها ، أما غزوة الخندق فلم تجرؤ عليها قريش إلا بعد انضمام هوازن وغطفان ويهود خيبر ويهود بني قريظة بالمدينة إليها .

٦ ـ الإشاعات لها خطرها البالغ مما يوجب الحذر منها كما ظهر ذلك في الإشاعة التي أطلقها إبليس لعنه الله بأن محمداً ﷺ قتل حتى أصيب المسلمون بالذهول .

٧ ـ مطاردة العدو بعد انتهاء المعركة تزرع الخوف في قلبه كما فعل النبي ﷺ حين طارد المشركين بغزوة حمراء الأسد صبيحة غزوة أحد ، كما أن ذلك يقوي عزيمة الجيش بعد ما أصابه .

الهـــدف من المعركـــة :

عندما قال أبو سفيان بعد نهاية المعركة : « اعل هبل ـ لنا العزى ولا عزى لكم » فإنه كشف عن هدفه من المعركة وهو مناصرة الشيطان وهبل والعزى ،

وعندما قال المسلمون : (الله أعلى وأجل ـ الله مولانا ولا مولى لكم) فقد أعلنوا بذلك أنهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا :

إذاً فهم حزب الله وحزب الله دائمًا الغالبون .

نماذج من تضحيات الصحابة رضي الله عنهم :

إن أصحاب المصطفى ﷺ نماذج من البشر لم يسبقها مثلها ولن يأتي بعدها كيف وهم الذين اختارهم الله لنقل الوحي من رسول الله ﷺ إلى أمته فطهرهم من الخلود إلى الدنيا فقد تركوا الديار والمال والأهل نجاء بعقيدتهم وعبوراً بدينهم إلى جميع أنحاء العالم وقد وصفهم الله بالصدق فيما عاهدوا الله عليه في قوله : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾[1] .

ولنقدم بين يديك أمثلة خالدة من تضحياتهم في هذه الغزوة :

١ ـ كان مصعب بن عمير رضي الله عنه يحمل اللواء يوم أحد وكان يقاتل أمام الرسول ﷺ ويدافع عنه فجاء ابن قمئة وظنه رسول الله ﷺ لشبهه به فقتله وهو يدافع عن رسول الله ﷺ وبين يديه ، وأصاب ابن قمئة وجه رسول الله ﷺ وقال خذها وأنا ابن قمئة ، فقال ﷺ : أقمأك الله ، وبعد ذلك وافى غنمة على الجبل فشد عليه تيسها نطحًا متواصلاً حتى أرداه قتيلاً متقطعًا ساقطًا من فوق الجبل[2] .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .

(٢) عيون الأثر جـ٢ ص ٢٨ .

وبعد نعمة مصعب وترفه ودلاله عند أمه يموت شهيداً في سبيل الله ويكفن في جبة إذا غطي رأسه بها ظهر قدماه وإذا غطي قدماه برز رأسه فغطي بها رأسه وغطي رجلاه بالأذخر .

٢ ـ أنس بن النضر رضي الله عنه لما قيل له إن رسول الله ﷺ قد قتل ، قال فما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا حتى تموتوا فلا خير في الحياة .

٣ ـ سعد بن الربيع رضي الله عنه الذي سأل عنه رسول الله ﷺ فقال رجل يا رسول الله أنا آتيك بخبره فذهب يبحث عنه فوجده قد أثخنته الجراح فقال له إن رسول الله سأل عنك ، فقال له : أقرىء رسول الله ﷺ مني السلام وقل له جزاك الله بخير ما جزى به نبيًّا عن قومه وأخبره أني متُّ وأنا عنه راض ، ثم قال للأنصار : لا عذر لكم إن وصل العدو إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف .

٤ ـ حنظلة بن أبي عامر (الفاسق) الذي أصبح عرسًا بجميلة بنت عبد الله ابن أبيّ « المنافق » صحابي وصحابية فاضلان من أبوين خبيثين فالله يخرج الحي من الميت ، وذهب يغتسل من الجنابة فسمع منادي رسول الله ﷺ للجهاد فاستعجل عن غسل شقه أو جميع بدنه فأجاب المنادي فقالت له زوجته أَشْهِدْ على الدخول حتى لا ينكر أهلك ما قد أكون علقت به فأشْهد ثم ذهب ودخل المعركة وقاتل حتى استشهد ، فقال رسول الله ﷺ ما بال حنظلة تغسله الملائكة ؟ فقالوا : يا رسول الله ما علمنا عليه سوءاً فلما سألوا عنه وجدوا أنه استخفه منادي الجهاد عن

الغسل من الجنابة فقال رسول الله ﷺ : هو ذاك إن الجنة لا يدخلها جنب ، وقد حملت جميلة منه بعبد الله بن حنظلة الصحابي الجليل التقي الذي قُتل يوم الحرة فلما مر عليه مروان بن الحكم الأموي الذي كان والياً على المدينة ليزيد والذي بسببه بعث يزيد بجيشه لغزو المدينة مرّ مروان بعبد الله بن حنظلة ساقطًا على جبهته شهيداً وواضعاً يديه على عورته فلم تنكشف فقال له : لئن سقطت على جبهتك ميتًا فطالما سقطت عليها ساجداً لله في حياتك ولئن حفظت عورتك ميتًا فلطالما حفظتها من الحرام وأنت حيّ .

فلما ذهب الأنصار يبحثون عن حنظلة بعد ما قاله رسول الله ﷺ وجدوه شهيداً ورأسه يتقاطر من الماء من أثر غسل الملائكة له .

وكان حنظلة الغسيل هذا من مفاخر الأوس على الخزرج في العهد النبوي الشريف حيث كانوا يقولون لهم منا الغسيل حنظلة ، ومنا خزيمة الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين ، ومنّا عاصم بن ثابت الذي حماه الدَّبْر بعد موته من أخذ الكفار جثته ، ومنّا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته ، فتفخر الخزرج على الأوس بأن منهم أربعة رجال حفظوا القرآن كله مع النبي ﷺ وهم : زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وأبو زيد قال ناظم عمود النسب في الكلام على نسب الأوس والخزرج :

فاخرت الخزرج أوساً بنفر مع النبي حفظوا كل السور
زيد بن ثابت معاذ بن جبل ثم أُبيّ وأبو زيد البطل

والأوس خزرجاً بذي الشهادة كانت شهادتين في الإفادة
وبحمى الدّبر والقتيل هُز له العرش وبالغسيل

ولما رأى أبو سفيان قائد المشركين يوم أحد شدّادًا قتل حنظلة الغسيل قال : حنظلة بحنظلة . أي أدركت ثأر ابني حنظلة الذي قتل يوم بدر بقتل حنظلة بن أبي عامر .

قال ناظم المغازي :

وقال صخر إذ رآه قتله شداد هم حنظلة بحنظلة

وكان حنظلة يريد قتل أبي سفيان فعاجله شداد بالقتل .

٥ ـ عمرو بن الجموح الشيخ الكبير الأعرج عند ما خرج للقتال قال له الرسول ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** ﴾ فقال : يا رسول الله : أريد أن أطأ الجنة بعرجتي هذه وضرب عليها بيده فحقق الله له أمنيته واستشهد ، وقال النبي ﷺ : لقد رأيت عمرو بن الجموح يصعد قصراً في الجنة بعرجته .

٦ ـ عبد الله بن جحش الملقب بالمجدع ابن عمة النبي ﷺ وأخو أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنهما لما خرج إلى أحد تمنى أن يقتل في سبيل الله ويجدع أنفه وتقطع أذناه فيسأله الله لم فُعل بك هذا فيقول في سبيلك يارب ، وقد حقق الله له أمنيته فاستشهد ومُثّل به في سبيل الله .

٧ ـ عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله رضي الله عنه الذي قال لولده والله لا أوثرك بالجهاد في سبيل الله على نفسي ، فخرج واستشهد في سبيل الله ، ولما بكى عليه ابنه قال له الرسول ﷺ ما زالت الملائكة تظلله فسكت عن البكاء ، وفي الصحيح أن الله أحياه وكلمه كفاحًا من وراء حجاب : يا عبدي تمنّ أعطك قال يا رب فردني إلى الدنيا فأقتل ثانياً فقال له : سبق مني أنهم لا يرجعون إليها . فقال يارب بلغ من ورائي فأنزل الله : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا** ﴾ آل عمران : انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٢٦٨ .

٨ ـ عمر بن ثابت بن وقش الذي تأخر إسلامه حتى يوم معركة أحد فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ودخل المعركة بإخلاص مبتغياً وجه الله فلما سقط شهيداً وقبل خروج روحه جاء نفر من الأنصار وقالوا له يا ابن ثابت هل قاتلت حمية لقومك كما فعل قزمان أم قاتلت مسلمًا تريد وجه الله ؟ فقال : بل قتلت وأنا مسلم أريد وجه الله فلما أخبر به النبي ﷺ قال : ـ **وقوله الحق ووحي من الإله الحق وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي** ـ قال ﷺ : إنه من أهل الجنة . وهكذا دخل الجنة وليس له عمل إلا الجهاد فقط لأنه أسلم ضحى ومات قبل وقت الظهر .

٩ ـ مخيريق بني النضير وهو يهودي يحفظ التوراة وطالما ناقش أعمامه في صدق رسالة محمد ﷺ وأنه النبي المذكور في التوراة ويوم أحد جاء

مخيريق إلى أعمامه وقومه وقال لهم : تعلمون والله أن محمداً هذا هو الرسول المذكور في التوراة والذي يلزمكم اتباعه فقالوا : يا مخيريق على رسلك إن بيننا وبين الرجل عهداً فننتظره حتى تضعفه الحرب فنحسن من شروطنا فقال مخيريق : إذاً الأمر عناد ومكابرة فأشهدكم أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ثم نادى نفراً من الأنصار وكتب وصيته بجميع ماله لرسول الله ﷺ وكان من ماله البستان الذي فيه مشربة أم إبراهيم ابن النبي ﷺ ، ثم ذهب مخيريق إلى المعركة وقاتل حتى قتل شهيداً ولم يصل ولم يصم فدخل الجنة أيضاً .

١٠ ـ حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاع ، وهو سيد الشهداء وهو أول من سمي بأمير المؤمنين ، وهو أول صحابي بعث في سرية وكانت سريته إلى سيف البحر من جهة البحر الأحمر ، وقال الزين المراغي إنها إلى نخلة فانظره ص **١٣٥** وفي احتدام معركة أحد رأى حمزة رضي الله عنه ابن أخيه عليَّ بن أبي طالب حمل على طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء قريش الذي كان يتبختر أمام نسوة من قريش وهن يقلن : نحن بنات طارق ، نمشي على النمارق ، إن تقبلوا نعانق ، أو تدبروا نفارق ، فراق غير وامق .

فضربه عليّ رضي الله عنه فترك رأسه بعيداً من جثته فحمل اللواء بعده أخوه عثمان بن أبي طلحة فشد عليه حمزة رضي الله عنه وضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزه

فبدت رئته ثم عاد عنه وهو يقول : « أنا ابن ساقي الحجيج » ثم استأصلوا أهل اللواء حتى سقط على الأرض فحملته جارية لهم .

قال ناظم المغازي :

واستأصلوا أهل اللـــوا فانهزموا وشمـرت عن سـوقهن الحـــرم

أما كيف قُتل فقد قص ذلك وحشي على النبي ﷺ يوم فتح مكة حين سأله كيف قتلت حمزة فقال : إن سيدي جبير بن مطعم قال لي إن قتلت حمزة الذي قتل عمي طعيمة بن عدي يوم بدر فأنت حر ، فانتظرت حمزة الذي شد على سباع بن عبد العزى القرشي الذي طلب المبارزة وقال له : يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور « أي خافضة النساء » أتحادّ الله ورسوله وضربه فكان كأمس الدابر فكمن له وحشي في قعر شجرة شرقي جبل الرماة وإلى الجنوب قليلاً فلما اقترب حمزة منه وكان لا يراه فسدد إليه حربته وكان حبشيًّا رامياً فأصابت الحربة حمزة في ثُنَّته[1] حتى خرجت من بين فخذيه فاتجه حمزة رضي الله عنه نحو مصدر الرمية حتى ظن وحشي أنه قد هلك إن وصل إليه وبه حياة فلما اقترب منه سقط شهيداً . فلما قص ذلك وحشي على النبي ﷺ قال ويلك حول وجهك عن وجهي واخرج عني ، لاأراك بعدها ، وصار عمر رضي الله عنه كلما مر عليه وحشي

---

(١) ما بين السرة والعانة .

تعجب وقال حمزة وقاتل حمزة في الجنة ؟ فلما مات مدمن خمر استراح عمر وقال نعم علمت بأن الله لم يكن بتارك قاتل حمزة وقد أكرم الله حمزة بالشهادة ودخول الجنة ، وضاعف أجره بما فُعل به من تمثيل فقد بقرت هند بنت عتبة بطنه وأخذت من كبده قطعة ولا كتها ولم تستطع ابتلاعها فلما حزن عليه النبي ﷺ جاءه جبريل عليه السلام وقال له : « إن حمزة بن عبد المطلب في أهل السموات السبع أسد الله ورسوله » وصلى عليه الرسول ﷺ وكبر عليه سبعين مرة وكان كلما جيء بأحد الشهداء ليصلي عليه صلى على حمزة معه ثم دفن مع ابن أخته عبد الله بن جحش الملقب بالمجدع في قبر واحد وظلا في قبرهما حتى سنة ٤٦هـ في خلافة معاوية فجرف السيل القبر فنقلا إلى ساحة الشهداء حيث هما الآن وورد أنه عند نقلهما تحركت يد أحدهما عن جرحه فثار منه الدم كأنما جرح الآن وكأن صاحبه حيٌّ لم يمت . وقيل إن ذلك وقع منهما معاً . ولنجعل حمزة رضي الله عنه ختام مسك لهذه النماذج .

لقد ذكرت هذه النماذج لتكون قدوة لنا ولشبابنا ولكي أساهم في تعريف جيلنا الحاضر على سلفنا الصالح .

ولننتقل الآن إلى غربي جبل أحد حيث تجتمع سيول عالية المدينة كلها وذلك لأن سيل رانوناء وجفاف ومهزور ومذينب كلها تجتمع في بطحان ، وسيول الشظاة والصرار والعريض كلها تجتمع في قناة ، ويجتمع قناة مع

العقيق بعد العرصة الكبرى بغربي جبل أحد وبالشرق الشمالي لقرية الجرف إذاً فمجتمع أسيال المدينة : الأول مجتمع الأسيال في بطحان ، والثاني مجتمع الأسيال في قناة ، الثالث مجتمع الأسيال الكبير وفيه مجتمع العقيق وقناة وبطحان ، ويسمى هذا الأخير بزغابة ، وكانت زغابة أرضاً لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهذا المجتمع للأسيال يسمى إضم ؛ ويستمر الوادي بعده يحمل اسم إضم لأنه المكان الذي انضمت فيه سيول المدينة ، وقد تغنى به الشعراء قديمًا وحديثًا فمن ذلك قول الشاعر :

غشيت ديـاراً بـأعـلى إضم محـاهـا البـلا واختـلاف الـديم

وقال أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام :

ذكرت زينب بالأجزاع من إضم فقلت سقيًا لشخص يسكن الحرما

بنت الأمين جزاهـا الله صالحـة وكـل بعـل سيثني بـالـذي علما

جبـــل ثـــور

لقد جرى جدل واسع وكلام متضارب بين من كتبوا في تاريخ المدينة في جبل ثور فقال بعضهم إنه لا يوجد بالمدينة جبل اسمه ثور وإنما ذلك الجبل في مكة وهو جبل الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ والصديق رضي الله عنه وهو جنوبي مكة ، وقال آخرون إنه يوجد بالمدينة جبيل يسمى جبل ثور وإن أهل المدينة في الجاهلية والإسلام يعرفونه ، والصحيح لديّ بعد استقراء الأدلة أنه

يوجد جبل في المدينة يسمى جبل ثور وهو جبل أحمر صغير قائم كالثور خلف جبل أُحد فإذا ما ذكر ثور مضافًا إلى جبل كان ذلك جبل ثور بالمدينة ، أما الذي بمكة فهو ثور غير مضاف إلى جبل وبهذا يزول الإشكال إن شاء الله تعالى ، وقد ورد في الحديث النبوي أنه ﷺ حرّم ما بين ثور وعير تقدم في الكلام على حدود حرم المدينة ، ويمر بالشمال من جبل ثور هذا طريق المطار المتجه إلى جدة والمار بمدينة الحجاج ، ومروره خلف هذا الجبل مقصود ليتمكن غير المسلمين من السير معه خارج حدود المدينة ولهذا أطلق عليه العامة « شارع الخواجات » أي النصارى فيا ليته سمي بطريق الحل - حتى يعرف المسلمون ممره .

جبيـــل تيـــأب

يقع هذا الجبيل إلى الشرق من جبل أحد ويمر عليه الآن شارع المطار من المدينة وقد أزيل كثير من هذا الجبيل من أجله ، كما يقع عليه الآن خزان ماء تابع لمصلحة مياه المدينة ، وعند هذا الجبيل نزلت غطفان في غزوة الخندق ، فجهته تعتبر علوًا بالنسبة للمدينة قال تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم** ﴾[1] من فوقكم أي اليهود وغطفان ، ومن أسفل منكم يعني قريشًا في بئر رومة ، وقد مر على هذا الجبيل بنو النضير بعد إجلائهم من المدينة وقد رثاهم أحد المنافقين بقوله :

---

(١) الأحزاب الآية ١٠ .

فـإن أخي لـو رأيت ظعـائنـا سلكن على ركن الشظاة فتيـأبا
عليهن عـينٌ من ظبـاء تبالـة أوانس يُصبين الحليم المجرّبـا
إذا جاء باغي الخير قلن فجاءة لـه بوجـوه كالـدنـانـير مـرحبـا

ويسمى هذا الجبيل أيضاً ثيباً وتيباً وقد أخطأ البعض في ظنه أنه ثور ، فثور معروف وتيأب معروف .

الخنـــــدق

إن من أهم معالم المدينة وأعظمها على الإطلاق الخندق الذي يعتبر من الخطط الحربية التي سبق المسلمون العربَ إلى عملها ، وبما أن المدينة المنورة محاطة بتحصينات طبيعية من شرقيها وجنوبيها وغربيها لما يحيط بها من حرار وعرة لامطمع للجيوش في عبورها ومع ما يتخللها من قرى ومزارع ونخيل مما يشتت ويبعثر أي جيش يفكر في الإتيان منها ، ولكن الجهة الشمالية مدخل عسكري مكشوف وغير محصّن ولم تُغْزَ المدينة على مدى العصور إلا منها فقد غزاها تبع من هناك وغزاها جيش نبي الله داود منها وجيش نبي الله موسى منها كما جاء منها المشركون في غزوة أحد وحاولوا الهجوم منها في غزوة الأحزاب فلهذا كان لازمًا أن تحصن هذه الجهة فحصنها المصطفى ﷺ بالخندق فحفره من نهاية الحرة الشرقية عند أجمة الشيخين شرقي ما يعرف به الآن بمسجد المستراح حتى ثنية حرة بني سلمة إلى الشرق من القبلتين بطول ٢٧٢٥ مترًا وبشكل قوس منفرج ، وعمل فيه ألف وخمسمائة من المسلمين بالفؤوس والمعاول وغيرها من الآلات التقليدية ، وجعل النبي ﷺ لكل

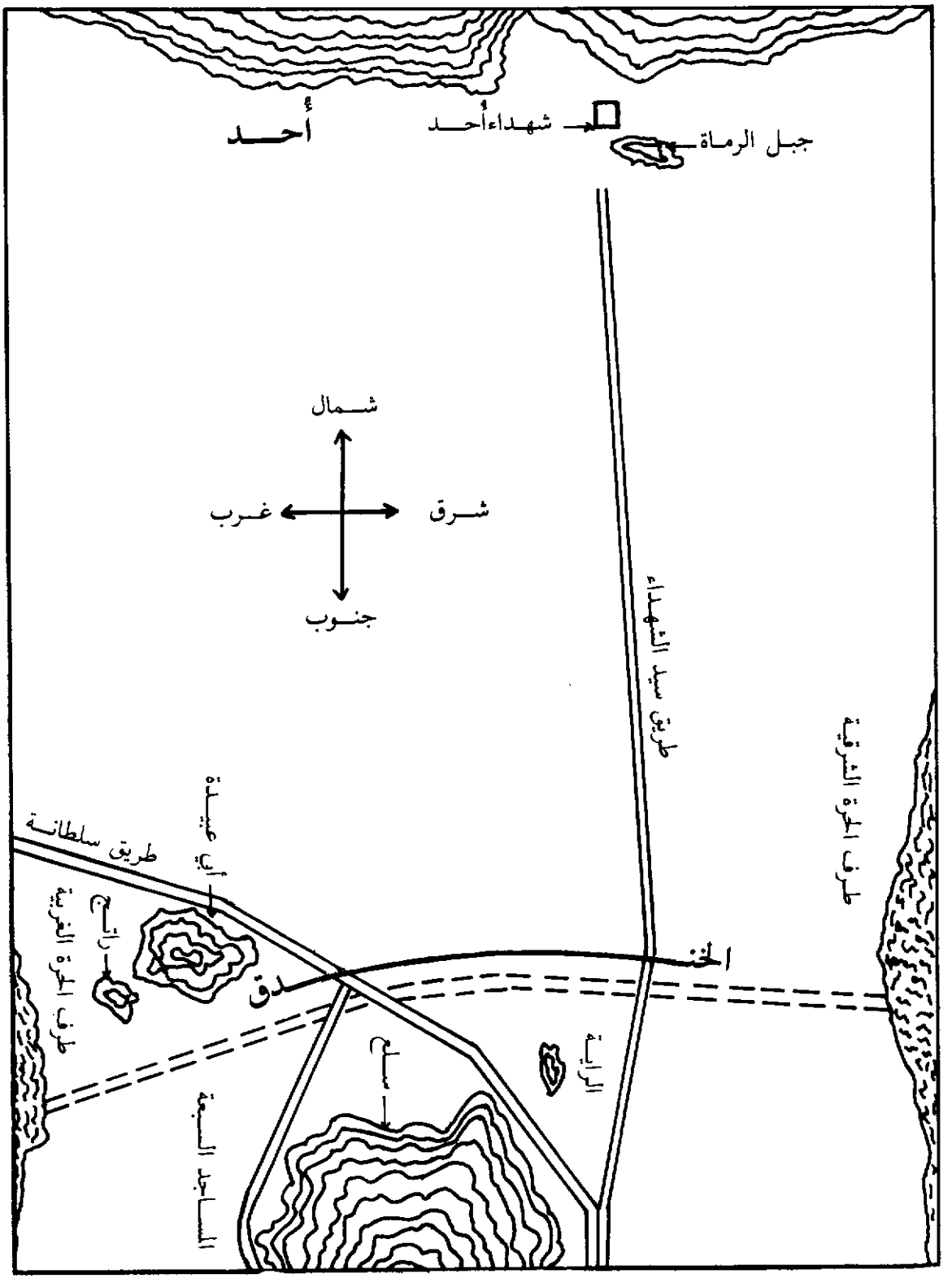
أحد
شهداء أحد
جبل الرماة
شمال
غرب
شرق
جنوب
طريق سيد الشهداء
طرف الحرة الشرقية
طريق سلطانة
عينين
طرف الحرة الغربية
الخندق
الرماة
الساحل السبعة

عشرة من الصحابة أربعين ذراعاً يحفرونها بعمق عشرين ذراعاً وعرض أربعين ذراعا وليس ستة أذرع لأنها يمكن لبعض العدائين من الناس أن يقفزوها فضلاً عن الخيول العتاق وقد أتم حفره في ستة أيام على الصحيح ، ولما قسم النبي ﷺ المسلمين إلى مهاجرين وكلفهم بالجهة الغربية من الخندق وإلى أنصار وكلفهم بالجهة الشرقية منه اختلفوا في سلمان رضي الله عنه فقال الأنصار سلمان منا . وقال المهاجرون سلمان منا . فقال النبي ﷺ سلمان منا أهل البيت ، وذلك لأن النبي ﷺ هو الذي دفع عوض عتقه لليهودي الذي كان يسترقه وهذا العوض : غرس ثلاثمائة نخلة حتى تثمر وأربعون أوقية من الذهب فغرس النبي ﷺ النخل بيده الشريفة فلم تمض عليه سنة حتى أثمر ، وأعطاه قدر بيضة من الذهب فوزن منها أربعين أوقية وبقيت كما كانت وكتب النبي ﷺ بذلك كتاباً بينه وبين اليهودي .

وقد أخطأ الكثير في تحديد الخندق حتى قال البعض أقوالاً غير مقبولة بحال مثل قولهم إن الخندق حفر من المصلى أي مسجد الغمامة إلى الحرة الغربية وعلى هذا الرأي فما الذي يحصنه هذا الخندق ، وكيف يذكر في حفره جبل الراية وجبل راتج وجبل أبي عبيد وأجمة الشيخين ولعل هذا الخطأ سببه أن أهل المدينة لما جاءهم جيش يزيد بن معاوية وعسكر بالجرف أحيوا خندق رسول الله ﷺ ثم عمل كل حي خندقاً عليهم فعمل بنو حرام خندقاً من شعبهم حتى الحرة الغربية ، وعمل بنو مازن وجهينة وبلى خندقاً من المصلى إلى الحرة الغربية ، فلعل هذه الخنادق الصغيرة الفرعية سببت وهماً لمن رآها أو حدث عنها بأنها خندق رسول الله ﷺ وقد يكون من أسباب هذا الخطأ

أيضًا ذكر أن بطحان اتخذ الخندق مجرى لمائه وهذا بالنسبة لخندق رسول الله ﷺ وقع عند ملتقى الخندق مع وادي بطحان شرقي جبل أبي عبيد وغربي تقاطع طريق المساجد مع طريق سلطانة شمالي مدرسة حسان بن ثابت في عصرنا الحاضر ، إذًا فالخندق بدأ من طرف حرة بني حارثة من أجمة الشيخين وحتى ثنية حرة بني سلمة بين القبلتين وبين مساجد الفتح ، وقد عسكر النبي ﷺ في الأيام الأولى من أيام حفر الخندق على جبل الراية شمالي ثنية الوداع الشمالية وبعد نهايته عسكر في الشعب الغربي من جبل سلع حيث مسجد الفسح والمساجد من حوله .

وهذه الجهة الشمالية هي التي قال المنافقون من ساكنيها ما ذكر الله عنهم : ﴿ **إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا** ﴾[1] ومعنى عورة أنها معرضة لغارات العدو ومكشوفة ولكن الله كذبهم وقال إنها ليست بعورة بل هي محصنة بما حصنت به أحياء المدينة الأخرى ، وقد استعار النبي ﷺ من يهود بني قريظة الفؤوس والمعاول ولعل ذلك قبل أن يقنعهم حيي بن أخطب اليهودي النضيري الحاقد بنقض عهد رسول الله ﷺ وبعد أن قاوم زعيمهم كعب بن أسد القرظي .

وقد عمل النبي ﷺ في حفر الخندق بيده الشريفة حتى إذا أعياه الحفر استراح ثم قام فقال له الصحابة رضي الله عنهم : يا رسول الله نحن نكفيك فقال لهم : «أريد مشاركتكم في الأجر» .

---

(١) الأحزاب الآية ١٣ .

ولما اعترضت صخرة للعشرة الذين فيهم سلمان رضي الله عنهم شمالي جبل الراية صعد سلمان إلى النبي ﷺ في قبته فوق الجبل وأخبره بأمر الصخرة فنزل إليها رسول الله ﷺ بنفسه ثم أخذ المعول بيده وضرب الصخرة فتطاير منها شرر كالبرق أضاء الأفق فقال النبي ﷺ : « **الله أكبر أضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى وسوف تفتح على أمتي ، ثم ضربها الثانية فطار شرر فقال الله أكبر أضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم وسوف تفتح على أمتي ، ثم ضربها الثالثة فطار شرر كالبرق أضاء الأفق فقال : الله أكبر أضاءت لي قصور صنعاء وكأنها أنياب الكلاب وسوف تفتح على أمتي ، ففرح المسلمون واستبشروا** » أما المنافقون فإنهم قالوا حين اشتد الحصار ﴿ **ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** ﴾[1] وعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وإن أحدنا يخاف المخترى ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء . .** ﴾[2] .

أما الصخرة فإنها صارت كالكثيب المهيل بعد ضربة النبي ﷺ الثالثة .

وكان من أهم أسباب غزوة الأحزاب تحريض يهود بني النضير بزعامة حيي بن أخطب للمشركين من أهل مكة ووعدهم بانضمام اليهود وأحلافهم من المنافقين إليهم ثم ذهب إلى غطفان وأعطاهم نصف تمر خيبر في السنة فوافقوا على الانضمام إلى الأحزاب ، وأراد النبي ﷺ أن يصرفهم بإعطائهم ثلث تمر المدينة فوافقوا فاستشار السعدين زعيمي الأنصار فقالا يا رسول إن

---

(١) الأحزاب الآية ١٢ .
(٢) آل عمران الآية ٢٦ .

كان أمرًا أمرك الله به فافعل ما تشاء وإن كان أمرًا عملته من أجلنا فلنا فيه الرأي فقال ﷺ بل هو شيء صنعته لكم رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة . فقالا يا رسول الله لقد كنا نحن وإياهم على الشرك فوالله ما أكلوا من تمرها إلا قرى الضيف أو ما اشتراه المشتري ، أما وقد من الله علينا بالإسلام فوالله ما نعطيهم إلا حد السيف . فسر بذلك رسول الله ﷺ .

كما أرسل ﷺ إلى يهود بني قريظة عبد الله بن رواحة والسعدين ليتأكدوا من نواياهم ويجتلوا أمرهم فوجدوهم عُضْلاً مصرين على الغدر ففرح بذلك رسول الله ﷺ وعلم أنه قرب نهايتهم ، وبهذا مَحَّصَ النبي ﷺ عدوه وعرف جهات الخطر . ويمكن أن نلخص أسباب غزوة الخندق في الأمور التالية :

١ ـ العداوة التقليدية من مشركي قريش .

٢ ـ الحقد اليهودي والغدر والخيانة من طبيعتهم .

٣ ـ الارتزاق والمتاجرة بالحرب كما هو شأن غطفان .

وبما أن جهة الخندق معروفة وممره يكاد يكون محققاً من أجمة الشيخين يمر وسط حي النصر ثم غربي مدرسة حسان بن ثابت ثم مع الشارع الفسيح فإلى اليمين فإلى طرف الحرة من غربي النخيل .

فحبذا لو جعل الحزام الذي سوف يربط الحرة الغربية بالشرقية في مكان الخندق وسمي باسمه مع أنه يوجد رسم لبداية وممر ونهاية الخندق في هذا الكتاب ، وفي كتاب علي حافظ (فصول من تاريخ المدينة) .

ملخص عن غزوة الأحزاب :

أتم النبي ﷺ حفر الخندق الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه في مدة وجيزة ولم يعلم به المشركون حتى كان مفاجأة لهم فقالوا : « إن هذه لمكيدة ما كان العرب يعرفونها » وكان النبي ﷺ معسكرًا إلى الشمال من جبل الراية في أثناء حفر الخندق ، أما بعد إتمامه وأثناء حصار المشركين فإنه كان معسكرًا بجيشه المظفر في السفح الغربي لجبل سلع في الشعب الذي فيه المساجد السبعة المعروفة بمساجد الفتح ، وجعل ظهره إلى الجبل وجعل الخندق بينه وبين العدو الذي كان نازلاً عند بئر رومه ، وهي المعروفة ببئر عثمان رضي الله عنه ولا تزال معروفة حتى الآن على يمين الذاهب إلى سلطانة على العدوة الشرقية لوادي العقيق ، وهذه الغزوة كانت في الشتاء وأيام البرد القارس ، وكان النبي ﷺ يسيِّر الدوريات على الخندق من أقصاه الشرقي إلى منتهاه الغربي ليلاً ونهارًا ، فلم يجد المشركون أيّ غفلة ، فلم يستطيعوا عبور الخندق بشكل خطر فصاروا يتبادلون الرماية بالنبل مع المسلمين من بُعد مما أدى إلى إصابة بضعة رجال من المسلمين منهم سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان رجلاً طويلاً ولبس درعاً أقصر منه فبقيت ساقاه مكشوفتين فلما مرّ على أمه ومعها امرأة أخرى لم تعرفه من كثرة ما هو مدجج في السلاح قالت هذه المرأة ويل أمه رجل مكشوف الساقين لعدوه فقالت أمه وقد عرفته : فيا حسن حظه إن وفقه الله للشهادة ، وهذا أمر عجيب : أمٌّ تتمنى لابنها الشهادة حقًّا إن الصحابة رضي الله عنهم باعوا أنفسهم لربهم وباعوا أموالهم وأولادهم لله

بشكل لا نظير له في حياة البشرية ، وحاولت خيول المشركين أن تقتحم الخندق ووثبت من فوقه فلم تستطع ذلك حيث وقع نوفل بن عبد العزى مع فرسه في الخندق فانكسر ظهر الفرس في وسط الخندق وانهال المسلمون على عدو الله بالحجارة فصار يصيح يا معشر العرب أتقتلوني بالحجارة كما يقتل الكلب هلا قتلتموني بالسيف فنزل إليه أحد المسلمين وقتله بالسيف ، ودفع إخوانه الدية للمسلمين لكي يعطوهم جثته فأمر النبي ﷺ بإعطائهم جثته وعدم أخذ الدية وقال « **خبيث الجثة خبيث الدية** » وأخذ الفقهاء من هذا أن الكافر بعد موته يظل نجسًا كما كان في حياته الذي يدل له قوله تعالى : ﴿ **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ .

كما استطاع عمرو بن عبد وُدّ العامري الفارس المشهور الوثوب من فوق الخندق بفرسه في مكان غفل المسلمون عنه ثم وقف بالغرب الشمالي من مسجد الفتح ونادى يا أصحاب محمد أخرجوا إليّ من يبارزني فأعجله على الجنة التي تزعمون أو يعجلني على النار التي تزعمون . ولشدة الخوف انتظر الصحابة أمر رسول الله ﷺ ولكن أبا بكر رضي الله عنه قام وقال أنا له يا رسول الله . فقال له النبي ﷺ اجلس ومتعنا بنفسك . فقام علي بن أبي طالب وكان عمره يزيد قليلاً على العشرين سنه فقال أنا له يا رسول الله فقال له اجلس يا علي إنه عمرو ، فتبجح عدو الله وقال ألم تكن الجنة والنار التي تزعمون حقًّا أخرجوا إليّ رجلاً منكم أعجله أو يعجلني على ما تزعمون . فقام عليّ مرة أخرى فقال له الرسول ﷺ يا علي إنه عمرو فقال علي ولو كان

عمرين يا رسول الله ، فخرج علي إلى عدو الله وحينئذ اجتهد الرسول ﷺ في الدعاء وقال : ﴿ **رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين** ﴾ ، وذلك لأن عمه حمزة رضي الله عنه استشهد في أحد قبل سنة وابن عمه عبيدة بن الحارث بن المطلب استشهد قبله بسنة في غزوة بدر ولم يبق معه ﷺ من أهل بيته البالغين إلا عليّ رضي الله عنه فلما وصل عليّ رضي الله عنه إلى عمرو عدو الله لم يعرفه من شدة ما هو مدجج في سلاحه فقال له عمرو من أنت قال أنا علي بن أبي طالب فقال عمرو : نعم الكفء ولكن لوالدك عَلَيَّ نعمة مات قبل أن أكافئها فلا أحب أن أقتل ابنه فقال له عليٌّ : أما أنا فأحب قتلك يا عدو الله فعند ذلك غضب عدو الله فقال له عليّ : يا عمرو بلغني أنه لا يدعوك أحد من العرب إلى أمرين إلا اخترت أحدهما قال عمرو بلى فقال عليّ فإني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقال عمرو أما هذه فلا حاجة لي فيها ، فقال له عليّ إذًا أدعوك إلى المبارزة فقال عمرو أما هذه فنعم فقال له عليّ كيف وأنت على صهوة جوادك فنزل عمرو عن جواده وقطع سوقه والتحم الرجلان في المبارزة حتى اختفيا في الغبار فضرب عدو الله عليًّا على المغفر فدخل فيه السيف ولم يصل إلى رأس عليٍّ وقبل أن يرفع السيف عاجله عليٌّ بضربة شطرته نصفين فكبر عليٌّ فسمعه المسلمون فكبروا معه لنصر الله عليًّا على عدوه .

وأحب أن أنبه على دعوة علي رضي الله عنه خصمه إلى الاسلام قبل أن يبارزه لأن القصد من الجهاد في سبيل الله هو حمل عباد الله على عبادة الله ربهم

وخالقهم لا من أجل الانتقام ولا من أجل الاستعباد أو السلب أو النهب بل لتكون كلمة الله هي العليا فمن أقر بشهادة الإسلام فقد حرم ماله ودمه وعرضه ، وكانت هذه المبارزة غربي مسجد الفتح على بعد رميتين بسهم تقريبًا لأن المسلمين تمكنوا من سماع نداء عمرو وسمعوا ما تبجح به ، وكانت المنطقة التي قفز منها نوفل وعمرو بين جبل راتج وجبل سلع وهي منطقة سهلة في ناحيتها الغربية طرف الحرة ، وظل النبي ﷺ يدعو ربه ويطلب منه النصر يوم الاثنين والثلاثاء وفي يوم الأربعاء بين الظهر والعصر استجاب الله دعاءه ، وفي ليلة الخميس أرسل الله ريح الصبا والملائكة فألقى الملائكة الرعب في قلوب المشركين وملأت الريح عيونهم ترابًا وعيون دوابهم وأكفأت قدورهم ودبّ فيهم الوهن واليأس والخوف فعندئذ قال الرسول ﷺ من يأت بالخبر منهم يكن رفيقي في الجنة ويأمن من شرهم . فلم يقم إليه أحد من شدة الذعر والبرد ولكن عندما عَيَّنَ أحدًا استجاب بدون تردد . وهذا ما وقع عندما مر ﷺ في الجيش وإذا برجل يتململ في مرط امرأة إذا غطّى رأسه بدت رجلاه فقال : حذيفة بن اليمان فقال لبيك يا رسول الله ونهض وهو يرتعد من البرد فضرب بيده على صدره فثبت وزال عنه البرد فلم يشعر بعد ذلك بحر ولا ببرد ، فكان يلبس لباس الصيف في الشتاء ، ثم قال له اذهب وائتنا بخبر القوم ولا تُحدث شيئًا فذهب حذيفة بن اليمان حتى دخل بين صفوف المشركين في بئر رومة ، وإذا بأبي سفيان يقول لقومه إنكم ترون ما نحن فيه فو الله لئن أصبحنا على هذه الحال لذبحنا أصحابُ محمد كما تذبحُ

الخراف فلينظر كل واحد منكم من بيمينه ويساره فقال حذيفة لمن عن يمينه من أنت فقال له فلان بن فلان وقال لمن عن يساره من أنت فقال فلان بن فلان فلهذا لم يسألوه ثم قال أبو سفيان ألا فارحلوا فإني راحل وركب راحلته بعقالها فقال حذيفة لولا أن الرسول ﷺ أوصاني ألا أُحدث شيئًا لما كلفني قتل أبي سفيان شيئًا ثم ارتحل المشركون وعاد حذيفة وأخبر النبي ﷺ فقال : لن تغزوكم قريش بعد اليوم والغزو لكم ، وبعد أن انسحب المشركون قال سعد بن معاذ الذي سبق أن قلنا إنه أصيب في أكحله : اللهم إن كنت أردت أمرًا ببني قريظة فأبقني حتى أشهده ثم اجعلها لي شهادة ، فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة منصوراً نصب خيمة في المسجد لتمريض سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وبعد الظهيره جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له إن الملائكة لم تضع سلاحها وإني سابقك إلى بني قريظة فأزلزل بهم حصونهم فعند ذلك أمر رسول الله ﷺ مناديًا ينادي « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة** » وخرج عليه الصلاة والسلام وخرج المسلمون إلى بني قريظة فأدركتهم صلاة **العصر** في الطريق فمنهم من صلاها وقال إنما أراد النبي ﷺ بالنهي الحث على الإسراع في الخروج وقد خرجنا ، وبعض آخر لم يصل العصر حتى وصل بني قريظة بعد العشاء ولم يعب الرسول ﷺ على هؤلاء ولا على هؤلاء إذ قد ائتمر الجميع بأمره ، وكان هذا الاجتهاد معدودًا في بوادر الاجتهاد الفقهي في عهد النبي ﷺ ولما طال الحصار على يهود بني قريظة وملأ الرعب قلوبهم وجهلوا

ماذا سيفعل بهم طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث إليهم بأبي لبابة لأنه كان من حلفائهم قبل الإسلام وحاول اليهود استغلال عاطفته ولكن الله سلّم ، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فحكم فيهم سعد بن معاذ زعيم الأوس لأنه غضب لما ألحّ ابن أبيّ على الرسول ﷺ في إطلاق حلفائه يهود بني قينقاع ، فجيء بسعد بن معاذ راكباً على حمار فلما انتهى إلى معسكر المسلمين قال الرسول ﷺ « **قوموا إلى سيدكم** » فقال عليّ يعنيكم يا معشر الأنصار ، وتلك إشارة من عليّ رضي الله عنه بأن سيد المهاجرين هو رسول الله ﷺ بل سيد البشر جميعًا ، فحكم سعد رضي الله عنه فيهم بقتل الرجال وكانوا سبعمائة أو ثمانمائة رجل ، وأن تسبى نساؤهم وأطفالهم فقال له قومه استوص بحلفائك فقال والله لا أحكم فيهم إلا بهذا الحكم فقال النبي ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات ، وخندق النبي ﷺ لدمهم في طرف سوق المدينة الجنوبي الشرقي بين المصلى ومنازل بني زريق أي في مكان دورات المياه اليوم التي أمام باب السلام ، وذبحهم هناك وذبح معهم امرأة واحدة كانت قالت لزوجها أثناء الحصار والله لا يتزوجني بعدك أحد من أصحاب محمد قال لها وكيف ذلك وقد فتح الحصن لهم وأصبحت من سبي النساء فقالت ها هو رجل منهم جالس تحت الحصن سألقي عليه حجرًا يقتله فأقتل به قصاصًا فنفذت قبحها الله ما وعدت به زوجها ، فلما ذبح قومها نودي باسمها وكانت جالسة عند عائشة رضي الله عنها وقالت عائشة ما كنت أظنها التي نودي باسمها للقتل لما كنت أرى من رباطة جأشها

وعدم خوفها حتى قالت هي بنفسها نعم أنا التي ينادى عليها للقتل ثم قتلت قصاصًا . وبعد قتل يهود قريظة عاد النبي ﷺ إلى منزله في الظهيرة فجاءه جبريل وقال له : « **من الذي اهتز عرش الله لموته الآن** » فخرج النبي ﷺ فزعًا وقصد خيمة سعد التي يعالج فيها في داخل المسجد ففاجأه الدم خارج الخيمة فعلم أنه توفي شهيدًا وأن الله استجاب له دعوته ومع عظم جسمه وطوله خف نعشه على من حملوه لأن الملائكة كانوا يشاركون في حمله فرضي الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين .

عوامل أوهت قوى المشركين وفتت جمعهم :

لا شك أن رسول الله ﷺ عنده وعد صادق من ربه بالنصر ، ولكنه ﷺ كان يعمل بالأسباب ويأخذ التدابير اللازمة للحرب وخدعها ، ظهر في غزوة الأحزاب هذه ، ومن هذه التدابير والأسباب التي فاجأ بها المشركين :

١ ـ حفر الخندق وهو مكيدة حربية ما كان العرب يعرفونها ، وقد حفره بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث قال له : « كنا إذا خفنا خندقنا » أي في بلاد فارس فهي إذا خطة كان يعمل بها المشركون فاستفاد منها المسلمون ، وقد استدل بذلك الفقهاء على جواز الاستفادة في أمور الدنيا مما عند الكفار كما وقع هنا وكما استفاد ﷺ من خبرة كافر في رحلة الهجرة الغراء ، وكما استعار السلاح من يهود بني قريظة قبل أن ينقضوا العهد ، ولما رأى المشركون الخندق يومًا بعد يوم شعروا باليأس

وأنه لا سبيل لهم إلى الوصول إلى المسلمين ؛ وكانت قيادة الكفر عند قريش فاليهود وغطفان تبع لهم .

٢ ـ نعيم بن مسعود الأشجعي نَمَّ بين اليهود وقريش حتى شكّك كل فريق في الآخر فأوهم يهود بأنه صديق لهم وهم لم يعلموا بإسلامه وقال لهم إن قريشًا منازلها بعيدة ويريدون أن يُنشبوا الحرب بينكم وبين محمد ويذهبون إلى ديارهم ويتركون بينكم وبين محمد فيقتلكم ، وإن أردتم أن تسلموا من هذا الفخ فاطلبوا من قريش أربعين شابًّا رهينة حتى لا ينسحبوا عنكم فقالت يهود نفعل ، ثم ذهب إلى قريش وهو صديق لهم ولم يعلموا بإسلامه وقال لهم : إن يهود غُدر وندموا على نقض عهد محمد ويريدون أن يأخذوا منكم أربعين شابًّا باسم رهائن ليعطوهم لمحمد يقتلهم فيكسبون بذلك رضاه ، فلما طلب يهود من قريش الرهائن قالت قريش : صدق نعيم والله لا نعطي أبناءنا . وقالت يهود صدق نعيم والله لا ندخل حربًا ضد محمد فسمعت بذلك غطفان فانسحبت ، وهكذا أدرك نعيم ما فاته من قدم الإسلام بتشتيت كلمة المشركين بعد أن قال له النبي ﷺ خذِّل عنا ما استطعت وأذن له أن يقول ما يشاء ، فالعمل على تشتيت كلمة المشركين كان من أعظم الجهاد في سبيل الله .

٣ ـ قطع إمدادات الطعام التي كانت تصل المشركين من عند يهود قريظة فصار المسلمون يتعرضون لها ليلاً ويأخذونها إلى المسلمين مما جعل

غطفان وقريش يخافون من قلة الطعام كلما طال الحصار .

٤ ـ طول أمد الحصار على المشركين الذين ظنوها حرب يوم واحد كما وقع في بدر وأحد ، وهذا الطول مع بعد الديار وضعف الأمل في النصر كلما طال الحصار فَتّ في عضد المشركين .

نتـــائج غـــزوة الأحـــزاب :

إن لمعركة الأحزاب نتائج عظيمة لا نظير لها في جميع الغزوات النبوية ومن هذه النتائج :

١ ـ لم تفكر قريش بعدُ في غزو المدينة ولم تحدث نفسها بعد ذلك بالقضاء على الإسلام وتحول موقف المشركين إلى موقف الدفاع من الطرف الضعيف .

٢ ـ إن المرتزقة لا يصمدون في الحرب ولا يضحون بأكثر مما يأخذون كما وقع لغطفان في هذه الموقعة .

٣ ـ إن اليهود جبناء يُذكون الحروب بين خصومهم كما فعلوا في غزوة الأحزاب حرضوا المشركين من العرب ولكنهم ظلوا دائماً بعيدين عن نار الحرب .

٤ ـ إن المنافقين تُعَرِّيهم الشدائد وتظهر زيف إيمانهم وأنهم مستعدون للانضمام إلى اليهود أو المشركين من كل عدّو يريد القضاء على الإسلام

فهم أخطر أنواع الأعداء لأنهم بين صفوف المسلمين ويعرفون أحوالهم فيجب الحذر منهم أكثر .

٥ ـ زادت إيمان المسلمين قوة وتصديقًا بنصر الله لنبيه ﷺ .

من استشهد من المسلمين في غـزوة الأحـزاب :

واستشهد من المسلمين ستة هم :

١ ـ أنس بن أوس بن عتيك رضي الله عنه .

٢ ـ عبد الله بن سهل رضي الله عنه .

٣ ـ الطفيل بن النعمان رضي الله عنه .

٤ ـ ثعلبة بن غنيمة رضي الله عنه .

٥ ـ كعب بن سعد رضي الله عنه : قيل أصابه سهم دورية من المسلمين فقتله خطأ فلما قال بعضٌ هل هو شهيد أخبر النبي ﷺ بأنه شهيد ، وكل هؤلاء دفنوا في مقبرة عند المساجد .

٦ ـ سعد بن معاذ رضي الله عنه ودفن في البقيع بعد أن شهد ذبح بني قريظة .

معجـــزات في أيـــام الخنـــدق :

إن أيام الخندق التي كانت صعبة على المسلمين وقوي فيها الفزع والخوف حتى بلغت القلوب الحناجر وحتى انكشف الغطاء عن المنافقين وقالوا

﴿ **ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا** ﴾ إلى جانب هذا كله كانت تقع معجزات نبوية عبر أيام الخندق تُقوي الطاقة الإيمانية في نفوس المسلمين وتجعل الأمل في نصر الله لنبيه ﷺ أمراً يقينيًّا كما وقع ، ومن هذه المعجزات :

١ ـ أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه جاء في يوم من أيام الخندق إلى زوجته وقال لها : لقد رأيت الجوع في عيني الرسول ﷺ وقد شد حجرًا على بطنه من الجوع فهل عندك من شيء ، فقالت له عندنا عناق أي جفرة وصاع من شعير فاذهب فادع لنا رسول الله ﷺ وعشرة من أصحابه وكلّمه فيما بينك وبينه ولا تدع لي أصحاب رسول الله ﷺ كلهم فإنه ليس عندي من الظل ولا الطعام ما يكفي المهاجرين والأنصار ، فذهب جابر وكلم النبي ﷺ فيما بينه وبينه بالدعوة إلى الغداء هو وعشرة من أصحابه وأن عنده عناقًا وصاعًا من شعير فتبسم النبي ﷺ ونادى في المهاجرين والأنصار : إن جابرًا يدعوكم إلى الغداء ، فعاد جابر إلى زوجته مذعورًا وقال لها : لقد وقع ما كنا نحْذر لقد دعا لنا رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار على الغداء فقالت له أو ما قلت له إن عندنا عناقًا وصاعًا من شعير فقال لها بلى قالت له دعه فإن ربه لن يضيِّعه ، وأرسل الرسول ﷺ إليهم بأن يتركوا البرمة على النار حتى يجيء ففعلوا فلما جاء هو والمهاجرون والأنصار الذين استجابوا لندائه ﷺ فبارك الله لهم في ظل عريش وحجرة جابر حتى وسعهم الظل ، ثم جلس المصطفى ﷺ عند البرمة وهي تغلي وأخذ

المغراف بيده الشريفة ونادى الجارية وأمرها أن تفت خبزة في الجفنة فجعلت تفت فيها والنبي ﷺ يغرف فيها من اللحم والمرق وكلما غرف ازدادت البرمة مرقًا ولحمًا وقد شاهدت الجارية ذلك فشغلها عن الانتباه للخبزة ، وكلما امتلأت الجفنة نادى عشرة من أصحابه فأكلوا حتى شبعوا إلى أن شبع المهاجرون والأنصار الذين تواجدوا في ذلك المكان ثم صب الباقي في الجفنة فامتلأت فقال : كلوا يا آل جابر وتصدقوا ، فمكث عندهم ذلك الطعام فترة من الزمن وهو لم ينفد .

٢ ـ اعترضت صخرة في حفر الخندق للعشرة الذين كان فيهم سلمان الفارسي في شمالي جبل الراية فلما أخبر بها ﷺ جاء بنفسه وضربها بالمعول فطارت منها نارٌ أضاءت قصور كسرى ، وضربها ثانيًا فطارت نار أضاءت قصور قيصر كأنها أنياب الكلاب ثم ضربها ثالثة فطارت نار أضاءت له قصور صنعاء وأخبر بأن الله سيفتح ذلك كله على يد أمته ثم تحولت الصخرة إلى كثيب مهيل .

٣ ـ هزيمة جيش جرار أعد العدة العظيمة للحرب وحزّب لها الأحزاب الجمة واكترى عددًا كبيرًا من المرتزقة ، وانحاز إليه اليهود ونقضوا عهد رسول الله ﷺ لقوة تيقنهم بنصر هذا الجيش والقضاء التام على الإسلام ، وتجشم هذا الجيش المفاوز والصحارى المهلكة ، وفي آخر أمره يُهزم بجنود لم يرها المشركون ولم يرها المسلمون إلا النبي ﷺ الذي أخبر عنها بالوحي وانسحب الجميع خائبين ولم تفكر قريش بعد ذلك في غزو المدينة ولا في لقاء النبي ﷺ في المعارك .

وفي أثناء حصار الأحزاب حاول اليهود التسلل إلى حصن الفارع وهو حصن حسان بن ثابت الذي كان فيه أهل رسول الله ﷺ ليكشفوا عورة الحصن ويصلوا إلى من فيه ، وأرسلوا أمامهم يهوديًّا يتجسس على الحصن فرأته صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وأم الزبير بن العوام رضي الله عنهما فقالت لحسان رضي الله عنه قم إلى هذا اليهودي واقتله فقال لها : تعلمين أني لست أهلاً لذلك ، فرمت عليه صفية رضي الله عنها صخرة أو عمودًا فشدخت رأسه ثم قالت لحسان رضي الله عنه انزل إلى عدو الله وخذ سلبه فإنه ما يمنعني إلا أني امرأة فقال لها : تعلمين أني لست أهلاً لذلك ولا حاجة لي بسلبه ، فنزلت صفية وأخذت سلبه ، فهل معنى رفض حسان رضي الله عنه لقتله ولأخذ سلبه أنه جبان كما قيل ذلك في بعض كتب الأدب ، أو أنه كان مريضًا بالرمد وهذا مرض يعرف من يشاهده أن صاحبه لا يستطيع القتال ولا أخذ السلب وهذا هو المعقول إذْ لو كان جبانًا لهجاه بذلك خصومه من فحول الشعراء الذين صب عليهم سوط عذاب هجائه في الجاهلية والإسلام .

ذكـــر الشـــعراء للخنـــدق والأحـــزاب :

لقد أرسل الشعراء المسلمون والمشركون العنان للشعر في غزوة الخندق ، وإن كان في الحقيقة لا مفخر للمشركين في هذه الغزوة ، والنصر فيها والعز للمسلمين بدون شك ومما قيل في الأحزاب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتل عمرو بن عبد ودّ لعنه الله :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
فصددت حين تركته مجندلاً كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المعطَّر برّ في أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

جيش عينية وابن حرب فيهم متخمطون بجلبة الأحزاب
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا قتل النبي ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بجمعهم رُدوا بغيظهم على الأعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم وجنود ربك سيد الأرباب
فأقر عين محمد وصحابه وأذل كل مكذب مرتاب
مستشعر بالكفر تحت ردائه والكفر ليس بطاهر الأثواب

وقال آخر يتشوق إلى المدينة ويذكر مسجد الأحزاب :

لا يُرجع الحزن الممر سفاهة زمن العقيق ومسجد الأحزاب

وقال آخر :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
إذ لا يزال غزال فيه يفتنني يأتي إلى مسجد الأحزاب منتقبا

وكانت عادة أهل المدينة الخروج إلى مسجد الأحزاب والدعاء فيه يوم الأربعاء .

الجـــــرف

لقد قدمت الكلام على الجرف على الكلام على العقيق الذي هو أقرب لأن الكلام على العقيق أطول ويتصل بالكلام على الحرة الغربية والجماوات فلذلك أخرت الكلام على العقيق وقدمت عليه الكلام على الجرف .

الجرف بضم الجيم وسكون الراء موضع به قرية إلى الشمال الغربي من المدينة المنورة على نحو ثلاثة أميال ، وقد قامت أمانة المدينة ببناء منتزة كبيرة في مدخل قرية الجرف وصار متنفسًا لأهل المدينة يخرجون إليه عشيًّا وحين يمسون ، ومنطقة الجرف من أول مناطق المدينة سكنى حيث سكنه أولاً صعل ثم فالج الذين غزاهم نبي الله داود عليه السلام وسبى منهم مائة ألف عذراء ثم سلط الله عليهم دودًا في أعناقهم فأهلكهم الله فقبورهم تملأ ما بين حرة زهرة ووادي رانوناء ، ويقال إنه بقيت منهم امرأة عجوز فاكترت من رجل من غيرهم راحلة لتخرج عليها فلما ركبت رأى الرجل دودًا يتناثر منها فأخبرها به فقالت بذلك أُهلك قومي وأنا هالكة ثم قالت : « رب جسد مصون ومال مدفون ، بين زهرة ورانون » وزهرة جزء من الحرة الشرقية ، ورانون هو وادي رانوناء الذي يصب في بطحان في منطقة المنحنى ، وبكلماتها هذه بينت أين يسكن قومها ، وكان بالجرف أموال لعمر رضي الله عنه ، وبه آبار منها : «بئر جسم ـ بئر جمل» ، وسمي بالجرف لأن تبعًا ملك اليمن لما مر عليه قال : هذا جرف الأرض . وكان يسمى قبل ذلك بالعِرض بكسر العين وفيه يقول كعب بن مالك :

إذا ما هبطنا العرض قال سراتنا علام إذا لم نمنع العرض نزرع

وقال فيه كعب بن الأشرف الطائي نسبًا واليهودي دينًا وخؤولة عليه لعنــة الله :

كــل حـاجــاتي قــد قضيتهــا غير حاجـاتي على بـطن الجرف

وبالجرف عسكر جيش أسامة رضي الله عنه الذي أرسله النبي ﷺ ليطأ أرض الروم فلما مرض المصطفى ﷺ لم يتحرك الجيش من مكانه فلما تولى الصديق الخلافة كان أول عمله تسيير جيش أسامة ، وقد أشار بعض الصحابة إلى الصديق بعدم تسييره لأجل ردة الأعراب وهجومهم على المدينة حتى وصلوا صرارًا بين المدينة والعريض فقال الصديق رضي الله عنه : والله لا أحل راية عقدها رسول الله ﷺ وأنفذ جيش أسامة واستأذن هذا الأمير الشاب في السماح له بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ذهب يودعه ماشيًا على قدميه وأسامة الشاب المولى راكبًا على راحلته بعزم من الصديق عليه بذلك فكان في تسييره هيبة للمسلمين .

الجهـة الغـربية للمـدينة المنـورة

سبق أن قلت إنني في هذا الكتاب لا أكتب عما جُهل وأصبح لا أثر بعد عين ، أما ما بقي له أي معلم يمكّن الباحث عنه من التعرف عليه فأذكر منه ما استطعت ، ومن هذا الذي ذهب في غابر الزمان دارُ النابغة من بني النجار

التي قيل إنها دفن فيها عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ والتي ورد أن النبي ﷺ تعلم السباحة في بئرها حين زار أخوال جده مع والدته آمنة التي توفيت في طريق عودتها إلى مكة في الأبواء التي تعرف الآن بالخريبة ، وموقع منازل بني النجار كان غربي المسجد النبوي الشريف حتى شارع المناخة أما دار النابغة فكانت على بعد ٢٥٠ مترًا غربي المسجد النبوي وصار مكان الجميع في المظلات اليوم التي هي تمهيد لبناء زيادة المسجد النبوي من الناحية الغربية التي وضع الملك فهد حفظه الله حجر الأساس لها ، وكان إلى الغرب من هذه الدار قبر مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما الذي استشهد يوم أحد وحمل ليدفن بالمدينة قبل الأمر بدفن الشهيد في مكان استشهاده وإلى الغرب منه كان يوجد مسجد يحمل اسمه وقد أدركناه مبنيًّا بالحجارة ويقع هذا المسجد في ديار بني خدارة رهط أبي سعيد الخدري ، ويمر من تحت شارع المناخة هذا نفق تحت سور المدينة القديم من جرار أم سعد حتى العدوة الشرقية من بطحان .

سـوق المـدينة

قدم النبي ﷺ فوجد لكل حيّ من يهود سوقًا فخطّ للمسلمين سوقًا في المدينة وقال هذا سوقنا ودعا فيه بالبركة وأن لا يضيق على المسلمين ، وفي هذا السوق خَنْدَقَ النبي ﷺ خنادق وذبح فيها يهود بني قريظة وكانوا سبعمائة وامرأة واحدة وسبب قتل هذه المرأة أنها قتلت أحد المسلمين أثناء حصارهم

لبني قريظة لأنها وعدت زوجها بأن لا تكون لأحد من المسلمين ولكي تقتل قصاصًا ألقت صخرة على رجل من المسلمين من فوق الحصن فقتلته ، وتقول عائشة رضي الله عنها إنها كانت جالسة عندها قبيل أن تقتل وإنها كانت في غاية الثبات ورباطة الجأش ، فلما نودي باسمها لتقتل ما ظنت أنها هي المرادة فقالت لها بل أنا التي يُنادَى عليها لأني قتلت أحد المسلمين لكي أقتل قصاصًا كما وعدت زوجي بذلك . فقتلوا بالطرف الجنوبي من السوق في مكان دورات المياه اليوم كما تقدم ، وقد دعا النبي ﷺ لهذا السوق بقوله : « **اللهم بارك لأهل المدينة في سوقهم** » وفي هذه السوق مرّ النبي ﷺ برجل يبيع طعامًا بسعر هو أرفع من سعر السوق فقال له : « **تبيع في سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا** » ؟ قال نعم يا رسول الله قال : « **أبشر فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، وإن المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله** » وورد أيضًا أنه ﷺ جاء سوق المدينة فضرب برجله وقال : « **هذا سوقكم فلا تضيق ولا يؤخذ منها خراج** » ، ومر على خيمة أقيمت في السوق فأمر بتخريقها فخرقت ، وهدم عمر رضي الله عنه كيرًا أقامه حداد في هذا السوق ثم قال لا تضيقوا على الناس سوقهم .

فيا حبذا لو أقامت أمانة المدينة المنورة سوقًا نموذجيًّا يتناسب وموقعه وجواره للحرم النبوي خصوصًا وأن الفرصة سنحت بعد جعل طريق السيارات تحت الأرض ، ثم يطلق على السوق « سوق المدينة النبوي » حتى لا يحرم المسلمون من هذه البركة التي دعا بها رسول الله ﷺ .

السقيفـــة : إن اسم السقيفة أصبح علماً بالغلبة على سقيفة بني ساعدة التي بويع فيها الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، ويقع مكان السقيفة اليوم في نهاية شارع السحيمي وعلى يسار المتجه غربًا حيث صارت حديقة جميلة في مكان السقيفة وأطلق عليها اسم (حديقة السقيفة) وهو عمل طيب تشكر عليه أمانة المدينة حيث جعلت لكل مسلم قرأ عن السقيفة فرصة التعرف على مكانها وهو شيء نرجو أن توفق أمانة المدينة له في كل مكان أثري وقد أدركت بئر بني ساعدة وقربه سقيفة في مكان السقيفة وكان الأتراك قد عملوا على أن يبقى بناؤ ها على شكله الأثري وكان هذا البستان منخفضًا جدًّا عن سطح ما حوله من الأرض وكان في نهايته الغربية مقر مركز الباب الشامي الذي أزيل في توسعة الشارع وعلى الغرب القريب منها يمر النفق الذي أصبح طريقًا ذا ممرين تحت الأرض ، وقد أفاد هذا النفق إفادة كبرى حيث جنّب الذاهبين والقادمين إلى المسجد النبوي خطورة السيارات وازدحامها وفي هذه الحديقة بويع الصديق بالخلافة ، كما ورد أنه ﷺ لما توفي اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة عند زعيمهم سعد بن عبادة رضي الله عنه يبحثون فيمن سيكون الأمر بعد الرسول ﷺ فعلم بذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأسرعا مخافة الانشقاق بين صفوف المسلمين ودار الحوار السياسي الشرعي وأدلى كلٌّ برأيه بحرية فقال سعد منا أمير ومنكم أمير فقال الصديق : نحن الأمراء وأنتم الوزراء وأورد ما سمعه من الرسول ﷺ في أن الخلافة في قريش ، ولرسوخ الإيمان ونضج العقول وعدم الخلود إلى الأرض لم تمض سويعات حتى اتفقت

كلمة العظماء من أصحاب رسول الله ﷺ على خلافة أبي بكر رضي الله عنه الذي ارتضاه الرسول ﷺ للإمامة في الدين والذي كان أفضل الصحابة وأمنّهم على الرسول ﷺ في صحبته وأثبتهم عند توفيه فرضي الله عن الجميع ، إن مكانًا وقع فيه هذا الحدث التاريخي العظيم لجدير بأن يظل معروفًا يذكر المسلمين بعظمة سلفهم الصالح وترفعه عن متاع الدنيا الزائل .

مصلى العيد في زمن المصطفى ﷺ

إن الأمكنة التي كان النبي ﷺ يصلي فيها صلاة العيدين مختلف فيها إلى حد جعل بعض المؤلفين في تاريخ المدينة يقول بأن تلك الأمكنة غير معروفة مع الاتفاق بأنه كان يصلي صلاة العيدين في الصحراء ، ولكن إذا عرفنا أنه ﷺ كان يذبح أضحيته في عودته من المصلى غربي بني زريق ، وإذا عرفنا الأثر « ما بين مسجدي إلى المصلى روضة من رياض الجنة » وإذا عرفنا أنه ﷺ خرج إلى المصلى فقال : « هذا مستمطرنا ومصلانا لفطرنا وأضحانا » من كل هذا نعرف أنه ﷺ كان يصلي العيدين في الجهة الغربية للمسجد النبوي الشريف وأن أكثر صلاته للعيدين كان في مكان مسجد المصلى (الغمامة) ويبعد هذا المسجد عن باب السلام بنحو سبعمائة ذراع ، وكان بينهما أعظم أحياء المدينة وأزخر أسواقها (سوق الحدرة ـ والحبوب والتمور) وأزيل هذا الحي في مشروع توسعة الحرم الشريف وأصبح موقفًا للسيارات وقيل إنه ﷺ

صلى العيدين أربع سنين في مكان المصلى هذا ، ويقع هذا المسجد الآن بين جناحي النفق الذي تقدم ذكره ، والذي كان يهدد حفره بزوال هذا المعلم الأثري ولكن جزى الله المسؤولين خيرًا حيث عملوا على تنفيذ النفق وبقاء المصلى على بنائه الحجري الأثري وقبابه الجميلة ، مع صيانته ونظافته وترميمه من حين لآخر وإقامة الصلوات فيه فجزاهم الله خيرًا .

وإلى الشمال الغربي يوجد مسجد أصغر من مسجد المصلى ولكنه مبني بنفس البناء وهو قريب منه حيث يفصل بينهما الطريق فقط ، ويطلق على هذا المسجد منذ القدم مسجد أبي بكر الصديق ، ومحله مذكور في الأماكن التي صلى فيها الرسول ﷺ صلاة العيدين ، وذكر أنه اتخذه مصلى في العام السادس من الهجرة حيث زحفت البيوت على مكان مصلاه الأول ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه يصلي العيدين في خلافته في مكان هذا المصلى وبه سمي المسجد الذي بني فيه منذ عهد ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة ، وكان هذا المسجد مخنوقًا بالأحياء ذات المباني القديمة وقد أزيلت هذه الأحياء حتى لم يبق بينه وبين المسجد النبوي أي بناء .

وإلى الشمال من مسجد الصديق وبمسافة ١٠٠ متر تقريبًا يوجد مسجد يطلق عليه اسم مسجد علي بن أبي طالب وهو أكبر من سابقه ، ولا يزال مزحومًا بالمباني إلا من جهته الشرقية حيث ترى منارته منها وقبابه وهو من نوع طراز بناء مسجدي المصلى السابقين ، وهو الآن مثلهما في الصيانة والنظافة وإقامة الصلاة فيه وذكر بعض كتب تاريخ المدينة أن النبي ﷺ صلى العيدين

سنة أو سنتين في مكان هذا المسجد الذي ظل من الصحراء حتى زمن الدولة الأيوبية التي وصل فيها عمران المدينة إلى غربي هذا المسجد وكانت توجد إلى الشمال منه قبة فوق بناء مدرسة لقراءة القرآن يقال إنها كانت لوالدة صلاح الدين الأيوبي مما يدل على وصول البنيان إلى ذلك المكان ، وما بين مكان هذه القبة إلى سقيفة بني ساعدة شرقًا إلى الشمال كان يوجد بقيع الخيل أي مكان سوق بيع الخيل في العهد النبوي وقد أدركت في مكانه سوق غنم المدينة ، وكان موقعه في آخر دور مهاجري جهينة وبليّ الذي أصبح فيه اليوم مكتبة الملك عبد العزيز الضخمة في عصرنا هذا أما سبب تسمية مسجد عليّ بهذا الاسم فهو أمر لم يتضح لي لأن عليًّا رضي الله عنه في خلافته لم يصلِّ عيدًا في المدينة ، ولقد تغنى الشعراء بالمصلى واشتاقوا إلى ما حوله من دور .

قال الشـــاعر :

فكم من حـرة بـين المصـلى إلى أحـد إلى مـا حـاز ريم
إلى الجـماء من خـد أسيـل نـقي الـلون لـيس بـه كـلوم

وقـــال آخـــر :

ليت شعـري هل العقيق فسلع فقصـور الجماء فـالعـرصتـان
فـإلى مسجد الـرسول فـما حـا ز المصـلى فجـانبـا بـطحـان
فبنـو مـازن كعهـدي أم لـيـ ـسوا كعهدي في سالف الأزمان

وقال عروة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا جنوب المصلى أم كعهد القرائن
أم الدور أكناف البلاط عوامر كما كنّ أم هل بالمدينة ساكن
أحن إلى تلك البلاد صبابة كأني أسير في السلاسل راهن
إذا برقت نحو الحجاز غمامة دعا الشوق مني برقها المتيامن
وما أخرجتنا رغبة عن بلادنا ولكنه ما قدر الله كائن
فما يستوي من بالجزيرة داره ومن هو مسرور بطيبة قاطن

أما المسجد الذي بجنوبي المصلى (الغمامة) والذي يسمى مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فليس من أمكنة صلاة العيد لا للنبي ﷺ ولا لأحد من خلفائه وإنما هو مبني في القرن السادس الهجري هو ومسجد آخر كان يسمى مسجد بلال رضي الله عنه إلى الشمال الغربي منه وأزيل من أجل الطريق ، وقد نبه عليهما الكثير من كتب تاريخ المدينة ، وقد بني في عصرنا مسجد آخر كبير وجميل في أول طريق قربان على يسار الذاهب ، وتحته معارض ودكاكين تابعة له وأطلق عليه اسم مسجد بلال فلعل الزمان أن يتقادم فيظن الناس أنه مسجد بلال بن رباح الصحابي الجليل مؤذن رسول الله ﷺ فإلى ذلك نلفت الانتباه .

جبـــل ســـليع

يقع هذا الجبل إلى الغرب تمامًا من سقيفة بني ساعدة بعد عبور شارع المناخة فوق النفق وقد أكلته البيوت تكسيرًا وخنقته العمارات الشاهقة والفنادق ، ولكن بقيت قمته صخرًا أملس عاليًا بين العمارات يراه من دخل بين فندق قاسم وبين مبنى وزارة الإعلام القديم وبينه وبين جبل سلع ثنية (ريع) كانت تعرف بثنية العثعث ويصعد مع هذه الثنية الشارع المعروف اليوم بباب الكومة ، وكان الجبيل يعرف قديماً بجبل جهينة حيث كانت منازلهم إلى الجنوب والشرق منه ، وفي الجهة القبلية لهذا الجبيل يوجد مسجد عرف في العصر النبوي بمسجد جهينة أو مسجد بليّ حيث كان الحيان في نفس المنطقة وطلب شيخ مسن من بليّ من النبي ﷺ أن يصلي له في مكان يتخذه مصلى فصلى له في مكان فصار يقال : المسجد لبليّ والخط لجهينة يعني أنه ﷺ خط ذلك المكان لمهاجري جهينة فسكنوا فيه وأدركت هذا المسجد مبنيًّا بناء قديمًا بالحجارة بناء يشبه بناء الأتراك ، ثم هدّ بعد ذلك وبني في الطابق العلوي وجعل أسفله دورة المياه ، ودكاكين تابعة له ، كما أدركت على هذا الجبيل قلعة تركية قديمة ، ويعتبر سليع هذا آخر حد غربي لسوق المدينة الذي خطه الرسول ﷺ والذي ذكرنا أنه يمتد من الشمال من جبل المستند شرقي مشهد النفس الزكية حتى مسجد المصلى (أي الغمامة) وكان في منتصفه موضع أحجار الزيت التي ورد أن الله أجرى فيها معجزة لنبيه ﷺ حين طلب زيتًا فلم

يوجد فنبع له من هذه الأحجار . وبين منازل جهينة وسقيفة بني ساعدة كانت تقع منازل المهاجرين من غفار ، وفيها دار أبي رهم الغفاري الصحابي الذي ذُبح يوم أحد فجيء به إلى رسول الله ﷺ فتفل عليه فقام من حينه كأن لم يمسه سوء .

جبـــل ســـلع

جبل سلع غير مصغر وهو جبل يقع إلى الشمال الغربي من جبيل سليع تفصلهما ثنية العثعث التي يقع في منحناها الشرقي مستشفى الأطفال وأمراض النساء الذي يمتد شماليه سهل مستوٍ يسمى العطن حتى ثنية الوداع الشمالية ، وفي هذا السهل كانت منازل أشجع بن ريث حتى أطلق عليه شعب أشجع وفي وسط هذا السهل يوجد مسجد يسمى مسجد السبق وليس من المساجد المأثورة بناه أحد قضاة المدينة لصلاة أهل الحي ، ولوقوعه في منتصف ميدان سباق الخيل في عهد النبي ﷺ اكتسب اسم مسجد السبق ، وكانت الخيل المضمرة تسابق من الحفياء إلى المصلى : والحفياء السهل الواقع بغربي جبل أحد ، وأما الخيل غير المضمرة فكانت تسابق من ثنية الوداع الشمالية حتى المصلى .

ولما جاءت قبيلة أشجع مهاجرة قالوا يا رسول الله جئنا لنقرب منك فلا نحاربك وكرهنا حرب قومنا فأنزل الله فيهم : ﴿ **أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم**

فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴾[1] .

وفي جنوبي جبل سلع شعب ينحدر سيله إلى السيح (بطحان) وفيه الآن المدرسة الناصرية الابتدائية التي أقيمت في مكان المجزرة التي وجدت بناءها قائماً إلا أنه لا يذبح فيها ، وبوابة سور هذه المدرسة الحديدية هي نفس البوابة للمجزرة فنقلت إلى المدرسة ، وقيل إن هذا الشعب تصارع فيه عمر رضي الله عنه مع عفريت جني اعترض له وطلب منه المصارعة فصرع الجنيَّ وفي المرة الثالثة قال : يا عمر أشهد أنك أقوى من كل جنيّ لأن الجن انتدبوني لمصارعتك لأنني أقواهم والله أعلم بصحة ذلك .

وفي سفح جبل سلع الغربي وعلى يمين الذاهب إلى مساجد الفتح يوجد كهف بني حرام في نهاية شعبهم الشرقية ، وكان النبي ﷺ يبيت فيه محروسًا أيام غزوة الخندق لأنها كانت قبل أن يترك الحراس ، وكان في مكان هذا الكهف معلم عليه قبةٌ صغيرة جدًّا وقد أدركت هذا المعلم وكان عليه حارس من شرطة الحسبة يحول بين الناس وبين القيام بالبدع ثم أزيل المعلم بعد ذلك نهائيًّا وفي شعب بني حرام الذي يعرف الآن بالعماري نسبة إلى رجل كان يمتلك أرضه في عصرنا وباعها على الساكنين ، وفي هذا الشعب يوجد مسجد بني حرام الذي لا يزال معروفًا وجدد وتقام الآن فيه الصلوات الخمس بإمام

---

(١) سورة النساء الآية ٩٠ .

من وزارة الحج والأوقاف ، وهذا المسجد واقع في محل دار جابر بن عبد الله بن حرام رضي الله عنهما التي وقعت فيها معجزة تكثير الطعام المذكورة في غزوة الخندق ، وإلى هذا الشعب انتقل بنو سلمة في عهد عمر رضي الله عنه وقد كانوا طلبوا من النبي ﷺ أن ينتقلوا من منازلهم في القبلتين من أجل بعدهم عن المسجد النبوي الشريف ولأن السيل ربما يحول بينهم وبين صلاة الجمعة فقال لهم : « **يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم** » ولعل عمر رضي الله عنه أذن لهم في الانتقال من حرتهم إلى بلاد بني حرام لأن بيوتهم كانت مكشوفة للعدو ومعرضة لغاراته في عهد الرسول ﷺ ، أما في عهد عمر رضي الله عنه فلا خوف من الغارات وأصبح الدين في الجزيرة العربية كله لله ، وقد تغنى الشعراء بجبل سلع فمن ذلك قول أحدهم :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بسلع ولم تغلق عليّ دروب

وقال آخر :

ولحيّ بين العريض وسلع حيث أرسى أوتاده الإسلام
كان أشهى إليّ قرب جوار من نصارى في دورها الأصنام

وقال آخر :

ألا قالت أمامة بعد دهر وحلو العيش يذكر في السنين
سكنت مخايلاً وتركت سلعًا شقاء في المعيشة بعد لين
فقلت لها ذببت الدين عني ببعض العيش ويحك فاعذريني
وغرب الأرض أرض به معاشاً يكف الوجه عن باب الضنين

الحـــــرة الغربيـــة

الحرة : الحجارة السوداء مع ارتفاع عن السهل دون علوّ الجبل ، وتقع الحرة الغربية بغربي المدينة المنورة وكانت هذه الحرة يطلق عليها (حرة الوبرة) وتمتد من الشمال في ديار بني سلمة بالقبلتين إلى وادي رانوناء في الجنوب من غربي العصبة إلى الجنوب وتنقسم هذه الحرة إلى ثلاثة أقسام أساسية هي :

١ ـ حرة بني سلمة في منطقة القبلتين ، وفيها منازلهم ومقبرتهم التي ورد التنويه بفضلها في آثار نبوية ، وفي هذا الطرف من الحرة وقع تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام ، فقد ورد أنه ﷺ جاء يعزي أم بشر امرأة من بني سلمة مات ابن لها وعزمت عليه أن يقيل عندها هو ومن معه من أصحابه فذبحت له عناقًا (جفرة) وتغدى عندها فأدركته صلاة الظهر فقام يصلي هو وأصحابه في بيتها متوجهين إلى بيت المقدس وبعد قيامه للركعة الثالثة نزل عليه الوحي بتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام فاستدار ﷺ بوجهه إلى الجنوب واستدار أصحابه حتى صاروا خلفه ، فقد صلى نصف هذه الصلاة إلى بيت المقدس والنصف الآخر إلى بيت الله الحرام وقيل إن تحويل القبلة كان في المسجد النبوي ولعله الأشهر ، وبعد ذلك طلب بنو سلمة من أم بشر أن تبيعهم هذه الدار ليتخذوها مسجدًا لصلاة النبي ﷺ فيها فوهبتها لهم فبنوا فيه مسجدهم الذي أطلق عليه بعد مسجد بني سلمة اسم (القبلتين) الذي نزلت آية تحويل القبلة في مكانه وهي : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في**

السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ وحينئذ ضج اليهود بقصد التشكيك في دين الإسلام وقالوا لماذا يرجع محمد عن قبلته ، ما يريد محمد إلا مخالفتنا فأنزل الله تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**[1] ﴾ وقد كان في الجزء الشمالي من مسجد القبلتين محراب صغير في مكان موقف النبي ﷺ في الصلاة التي حولت فيها القبلة ، وأزيل هذا المحراب قبل أعوام ولعل ذلك بسبب ما يرتكبه العوام من المخالفات وقيل لي إن بعض الجهال وجد يصلي في هذا المكان متجهًا إلى جهة بيت المقدس .

٢ ـ القسم الأوسط من هذه الحرة يطلق عليه اسم حرة الوبرة وهو من العنابس غربًا إلى جبيلي الأصفرين شرقًا : وهما جبيلان لونهما أحمر متقاربان جدًّا يفصل بينهما ممر أصبح طريقًا معبدًا ، ولما ازدحم من حولهما البنيان قامت أمانة المدينة بالتكسير لأطرافهما بقصد إيجاد وتوسعة الطرق وهو شيء جميل إلا أننا نرجو أن لا يأتي هذا التكسير على الجبيلين فيختفيان ، وهذان الجبيلان لا يزالان معروفين باسمهما مع تغيير عاميّ (لصفيرين) أي الأصفرين ، وفي الجهة الجنوبية والشرقية لهما توجد منطقة النقا وهي مكان اعتدال هذه الحرة وتتميز بنقاء جوها

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٢

وعذوبة ماء آبارها فتوجد فيها أرض سعد بن أبي وقاص التي يشتمل سور محطة السكة الحديدية على معظمها ، وبداخل هذه السور ومن جهته الجنوبية يوجد مسجد السقيا ذو القباب الثلاث والوسطى أكبرها ، وبني هذا المسجد في مكان قبة الرسول ﷺ حين خروجه لغزوة بدر واستعرض جيشه ثم وعده الله إحدى الطائفتين (العير أو النفير) وهذا المسجد مرمم الآن ونظيف وفيه إمام من قبل وزارة الأوقاف ، وإلى الشرق من هذا المسجد كانت توجد بئر السقيا التي كان يستعذب منها لرسول الله ﷺ ، ويوجد الآن في هذه المنطقة من السقيا مبنى محطة السكة الحديدية الذي تقرر جعله مقرًّا لإدارة آثار المدينة ويوجد بها مسجد العنبرية وليس أثريًّا بل بناه العثمانيون وفي قبلته انحراف وعُدلت من داخل المسجد ، وفي هذه المنطقة أيضًا ثانوية طيبة والمجمع الحكومي ويبدأ منه جسر يتجه إلى العوالي شرقًا ، وإلى الشرق من المجمع الحكومي حتى عدوة بطحان الغربية يسمى بالمنحنى كما كان يقال للقادم جاء إلى النقا فالمنحنى والمصلى (أي مسجد الغمامة) ويقع في منطقة المنحنى جسر العنبرية ومنزل السيد حبيب مدير الأوقاف بالمدينة ومبنى البريد والمواصلات المركزي ، وكانت منطقة السقيا في العهد النبوي وإلى الغرب قليلاً منازل بني المصطلق بعد هجرتهم إلى المدينة وبنو المصطلق رهط أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها وكانت أبرك عرس على قومها حيث أطلق المسلمون سبايا قومها

وهم نحو مائة بيت لما علموا أنهم صاروا أصهارًا للنبي ﷺ ، كما كانت منطقة المنحنى منازل المهاجرين من مزينة .

أما بئر السقيا التي ذكرنا أن النبي ﷺ كان يستعذب لها من مائها فإنها اندفنت ومرّ فوقها شارع جدة وكانت تقع شرقي سور السكة الحديدية بعد أن تتجاوز مسجد العنبرية وفي السقيا دعا النبي ﷺ للمدينة بأن يبارك الله في مدها وصاعها ، وذلك في أرض سعد بن أبي وقاص التي أصبح الكثير منها يشمله سور السكة الحديدية الآن كما تقدم .

وفي الجزء الغربي من منطقة النقا كان النبي ﷺ يقيم حدود القتل وقد قتل فيها العرنيين الذين استوخموا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا في إبله يشربون ألبانها وأبوالها فلما سمنوا غدروا براعيه كما سيأتي في الكلام على فيفاء الخبار ، وفي جنوبي منطقة النقا إلى الغرب قليلاً يوجد جبيل أحمر اللون عليه خزان ماء تابع لمصلحة مياه المدينة وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلي والإسلامي ، وإلى الغرب منه وعلى يسار طريق جدة يوجد مسجد المنارتين وقد قيل إن النبي ﷺ صلى في مكانه فلهذا بني ثَم مسجد وهو الآن جديد البناء وجميل وكبير تقام فيه الصلوات الخمس وحوله يمينًا ويسارًا حيٌّ حديث في منحدر الحرة على العقيق قبيل بئر عروة ، وعلى الشمال من هذا الحي توجد أطلال قصر المراجل وقصر عنبسة وتعرف منطقة ذلك بالعنابس ، وإلى الجنوب الشرقي في القسم الأخير من هذه الحرة توجد :

٣ - الحرة الجنوبية وتعرف بحرة بني بياضة وهم حيّ من الأنصار سميت بهم تلك الناحية من الحرة وهي الناحية التي أوقف فيها الصحابي الجليل عبد الله بن عبدالله بن أبيّ والده عبد الله بن أ بيّ في رجوع النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق وذلك بسبب قوله حين تخاصم غلام من المهاجرين وآخر من الأنصار وسمع ذلك عبدالله بن أبي فقال : عجيب ! سمن كلبك يأكلك والله لو منعنا عنهم فضلات طعامنا لتفرقوا عن صاحبهم (يعني رسول الله ﷺ) فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل . ويعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ، فلما وصل الرسول ﷺ المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبيّ في طريق أبيه مصْلتًا سيفه وقال لأبيه والله لا تدخل المدينة حتى يأذن لك الرسول ﷺ وحتى تعرف من الأذل أنت أم رسول الله ﷺ ؟ وأوقفه في حرة بني بياضة في وجه النهارحتى علم بذلك رسول الله ﷺ فأرسل إليه أن خَلِّ سبيل والدك فخلّى سبيله وجاء إلى الرسول ﷺ وقال يا رسول الله إن أبي بدا نفاقه وأظهر ما قد علمت فإن كان مقتولاً فدعني أقتله فإني أخاف أن لا أطيق رؤ ية قاتله يمشي على الأرض ، فقال له رسول الله ، رسول الرحمة والعفو ﷺ : لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه . ثم أوصاه بمصاحبة أبيه في الدنيا بالحسنى ، هذه الحادثة وقعت في حرة بني بياضة وهي الطرف الجنوبي للحرة الغربية .

ما قيل من الشعر في أماكن الحرة الغربية :

قال الحسين بن علي رضي الله عنهما في ديار سكينة وأُمها جنوبي الأنعم :

لـعـمـرك إنـي لأحـب دارًا تحـل بهـا سكينـة والـربـاب

وقـال جريـر :

حيّ الـديـار بعـاقـل فـالأنعم كالوحي في رقّ الزبور المعجم
طلل تجـرُّ به الـرياح سـوافيًـا والمدْجنات من الشمال المرزم

وقـال عبد الأعـلى :

بـأن رياض العـرصتين تـزينت وأن المصلى والبلاط على العهد
وأن غـديـر الـلابتين ونبتـه له أرج كالمسك في عنبر الهند

وقـال إبراهيم الزبيري :

ليت شعـري هل العقيق فسلع فقصـور الجمـاء فـالعـرصتـان
فـإلى مسجد الـرسول فمـا حا ز المصلى فجـانبـا بـطحـان
فبنـو مازن على العهـد أم ليـ ـس كعهدي في سالف الأزمان

وقـال آخـر في بئر عروة :

وهل نهلة من بئر عروة عذبـة أداوي بـهـا قلبًـا بـراه أوام

وادي العقيـــق

يقع وادي العقيق غربي المدينة المنورة حيث تنتهي إليه جرتها الغربية ، وبدايته من الجنوب حرة بني سليم على بعد (٢٢٠) مائتين وعشرين كيلو مترًا تقريبًا ، وينتهي مسماه في الغابة شمالي المدينة المنورة بنحو (٢٨) ثمان وعشرين كيلو مترًا تقريبًا حيث يوجد الآن سد ضخم بعد الخُلَيل ، والصحيح أن أول من سماه عقيقًا تبّع ملك اليمن لما رآه وقد شق الحرة وعقها فسماه عقيقًا ، وتصب فيه أودية كثيرة كلما مر بجبال أو مرتفعات في طريقه إلى المدينة ، والعقيق واد مبارك كما ورد في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « **أتاني آت من ربي عز وجل فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة** » وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ينيخ بالوادي ويتحرى معرس رسول الله ﷺ وهوأسفل المسجد الذي ببطن الوادي بينه وبين الطريق وفيه مسجد المحرم «الميقات» الآن ومنه إحرام حاجّ المدينة والمعتمرين وهو الآن في وسط قرية ذي الحليفة «أبيار علي» وقيل في سبب تسمية ذي الحليفة بهذا الاسم الجديد أن عليًّا رضي الله عنه سكن هناك في أيام الفتنة والبغي على عثمان رضي الله عنه ورفض عثمان أن يُقتل الباغون عليه فسكن عليّ هناك وإن كان خلف الحسن والحسين حارسين لعثمان رضي الله عن الجميع .

ومسجد المحرم تعهده الخلفاء بالبناء والتجديد منذ عمر بن عبدالعزيز وحتى المملكة العربية السعودية التي بنته بناء حديثاً وجميلاً وفرشته بالسجاد

الفاخر وجعلت فيه ثريات الإضاءة وجعلت له ما يلزمه من مرافق : دورات مياه ـ طرق مرصوفة ـ فجزاهم الله في الدنيا بالحفظ والتوفيق وفي الآخرة بنعيم الجنة .

وهواء وادي العقيق صاف ومنعش تشعر بذلك عندما تهبط إليه ، غير أني خرجت في أمسيات إلى عدوتيه فيما بين سد عروة والجامعة الإسلامية فوجدت بحيرات متعفنة وقمامات بالأكوام وجيفًا منتنة وهذا شيء لم يكن معروفًا بالعقيق منذ ثلاثين عامًا عرفته فيها فنرجو من أمانة المدينة وفي عصرها النشط عصر عمر قاضي أن تحول عدوة العقيق إلى منتزهات وحدائق واستراحات فالجو ثَمّ مناسب لذلك خصوصًا وأن الجماوات تجود بالظل عصرًا فيلتقي الظل والأزهار والهوى الطلق فتتم الراحة يا أمانة المدينة .

عرصتا العقيق

لوادي العقيق عرصتان معروفتان منذ القدم وقد وردت فيهما آثار منها : « **نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام**[1] » وهاتان العرصتان هما :

١ ـ العرصة الصغرى وتقع بسفح الجماء وتمتد إلى قصر سعيد بن العاص الذي بداخل القصر الملكي اليوم وتقع فيها الجامعة الإسلامية والقصر الملكي وفندق شيراتون ومستشفى الملك فهد المركزي وإلى مدينة الحجاج وجامعة الملك عبدالعزيز غربًا ولتوضيح أهمية هذه العرصة

(١) تحقيق النصرة ص ١٨٢ .

نورد قصة في قصر سعيد بن العاص : فإنه لما دنا أجله (وكان سيدًا فاضلاً سخيًّا) قال لابنه عثمان : إذا أنا مت فعليّ دين ثلاثة ملايين أرجو أن تُقضى عني من خالص مالي . فقال عثمان لوالده لا يوجد من خالص مالك ما يكفي لذلك فقال سعيد لابنه إذا ذهبت إلى أمير المؤمنين معاوية وعرضت عليه القصر ودوره ومزارعه سوف يشتريها منك بما تريد لأنه يعرف نفاسة هذه الأرض . فلما توفي الشيخ سعيد ذهب ابنه عثمان إلى معاوية بالشام فلما قيل له عثمان بن سعيد يستأذن قام فزعًا وقال توفي والله سعيد فأذن له فلما دخل وسلم أخبره بما على الشيخ سعيد من الدين فقال معاوية عليّ سداد دينه . فقال عثمان أوصى أن يقضى دينه من خالص ماله . فقال معاوية رضي الله عنه : اشتري منك قصره بمليون ودور القصر بمليون ومزارع القصر بمليون فوافق عثمان فقال معاوية أسرع يا كاتب بالدواة والقلم واكتب قبل أن يندم الرجل فلما أعطاه المال خرج يودعه لم يمض معه كثيرًا وقيل : إنه رجع عنه مخافة أن يندم ، وهكذا فإن معاوية رضي الله عنه وأمثاله ممن يعرف المدينة يعرف نفاسة هذه الأرض وقيمتها . وأقطع النبي ﷺ أكثر العقيق لبلال بن الحارث المزني ، وأكثر الصحابة وأبنائهم اشتروا منه .

ويعبر فوق العقيق اليوم جسور حديثة :

١ ـ الأول جسر على ملتقى الأسيال الكبير غربي جبل أحد .

٢ ـ جسر طريق تبوك الدولي .

٣ ـ جسر القصر الملكي وبينه وبين جسر الجامعة الإسلامية حدائق جميلة نرجو أن تكون شواطىء العقيق كلها من هذا النوع .

٤ ـ جسر الجامعة الإسلامية ذات المباني والحدائق الجميلة .

٥ ـ جسر بئر عروة وأسفل منه مبنى السد الضخم الذي أفاد آبار المدينة وغذى عيونها .

وحبذا لو سميت هذه الجسور بأسماء أثرية مما في العقيق وعرصاته ، أو بالعقيق أرقامًا مثل : جسر العقيق ١ ، جسر العقيق ٢ ، حتى يعرف المار عليها أنه يعبر هذا الوادي المبارك .

قصـور العقيـق الأثـــرية

لقد ازدهر وادي العقيق في عهد الصحابة والتابعين ازدهارًا عظيماً وأصبحت الدور والقصور والحصون والمزارع تحف بهذا الوادي من الشرق والغرب حتى شبه البعض سيل وادي العقيق في وسط الخضرة بسبيكة من فضة بيضاء تتعرج يمينًا ويسارًا ، وسأحاول أن أسلسل قصوره ومزارعه بقدر الاستطاعة وسأبدأ من جنوبه الشرقي من مزارع أبي هريرة رضي الله عنه في سهل الجثجاثة غربي ثنية الشريد وهي عقبة الحرة جنوبي منزل الشيخ الحافظ ويكثر في هذا المكان شجر العشرج وثم آثار دور وحصون وآثار آبار كانت منازل الحي الذي كان فيه دور ومزرعة أبي هريرة وأبنائه ، وإلى الشمال يقع

قصر عروة بن الزبير رضي الله عنه ولا تزال أطلال ذلك شرقي بئر عروة بينه وبين مسجد المنارتين ، وكان عروة بن الزبير لما سكن هناك قال له بعض الصحابة لقد جفوت المدينة فقال بل خشيت أجفوها فقد رأيت الفساد كثر فأحببت أن أعتزل ، ثم تتابع إلى الشمال قصور لبعض بني أمية التي لا تزال أطلالها تشبه الكثبان فمنها قصر المراجل إلى شمال طريق جدة إلى مكة وإلى الشمال من ذلك قصر سكينة بنت الحسين رضي الله عنه وأمها الرباب بنت امرىء القيس الكلبية ففي دار سكينة الشريفة الأديبة الشاعرة يقول الحسين رضي الله عنه :

لعمرك إني لأحب دارًا تحل بها سكينة والرباب

ثم قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان رضي الله عنه وقد عرف المكان باسم العنابس حتى اليوم وهو مكان قصر ومزارع ودور عنبسة ثم آله من بعده ثم قصور العرصة الكبرى من حول بئر رومة (بئر عثمان) ولا يعرف عنها إلا أنها كانت هناك وأن تلك الأطلال والكثبان هي أطلالها .

أما القصور والمزارع التي كانت بغربي العقيق فالمعروف من آثارها آثار قصر سعيد بن العاص وقد بسطت الكلام عليه في موضوع العرصتين الآتي . وإلى الجنوب في سفح جماء أم خالد كانت تمتد قصور ومزارع آل سعيد بن العاص ، منها : القرائن وهي دور ومزارع يقع في مكانها مزارع اليوم . وإلى الغرب من جسر سكة الحديد التركي الذي لا زال معظمه موجودًا ، وإلى الجنوب قليلاً تقع قصور محمد بن عيسى الجعفري ويزيد بن عبد الملك بن

المغيرة ، وإلى الجنوب وفي سفح جبل جماء تضارع تقع قصور طاهر بن يحيى ثم دور عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان رضي الله عنه وإلى جنوب ذلك يقع قصر عمه عاصم بن عمرو بن عثمان رضي الله عنه ثم قصر أخيه عنسبة ثم قصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن عثمان رضي الله عنه ، ويفصل بين هذه الدور وبين مزارع أبي هريرة مجرى وادي العقيق بعد ملتقى سيل المكيمن .

ومن خلال سردنا لهذه القصور والمزارع عرفنا أن غربي العقيق ثلاثة جبال غير شاهقة يتفيأ ظلها بالعشي على العقيق وتسمى هذه الجبال بالجماوات وهي بالترتيب من الجنوب :

١ ـ جماء تضارع وينحدر سيلها على قصر عاصم الذي يقع بالقرب منه مقر شركة صفا .

٢ ـ جماء أم خالد وقد وجد على قمة هذا الجبل قبر قديم وعند رأسه كتابة قديمة لم يعرف الصحابة قراءتها حتى جاءهم رجل يماني فعرف قراءتها لأنها كانت بالخط الحميري .

٣ ـ وإلى الشمال جماء العاقل أو العاقر وقد وجد عليها أيضًا قبر قديم وعند رأسه حجر مكتوب عليه : (هذا قبر الأسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى إلى أهل يثرب ليؤمنوا بالله ويعبدوه) وأما القبر الأول فكان المكتوب عنده (هذا قبر عبد الله رسول نبي الله داود إلى أهل هذه القرية ليعبدوا الله وحده لا شريك له) وظل هذان الحجران موجودين ردحًا

من الزمان ثم اختفيا بعد القرن الخامس الهجري ، وتتفيأ ظلال الجماوات بالعشي على العقيق فيصبح منتزهًا طبيعيًّا وبالخصوص في أيام المطر وتدفق سيول العقيق .

وقد ذكر الزين المراغي أن الجماوات أربع وأن كل جماء سميت باسم من سكنها ولعل جعله لها أربعًا سببه اعتقاد أن العاقل اسم الجماء والعاقر اسم الأخرى ولكن الأكثر على أنهما مترادفان ، والاسم واحد لجماء واحدة .

الشعـــراء والعقيـــق :

وقد تغنى الشعراء بوادي العقيق واشتاقوا وشوقوا المحبين ومن اغتربوا عن المدينة على مرّ الأزمان ، ووصفوا في شعرهم هواءه النقي وقصوره المنيفة فمن ذلك قول الشاعر :

ليت شعـــري وأين مـن ليـت ... أغـــلى الـعهـد يـلبـن فـبـــرام
أم كعهـدي العقيق أم غيـرتـــه ... بـــعـــدي الحـــادثـــات والأيـــام
ولحـيّ بـين العـرصتـــين وسلع ... حيث أرسـى أوتـــاده الإســـلام
كـان أشهى إليّ قـرب جـــوار ... من نصارى في دورها الأصنـام

وقال آخر في قصر سعيد بن العاص ونخيل العصبة والجماء بينهما وأن ذلك أشهى إلى نفسه من أبواب دمشق وحدائقها :

القصـر فالنخـل فـالجـماء بينهـما ... أشهى إلى النفس من أبواب جيرون
إلى البـلاط فما حـازت قـرائنـه ... دور نزحن عن الفحشاء والهون

وقـــال آخـــر :

أهـوى البلاط فجـانبيـه كليهـما ... فـالعـرصتـين إلى نخيـل قبـاء

وقـــال آخـــر :

لم أنس بـالعـرصتـين مجلسنـا بـالسفـح بـين العقيق والسنـد

وقال آخر وقد ذكر مواضع كثيرة في المدينة المنورة يفضلها على حمص وحدائق الشام :

لـعمـرك لـلبـلاط وجـانـبـاه وحـرة واقـم ذات المـنـار
فـجـماء العـقيـق فـعـرصـتـاه فمفضي السيل من تلك الحرار
إلى أحـد فـذي حـرض فمبنى قبـاب الحي من كنفي صـرار
أحب إليّ من ريـح وبصـرى بـلا شـك عـلي ولا تـمـار
ومن قـربـات حمص وبعلبـك لـو أني كنت أجعـل بـالخيـار

وقال أحيحة بن الجلاح في الجماوات :

إني والمشعـر الـحـرام ومـا حجت قـريش لـه ومـا نحـروا
لا آخـذ الخـطة الـدنيـة مـادا م يـرى من تضـارع حجـرُ

المكيـــمن

المكيمن بالتصغير جبيل أحمر تخاله عدة جبيلات تفصلها عن بعضها ثنيات وممرات لأودية فيها ، ويفصل هذا الجبيل عن الجماء واد كبير وعليه جسر ضخم يمر من فوقه طريق جدة المارّ بذي الحليفة ويصب هذا الوادي في العقيق قبيل بئر عروة من غربي ثنية الحرة الغربية المطلة على العقيق والتي كانت عندها

منازل أبي هريرة وأولاده ، وفي مصب هذا الوادي كانت تقع مزارعهم ، ويأتي سيل المكيمن من الجبال الغربية مارًا بسهل فسيح هو سهل الجثجاثة وكان هذا السهل حمى وكانت إبل الرسول ﷺ ترعى فيه أحيانًا إذا أخصب وفيه غدر العرنيون الذين استوخموا المدينة وطلبوا من النبي ﷺ أن يأذن لهم في الخروج في الإبل ليشربوا من ألبانها وأبوالها فلما خرجوا وسمنوا قتلوا راعي الرسول ﷺ واستاقوا إبله ، فجيء بهم إلى النبي ﷺ فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم وتركهم في الحرة الغربية من جهة المنارتين يستسقون فلا يسقون كما فعلوا براعي رسول الله ﷺ وهم الذين أنزل الله فيهم قوله : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض . .** ﴾[1] وقد عملت أمانه المدينة متنزهًا في وادي المكيمن وعملت له مدرجًا على جبل المكيمن وهو شيء جميل فياليت هذا المنتزه سمي باسم مكانه الأثري (منتزة المكيمن) وقد ذكر المكيمن في أثر نبوي (إذا سال المكيمن فذلكم الربيع فذلكم الربيع) . وقد ورد ذكره أيضًا في شعر عدي بن الرقاع قال :

أطربت أم رفعت لعينك غدوة بين المكيمن والزجيج حمول
رحْلاً تراوحها الحداة فجسها وضح النهار إلى العشي قليل

وقد ورد في شعر حفيد حسان بن ثابت مكبرًا (المكمن) في قوله :

غدا مكمن الجماء من أم عامر فسلع عفا منها فحرة واقم

---

(١) المائدة الآية ٣٣ .

البيـــداء وذات الجيـــش

البيـــداء الصحراء الواسعة قال الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والمراد بالبيداء هنا أرض واسعة يصعدها الذاهب من محرم المدينة إلى مكة وهي مستوية وتقع غربي ذي الحليفة وهي بين ذي الحليفة وذات الجيش وقد ورد ذكر البيداء في الحديث النبوي (إن قومًا يغزون المدينة فإذا نزلوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا بيداء أبيديهم) .

وقد ورد ذكرها في حديث عائشة رضي الله عنها في سبب نزول آية التيمم أنها قالت «حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش . . . » .

وهذا يعني أن نهاية ذي الحليفة هي بداية البيداء (وفيها اليوم محطة تلفاز المدينة المنورة) وإن نهاية البيداء هي ذات الجيش وذات الجيش سهل فسيح بعد البيداء يشقه واد يسمى بهذا الاسم ، وعن يمينه جبيلات حمر غير شاهقة غربي جسر تقاطع طريق جدة مع طريق مدينة الحجاج المتصل بطريق الهجرة السريع ، وبعد الجسر مركز أمن ، وبعده بمائة متر تقريبًا يوجد الجسر القائم على وادي ذات الجيش الذي نزل به النبي ﷺ في رجوعه من غزوة بني المصطلق التي كانت بالمريسيع قرب قديد على بعد ثلاث مراحل من مكة فأدركته صلاة الفجر ولا ماء عنده وقد تأخر عن الرحيل ليلاً ليصل إلى ذي الحليفة قبل طلوع الفجر بسبب فقد قلادة لعائشة رضي الله عنها فلما طلع

الفجر ولا ماء جاء الصديق إلى عائشة رضي الله عنهما وجعل يضربها وما يمنعها من التحرك إلا أن رسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذها فنزل عليه الوحي برخصة التيمم قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبًا فاطّهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** . . ﴾ فعند ذلك قال الصحابة : والله ما وجدنا فيكم يا آل أبي بكر إلا خيرًا ، فرضي الله عن الجميع .

وقد ورد ذكر ذات الجيش في شعر العرب قال الشاعر :

لليلى بذات الجيش دار عرفتها وأخرى بذات البين آياتها سطر
كأنهما م الآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر

وقالت امرأة مات ولداها ودفنا بالبيداء :

فلله جاراي اللذين أراهما قريبين مني والمزار بعيد
مقيمين بالبيداء لا يبرحانها ولا يسألان الركب أين يريد
أمر فأستقري القبور فلا أرى سوى رسم أحجار عليه لبود
كواتم أسرار تَضَمَّنَ أعظما بلين رفاتا حبهن جديد

وقد ذكرت البيداء وذات الجيش لأن بعض روايات حدود حرم المدينة تذكر البيداء وذات الجيش في الحدود الغربية الجنوبية لحرم المدينة وهذه الرواية هي رواية (بريد في بريد) التي رواها مالك في الموطأ كما تقدم .

وقال عروة بن أذينة في ذات الجيش :

كاد الهوى بذات الجيش يقتلني لمنزل لم يهج للشوق من صعَب

وقال فيه جعفر بن الزبير بن العوام :

لمن ربع بذات الجيـ ـش أمسى دارسًا خلقا
كلفت بهم غداة غدوا ومرت عيسهم حزقا
تنكر بعد ساكنه وأمسى أهله فرقا
علونا ظاهر البيدا ء والمحزون من قلقا

جبل عير

عير بفتح العين بلفظ الحمار الوحشي جبل جنوبي المدينة المنورة وهو حد الحرم من الجهة الجنوبية ، وقد مر النبي ﷺ شرقيه عند قدومه مهاجرًا ، وقد ورد ذكره في الحديث النبوي « أن النبي ﷺ حرم ما بين عير وثور» وورد أيضًا « أحد جبل يحبنا ونحبه وعير جبل يبغضنا ونبغضه»[1] وورد أيضًا أنه على ترعة من النار ، وورد أيضًا أن جبريل عليه السلام أمر الجبال فطأطأت رؤوسها إلا عيرًا فأزاحه جبريل بجناحه يمينًا كما تقدم في وضع النبي ﷺ قبلة المسجد النبوي ، وقبلة المدينة أن تجعله على منكبك الأيمن في الصلاة ، وقد ورد ذكر عير في شعر أبي طالب في قوله :

أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بشر أو بمحق بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ومن مفتر في الدين مالم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرًا مكانه وعيرًا وراقٍ في حراء ونازل

وقد يقول قائل : إن أبا طالب من أهل مكة والجبال التي ذكر هي من جبال مكة فلماذا يذكر عيرًا ؟ والجواب إن أبا طالب وغيره ممن يسافر في التجارة إلى الشام كانوا يمرون بالمدينة ويعرفون من جبالها ما يدل على قربها مثل أحد وعير ، وينحدر وادي رانوناء من سفوحه الشرقية وبعض شعابه من الحرة التي بشرقيه ثم تتجمع تلك السيول عند سد رانوناء بغربي العصبة في وسط حرة بني بياضة .

خاتمة في جهود المملكة العربية السعودية في ازدهار المدينـة المنورة وتطورها

لقد عملت هذه المملكة العربية المسلمة على تطوير المدينة روحيًّا وماديًّا فازدهرت ازدهارًا عظيماً لم تشهد له نظيرًا ويتجلى ذلك عند المقارنة بين حاضرها المزدهر وماضيها غير البعيد جدًّا الذي كانت فيه المنازل عتيقة والدروب ضيقة وحيث كان الداخل فيها لا مخرج له إلا مرورًا بشارع المناخة ، أما الآن فالمداخل والمخارج لها متعددة وكلها ميادين عظيمة وفسيحة ذات اتجاهات ومسارات تتخللها الجزر والحدائق والمنتزهات ذات الأحجام المختلفة مع النظافة التامة التي تسر الناظرين وعن يمينها وشمالها العمارات الفخمة السامقة كالجبال السافحة والفلل ذات الأزر واللباس من الحجارة المصنوعة ، وإلى جانب هذا المستوى الحضاري العمراني توجد كافة المرافق الحيوية والضرورية على نطاق واسع ففي مجال الصحة توجد ست وثلاثون ما بين مستشفى ومركز صحي حكومي ومستوصفات أهلية ومراكز للهلال الخيري ، ويتلقى المريض مواطنًا كان أم وافدًا العلاج مجانًا في مستشفيات الحكومة ومستوصفاتها ومراكزها الصحية ، كما توجد صيدليات تزيد على سبع وأربعين صيدلية غير الصيدليات التابعة لمصحات الحكومة ، كما توجد العيادات الخاصة وهذا المستوى الرفيع في مجال الصحة ترك أثره واضحًا في حياة مجتمع المدينة المنورة .

وفي مجال البريد يوجد أكثر من عشر شعب بريدية زيادة على البريد المركزي وهذه الشعب موزعة في نواحي وأحياء المدينة وتعمل بجد ونشاط تصل قمته إلى البريد الممتاز الذي تمتد خدمته إلى أربع عشرة مدينة في داخل المملكة وإلى أكثر من ثلاثة عشر قطرًا ما بين عربي وغير عربي ، وفي مجال الهاتف والبرق توجد مراكز تعمل باستمرار تزيد على خمسة مراكز أساسية للبرق ترسل إلى الداخل والخارج ، وهذه المراكز منتشرة في نواحي وأحياء المدينة ، أما الهاتف فتوجد له مراكز دولية تزيد على ثلاثة والاتصال بالعالم الخارجي عن طريقها ممتاز وميسر علاوة على مراكز هواتف العملة الموجودة في كل طريق وعند كل بوابة لعمارة أو مؤسسة ، وفي أماكن التجمع في الطريق كالمواقف وأبواب المساجد توجد منها شبكات متعددة لا تجعل من يرغب في الاتصال أن يضيق صدره أو يعيل صبره وفي مجال تبادل وتبديل النقد فإنه يوجد أكثر من خمسة وعشرين بنكًا ومصرفًا وشركة ومؤسسة صرافة .

كما يوجد بالمدينة المنورة أكثر من ثلاثة وأربعين فندقًا وعلى درجات مختلفة تناسب المستوى الاقتصادي لكل زائر ونازل ، وزيادة على ذلك الغرف المفروشة الكثيرة جدًّا والتي يرغبها مفضلو الفراش العربي وأسعارها مناسبة بصفة عامة وفيها الخدمات اللازمة لمثلها مع توفر الماء والكهرباء والأمن المريح .

وفي مجال الأمن (والأمن تحتاجه الحضارة) توجد مراكز أمن نشطة تزيد على اثني عشر مركزًا للشرطة في مجالات شتى من مجالات الأمن وزيادة على ذلك

توجد الدوريات الأمنية التي لا يخلو منها طريق في أي وقت من الأوقات .

ومن الناحية الروحية فتوجد فيها المراكز العلمية ذات المستوى العالي مثل مدارس تحفيظ القرآن والمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية مثل الجامعة الإسلامية وفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وفي الحقيقة يمكن أن نقول إن جميع مدارس المملكة وجامعاتها إسلامية إذ مناهج المواد الدينية لها نصيب الأسد في كل مدرسة ومعهد وجامعة وفي مجال المساجد فإنه يوجد بالمدينة أكثر من مائتين وخمسة وسبعين مسجدًا تابعًا لوزارة الحج والأوقاف التي وفرت لها الأئمة والمؤذنين والخدم ودورات المياه والفراش النفيس والتكييف الجيد وغالبًا وفرت أيضًا سكنًا للإمام وآخر للمؤذن بجوار المسجد مع المرتبات الجيدة التي جعلت المتعلمين والجامعيين وغيرهم يشاركون في إمامة وعمارة المساجد على نطاق واسع وتوجد مساجد أخرى أشادها المحسنون من المواطنين في طريق الالتحاق بوزارة الحج والأوقاف .

ومما يبعث على السرور في هذا المجال نشاط رجال الحسبة عندما يحين الأذان وينادون المسلمين إلى أداء الصلاة ولجدّهم لا يمكن لأي صاحب دكان أو معرض أو عمل أن يترك مكان عمله مفتوحًا ويجلس فيه حتى تنتهي الصلاة .

وتوجد بالمدينة مؤسسات صناعية أهمها مطبعة المصحف الشريف وهي أول مطبعة جمعت المصحف طباعة في البلد الذي جمع فيه خطًّا في عهد الصديق وفي عهد ذي النورين أخيرًا ، فلولا ما منّ الله به من رخاء وأمن على

يد المملكة العربية السعودية لما كان هذا الازدهار وإن وجد لكدره ما يكدر الحضارات الراقية في الشرق والغرب مما لم يسلم منه بر ولا جو ولا بحر ، وبالخصوص في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز الذي أولى مدينة الرسول ﷺ اهتمامًا عظيماً ففي عهده حزمت الأمور ونشطت رئاسة الحسبه (البلدية) حتى لم تترك حيًّا ولا شارعًا إلا جعلت له حديقة أو منتزهًا أو جزيرة ، ومن طلب المزيد فلينظر كتاب دليل المدينة للحجاج والزائر لعبيد الله كردي وعبد العزيز كابلي فقد أودعا كتابهما إحصاء وتوضيحًا مفيدًا جدًّا .

وفي الختام أحمد الله تعالى على التوفيق لإتمام ما أردت أن نشارك به في التعريف بمدينة الرسول ﷺ وآخر كلامي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

المراجـــع

اســـم الكتـــاب	اســـم الكتـــاب	اســـم الكتـــاب
١ ـ القرآن الكريم .	١٩ ـ وفاء الوفاء للسمهوري .	٣٤ ـ السيرة النبوية لابن الديبع اليماني .
٢ ـ صحيح البخاري .	٢٠ ـ عنوان النجابة فيمن مات بالمدينة من الصحابة .	٣٥ ـ نظم المغازي للمجلسي .
٣ ـ صحيح مسلم .	٢١ ـ الطبقات لابن سعد (الكبرى) .	٣٦ ـ عمود النسب للمجلسي .
٤ ـ موطأ الإمام مالك .	٢٢ ـ تاريخ الطبري .	٣٧ ـ الإتقان في علوم القرآن .
٥ ـ كتب السنن الأربعة .	٢٣ ـ الكامل لابن الأثير .	٣٨ ـ المحلي لابن حزم .
٦ ـ فتح الباري على البخاري .	٢٤ ـ الإصابة لابن حجر .	٣٩ ـ آثار المدينة للأنصاري .
٧ ـ النووي على مسلم .	٢٥ ـ الاستيعاب لابن عبد البر .	٤٠ ـ فصول من تاريخ المدينة لعلي حافظ .
٨ ـ الزرقاني على الموطأ .	٢٦ ـ الأزمنة والأمكنة للمرزوقي .	٤١ ـ القاموس المحيط .
٩ ـ عون المعبود على أبي داود .	٢٧ ـ معجم البلدان .	٤٢ ـ مختار الصحاح .
١٠ ـ تفسير ابن كثير .	٢٨ ـ المغانم المطابة .	٤٣ ـ كتاب الأمثال للزمخشري .
١١ ـ تفسير القرطبي .	٢٩ ـ عمدة الأخبار في آثار مدينة النبي المختار .	٤٤ ـ شُرَّاحُ الألفية مثل : ابن عقيل ـ الأشموني ـ طرق ابن بونة في بعض الإعرابات للأمكنة . وقد أخذت من مراجع أخرى ، مثل :
١٢ ـ أضواء البيان .	٣٠ ـ المدونة الكبرى .	٤٥ ـ أخبار المدينة لابن النجار .
١٣ ـ تفسير الألوسي .	٣١ ـ جواهر الإكليل على مختصر خليل .	٤٦ ـ إتحاف المؤمنين بتاريخ مسجد خاتم المرسلين .
١٤ ـ أحكام القرآن لابن العربي .	٣٢ ـ زاد المعاد لابن القيم .	
١٥ ـ السيرة النبوية لابن هشام .	٣٣ ـ السيرة النبوية للشيخ محمد بن عبد الوهاب .	
١٦ ـ تاريخ المدينة لابن شبة .		
١٧ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس .		
١٨ ـ تحقيق النصرة في معالم دار الهجرة للزين للمراغي .		

فهـــرس الموضوعـات

الموضـــــــــــوع	صفحة
تقديم لفضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	٣
مقدمـــة المؤلـــف	٧
أسماء المدينة	١٠
تفضيلها على غيرها	١٢
وعيد من أرادها بسوء	١٣
فضل المدينة المنورة	١٤
تحريم المدينة وحدود حرمها	١٦
المسجد النبوي الشريف	١٩
القبلة إلى الشام	٢١
تحديد مسجده ﷺ	٢٢
الروضة الشريفة	٢٤
بأي شيء بُنِيَ	٣٢
منبره ﷺ	٣٥
محرابه ﷺ	٣٨
بعض دور المهاجرين	٣٩
أساطين المسجد النبوي الشريف	٤٣
أسطوانـــة عائشة رضي الله عنها	٤٤
أسطوانـــة الوفود	٤٦
أسطوانـــة التوبة	٥٠
الأسطوانـــة المخلقة	٥٣

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
أسطوانـــة الســـرير	٥٤
أسطوانـــة الحرس	٥٥
أبواب المسجد في عهد النبي ﷺ	٥٦
أبوابه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٨
أبوابه في عهد عثمان رضي الله عنه	٥٩
أبوابه في بناء الوليد بن عبد الملك	٥٩
الخوخ التي كانت مفتوحة على المسجد	٥٩
الصفة وموقعها	٦٢
توسعة النبي ﷺ	٦٥
الحجرة الشريفة	٦٧
صورة ترتيب القبور الشريفة	٧٠
آداب الزيارة	٧١
حريق المسجد	٧٣
أحداث خطيرة	٧٦
زيادة النبي ﷺ في مسجـــده	٨٢
زيادة الفاروق رضي الله عنه	٨٤
كيف انتزع الملكية	٨٥
كيف وضع القبلة بعد الزيادة	٨٧
توسعة عثمان رضي الله عنه	٨٩
زيادة الوليد وسببها	٩٢
كيف بنى الوليد المسجد النبوي	٩٥
أول من جعل المنارة	٩٦
حكم دخول غير المسلمين للمساجد	٩٧

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
زيادة المهدي العباسي وسببها	٩٨
هدم المقصـــورة	٩٩
زيادة السلطان عبد المجيد	١٠٢
عمارة المملكة العربية السعودية	١٠٦
البقيـــع	١١١
المعروف من قبور السلف	١١٤
المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ	١١٧
مسجد قباء	١١٧
فضـــل الصـــلاة في مسجد قباء	١٢٠
ثنية الوداع	١٢٣
سبب تسمية ثنية الوداع	١٢٥
التحقيق في ثنية الوداع التي وردت في النشيد	١٢٦
وادي رانونـــاء	١٢٨
مسجد الجمعة	١٢٩
أول خطبة جمعة للنبي ﷺ	١٢٩
وادي بطحان	١٣١
كعب بن الأشرف ونقضه العهد	١٣٢
وادي بطحان وشعر العرب	١٣٥
يهود بني قينقاع	١٣٥
حصن كعب بن الأشرف	١٣٥
بئر غرس	١٣٥
ما جاء في بئر غرس	١٣٦
الحرة الشرقية	١٣٨

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
مواقع دور يهود	١٣٨
مسجد الفضيخ	١٤٠
طريق هذا المسجد اليوم	١٤٠
مسجد بني قريظة	١٤٤
وادي مهزور يمر في يهود بني قريظة	١٤٥
نقض يهود بني قينقاع العهد وإجلاؤهم ونهايتهم	١٤٥
كيف نقض يهود بني قريظة العهد ونهايتهم	١٤٦
اجتهاد الصحابة في صلاة العصر في الخروج إلى بني قريظة	١٤٦
موقع مسجد بني قريظة	١٤٨
مشربة أم إبراهيم عليه السلام	١٤٩
ملتقى سيل مهزور ومذينب وصرمة إلى بطحان	١٥٠
طريق مشربة أم إبراهيم اليوم	١٥٠
موقع مسجد بني ظفر	١٥١
مسجـــد الإجابة	١٥٣
العريض	١٥٤
موقع وقعة الحرة الأليمة	١٥٥
الفضل ما شهدت به الأعداء	١٥٦
ما قيل من الشعر في موقعة الحرة	١٥٧
وادي الشظاة ووادي قنـــاة	١٥٧
نار بالحجاز أضاءت لها أعناق الإبل في غزة	١٥٨
أين نهاية الحرة الشرقية ؟	١٥٨
أجمـــة الشيخين	١٥٩
أودية المدينة الرئيسة	١٥٩

الموضـــــــــــــوع	صفحة
الجهة الشمالية للمدينة	١٦١
المناصع	١٦١
بئر حـــاء	١٦٢
فيها معجزة تكثير الطعام	١٦٣
أبو طلحة وآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	١٦٤
بئر بضاعة	١٦٥
معنى تلقى فيها لحوم الكلاب	١٦٦
أين فاجأ النبي ﷺ ابن الصياد	١٦٦
أطم أبي دجانة	١٦٧
حصن حسان بن ثابت	١٦٨
أبو دجانة يعف عن قتل هند بنت عتبة	١٦٩
جبل المستندر	١٦٩
مسجد البحير (أبو ذر)	١٧٠
مسجد ذبـــاب	١٧١
ثنية الوداع الشمالية	١٧٢
كتابة عمر والصديق رضي الله عنهما على سلع	١٧٣
مسجد الشيخين	١٧٤
السبب الحقيقي لرجوع ابن أُبيّ عن غزوة أحد	١٧٤
جبل عينين (الرماة)	١٧٥
أين أصيب وأين دفن حمزة رضي الله عنه	١٧٦
التحقيق في جهة هجوم خيل المشركين على ظهور المسلمين	١٧٧
الزبية التي وقعت فيها دابته ﷺ	١٧٧
وموضـــع المهـــراس	١٧٨

الموضـــــــــــــوع	صفحة
فاطمة تضمد جراح أبيها عليه الصلاة والسلام	١٧٨
مسجد الفسح	١٧٨
جبل أحد وسبب تسميته	١٧٩
ما ورد في فضل جبل أحد	١٨٠
معنى (أحد جبل يحبنا ونحبه)	١٨١
الشعراء وجبل أحد	١٨٢
ملخص ما في أحد من الأماكن الأثرية	١٨٤
غزوة أحد	١٨٤
النساء والأطفال يغلقون أبواب البيوت أمام الفارين من معركة أحد	
وأسباب النكسة	١٨٧
صحابة يشبهون النبي ﷺ	١٨٧
مراحل معركة أحد	١٨٩
نتائج المعركة	١٩٠
الهدف من المعركة للطرفين	١٩١
نماذج من تضحيات الصحابة رضي الله عنهم	١٩٢
مفاخرة بين الأوس والخزرج	١٩٤
رجل دخل الجنة ولم يصل ولم يصم	١٩٧
كيف استشهد حمزة رضي الله عنه	١٩٨
(ويلك حول وجهك عن وجهي)	١٩٨
نهاية قاتل حمزة رضي الله عنه	١٩٩
مجتمع الأسيال الكبير وهؤلا (إضم)	٢٠٠
جبل ثور بالمدينة	٢٠٠
جبل تيـــأب	٢٠١

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
أين منزل غطفان في غزوة الأحزاب	٢٠١
طريق بني النضير بعد إجلائهم	٢٠١
الخندق ومن أشـــار به	٢٠٢
طول الخندق وتوزيعه على الصحابة	٢٠٢ ـ ٢٠٤
إسلام سلمان الفارسي وعتقه وولاؤه	٢٠٤
أين عسكر النبي ﷺ في أيام الخندق ؟	٢٠٥
استعارة المعاول من يهود في حفر الخندق	٢٠٥
عمله ﷺ بيده في حفر الخندق	٢٠٥
مكان الصخرة التي أعيت في حفر الخندق	٢٠٦
أسباب غزوة الأحزاب (الخندق)	٢٠٦
السعدان يرفضان إعطاء غطفان شيئًا من تمر المدينة	٢٠٦ ـ ٢٠٧
الرسول ﷺ يستجلي أمر قريظة	٢٠٧
ملخص عن غزوة الأحزاب	٢٠٨
محاولة خيل المشركين اقتحام الخندق	٢٠٩
الكافر نجس حيًّا وميتًا	٢٠٩
قتل علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود	٢١٠
هزيمة أهل الأحزاب المشركين	٢١١
حذيفة بن اليمان يأتي بخبر المشركين	٢١٢
لن تغزوكم قريش بعد اليوم	٢١٢
جبريل يستنفر إلى بني قريظة	٢١٢
لم يعب النبي ﷺ على أحد من الصحابة في اجتهادهم	٢١٢
أسر أبي لبابة لنفسه ونزول بني قريظة على حكم النبي ﷺ	٢١٣
من سيد الأنصار وسيد المهاجرين ؟	٢١٣

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
أين ذبح النبي ﷺ يهود بني قريظة	٢١٣
عدد من ذبح من بني قريظة	٢١٣
صحابي اهتز عرش الرحمن لموته	٢١٤
عوامل أوهت قوى المشركين	٢١٤
ما قام به نعيم من تفريق صفوف المشركين	٢١٥
نتائج غزوة الأحزاب	٢١٦
من استشهد في غزوة الخندق	٢١٧
معجزات في أيام الخندق	٢١٧
يهودي يتسلل إلى الحصن الذي فيه أهل النبي ﷺ	٢٢٠
الدليل على عدم جبن حسان بن ثابت رضي الله عنه	٢٢٠
ذكر الشعراء للخندق وما وقع فيه	٢٢٠
الجرف أول مناطق المدينة سكنى	٢٢٢
سبب تسمية الجرف	٢٢٢
بالجرف عسكر جيش أسامة رضي الله عنه حتى قبض ﷺ	٢٢٣
الجهة الغربية للمدينة المنورة	٢٢٣
بئر بني النجار فيها تعلم ﷺ السباحة	٢٢٤
بعد دار النابغة التي فيها قبر عبد الله والد الرسول ﷺ من المسجد	٢٢٤
أين ديار بني ساعدة وسقيفتهم	٢٢٤
سوق المدينة	٢٢٤
دعاؤه ﷺ لسوق المدينة	٢٢٥
سقيفة بني ساعدة وما دار فيها من حوار	٢٢٦
سياسة تعيين الخليفة بعد النبي ﷺ	٢٢٦
مصلى العيدين في عهده ﷺ	٢٢٧

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
تغني الشعراء بالمصلى	٢٢٩
جبل سليع	٢٣١
المسجد المسمى بمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢٣١
منازل جهينة وبلى	٢٣٢
جبل سلع ـ منازل بني أشجع	٢٣٢
مسجد السبق ليس مأثورًا عنه ﷺ	٢٣٢
أين مكان سباق الخيل في عهد النبي ﷺ	٢٣٢
كهف بني حرام ومسجدهم	٢٣٣
عمر يأذن لبني سلمة بالتحول إلى ديار بني حرام	٢٣٤
تغني الشعراء بسلع	٢٣٤
الحرة الغربية	٢٣٥
مسجد القبلتين وتحويل القبلة	٢٣٥
حرة الوبرة	٢٣٦
مسجد السقيا وموضع استعراض جيش غزوة بدر والوعد بإحدى الطائفتين النقا والسقيا والمنحنى	٢٣٧
منازل بني المصطلق	٢٣٧
أين كان النبي ﷺ يقيم حد القتل	٢٣٨
جبل الأنعم	٢٣٨
مسجد المنارتين	٢٣٨
حرة بني بياضة	٢٣٩
أين حبس عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ والده حتى يأذن له النبي ﷺ ويعلم من الأعز أهو أم رسول الله ﷺ ؟	٢٣٩
ما قيل في هذه الحرة من الشعر	٢٤٠

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
وادي العقيق وما ورد فيه	٢٤١
تسمية ذي الحليفة بآبار علي ومسجد المحرم	٢٤١
عرصتا العقيق	٢٤٢
قصر سعيد بن العاص	٢٤٢
اقتطع النبي ﷺ أكثر أرض العقيق لبلال بن الحارث المزني	٢٤٣
جسور فوق العقيق واقتراح بتسميتها	٢٤٣-٢٤٤
قصور العقيق الأثرية	٢٤٤
قصر عروة بن الزبير وبئره	٢٤٥
جماوات المدينة	٢٤٦
قبران لرسولي داود وعيسى عليهما السلام	٢٤٦
الشعراء والعقيق	٢٤٧
المكيمن	٢٤٨
(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) وموقع نزولها	٢٤٩
ذكر المكيمن في الشعر	٢٤٩
البيداء بالمدينة	٢٥٠
بذات الجيش نزلت آية التيمم	٢٥٠
موقع غزوة بني المصطلق	٢٥٠
ذكر ذات الجيش في الشعر	٢٥١
جبل عير وما ورد فيه	٢٥٢
خاتمة في جهود المملكة العربية السعودية في ازدهار المدينة	٢٥٤
المراجـــع	٢٥٩

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية
١٩٨٨/٥١م

مطابع الدوحة الحديثة
ص . ب ١٤٥ الدوحة - قطر